دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني – السنة العاشرة – شعبان 1386 – ديسمبر 1966

في هـذا العـدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد الثاني
السنة العاشرة
شعبان : 1386
دیسمبر : 1966
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ؛ والشرفي 30 درهما
فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ
الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ؛ وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط





يظلنا شهر رمضان المعظم ، فنستقبله بالرضى والبشر ، والغبطة والشكر ، اذ يتلقى المسلم المومن فى مدرسته دروسا فى التعاون والتآزر ، والتواصل والتعاطف ، والتكاتف والتزوار ، ويجد من نفسه وازعا يحمله على أن يحبو اخوانه المعوزين الذين برحت بهم الفاقة ، ما يسدون به الرمق ، ويبعث فى نفوسهم المحبة والرحمة والاخاء ...

والصوم ، كما هو معلوم ، فريضة تسمو بالروح الى عالم اللطف والصفاء ، غايته تطهير النفوس من أوضار المادة وأدران الذنوب ، وهدفه بث الطمأنينة والامن والايمان فى القلوب ، وتأكيد أسباب المحبة والمودة بين افراد المجتمع ..

ولكم يحلو للمسلم المومن فى هذا الشهر الكريم الذي يعم فيه الرخاء الطلق ، والانس الشامل ، أن يخلو الى نفسه فى عبادات خاشعة لاشباع أشواقه ، والتملي بأحاديث دينية توثق ما وهى بين القلب والدين .

... ولئن كان الحديث عن رمضان المعظم وأثره فى النفوس ذا سعة ، فسنقتصر فى هذا المجال المحدود على ظاهرة غريبة ، تبدو واضحة ، وتعطي صورة للمفارقات العجيبة التي نحياها فى عصرنا الحاضر ..

كان الجيل الذي عاش فى العقود الاخيرة ينعم بعقيدة دينية راسخة ، تنعكس آثارها فى سلوكه واخلاصه ، فيحس معها بحرارة الايمان ، وبرد اليقين ، رغم قلة وسائل العلوم التي تساعد على تنمية الروح ، وتفتح النفس لتسمو الى معارج الكمال ، فى حين أن جيلنا الصاعد ، وشبابنا الناهض ، تضعف لديه هذه الحاسة الدينية حيث تكاد تفنى فى دنيا المادة الجافة الضحلة التي تحول دون اشباع الروح من غذائها ومقوماتها ، رغم توافر وسائل العلوم ، ووفرة الكتب ، وكثرة المرشدين والوعاظ ، سواء عن طريق المسجد ، او الاذاعة والتلفزيون ...

كان الجيل الماضي مثال الصدق فى عقيدته ، والطهارة فى روحه ، ملتزما سلوكا يدنيه الى صفات الكمال ، ويتجلى ذلك فى اقباله على العبادة وأنواع الطاعات وتدارس القرآن ..

اما جيلنا الناشىء ، فبالرغم من انه يرتوي من منابع المعرفة والعلوم ، ويقبل عليها اقبال الهيم ، وتتطلع نفسه التواقة الى المزيد منها لتنعم فى رحابها الفسيحة ، وآفاقها المشرقة ، فلم تهذب تلك العلوم روحه ، ولم تنعكس

آثارهـا في سلوكه ، ولم تعط الدليـل العملي علـى أن دراسته انتجت ثمارها ، وآتت اكلهـا ...

لمـاذا لم تتهذب هذه النفوس رغم وفـرة وسائل العلوم ، هذه العلوم التـي يشيـر الى اثرهـا ومفعولها الشيخ الرئيـس بقولـه :

هـذب النفـس بالعلـوم لترقـى وتـرى الكـل ، وهي للكل بيـت
انمـا النفـس كالزجاجة والعلــم سـراج ، وحكمة اللـه زيت
فـاذا اشرقـت فـانـك حـي ، واذا اظلمـت فـانـك ميـت

ما السر في هذه المفارقـات الغريبة التـي تعطي صورة عن هذا الجمـوح الارعـن ، واللامبـالاة العميـاء ؟

بل ، لمـاذا يشب شبابنـا ((كقـرن الماعـز ، ينبت علـى استـواء ، ولا يثبت الا علـى التـواء ؟ !)) .

هل عتت موجـة العلم ، وضعفت امامهـا موجـة الديـن ، وغنيت في خضم الموجـات الاخـرى ؟!

قد يكون هذا صحيحا بالنسبـة لغيـر المسلميـن ...

فلقد اكتسح العلم المادي اوربا اثر حركات تاريخية ، ورجات عنيفة ، قـام بها العلماء ، الذيـن وضعـوا لانفسهـم مناهج علميـة ، اساسها ملاحظـة الظواهـر ، وتحرروا في مناهجهم من كل شـيء ، الا الملاحظة الحسية ، والتجربة والبرهـان ، فلـم يعبـاوا باقـوال الحكمـاء ، ولـم يهتمـوا بما ورد في الكتب الدينيـة ، ولم يسلمـوا الا بما يقع تحـت حواسهم ، وجـرب في المخبـر عـن طريق هذه الحواس ، وعرفوا ما لا يحصى من سنـن الكون ، ونواميس الطبيعة ، كانـوا يقفون امام عتبتها حيارى مشدوهين واجمين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، مما زاد في احترامهم للعلم ، واعجابهم به ، وتقديرهم له ، وعطفهم عليه ..

ربما كـان هذا السبب صحيحا بالنسبة الى اوربا ، وقد يرجع الجواب عـن سؤالنـا السابق الى جملة اسبـاب ، ابرزها انعدام التربية الدينيـة ، والثقافـة الروحيـة ، والقدوة الحسنـة .

فالقدووة الصالحة ، والسلوك الحميـد ، هـو الدرس العملي ، والخطبـة البليغـة التي ينفعل لها شعور الانسان ، اذ الانسان قـد ركب في طبعه أنه يتأثـر بكـل مـا يـرى ، ويقلد من هـو اكبـر منـه فضـلا وعلمـا ...

فالابوان في المنزل هما المربيـان الحقيقيـان لاطفالهما ، لا بقولهما فحسب ، اذ الفعـل هو الاول ، والابعـد اثـرا ..

وانك اذ مـا أنت آمـر به ، تلف من اياه تامـر آتيـا

فعلى ما يكون عليـه الابوان من اخلاق سمحـة ، ونفوس مطمئنـة ، وسلوك صحيح ، واعتصام بحبل الديـن متيـن ، والتـزام جانب الصـدق والاستقامة ، وحسـن الاحدوثـة ، ينشـا الاطفـال ..

وينشـا ناشيء الفتيـان فينـا على مـا كان عوده ابـوه

واذا كانت الام طاهرة الذيل ، نقية الاخلاق ، نظيفة السلوك ، كان بناتهـا يحتذيـن حذوهـا ويسـرن على نهجهـا ..

وعبثا يحاول الاب أن يغرس فى ابنائه الفضيلة ، وهو عابث بهذه الفضيلة ، حائد عن جادة الصواب ، يعرض وينأى بجانبه عن فروض الله .. اذ كيف يهذب ابناءه ، وينشئهم تنشئة دينية صرفا ، وهو خلو من كل هذا .. ففاقد الشيء لا يعطيه كما قيل ..

والمعلم فى المدرسة هو القدوة المثالية لتلاميذه ، على نهجه ينهجون ، منه يأخذون أخلاقهم عامدين أو غير عامدين ، ويقلدونه مغتبطين مسرورين ، «فالولد من معلمه ، كالظل للعود» كما قال ابو حامد الغزالي .

ويخطيء المعلم اذا اعتقد أن شيئا من سلوكه وافعاله يدق ويخفى عن افهام طلابه ، اذ

مهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس ، تعلم

وكأثر للقدوة الصالحة ، والاسوة الحسنة ، نسوق هذا المثال الفذ ، الذي تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما انتهى عليه السلام من وضع شروط الحديبية وقبل كل الشروط ، داخل المسلمين منها امر عظيم .. فقد امر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم ، وينحروا الهدي ، فيتحللوا من عمرتهم، فاحتمل المسلمون من ذلك هما عظيما حتى انهم لم يبادروا بالامتثال .

فدخل عليه السلام على أم المؤمنين ، أم سلمة ، وقال لها : « هلك المسلمون !! امرتهم فلم يمتثلوا ، فقالت : «يا رسول الله ، اعذرهم ، فقد حملت نفسك أمرا عظيما فى الصلح ، ورجع المسلمون من غير فتح ، فهم لذلك مكروبون !! ولكن اخرج يا رسول الله ، وابدأهم بما تريد ، فاذا رأوك فعلت اتبعوك ..

واقام محمد مضطربا مما رأى من شأن من حوله ، ثم صلى واطمأن ، ثم قام الى هديه فنحره ، ثم جلس ، فحلق رأسه ايذانا بالعمرة ، وقد امتلأت نفسه بالسكينة والرضا ، فلما رأى الناس صنيعه ، ورأوا سكينته تواثبوا ينحرون ويحلقون ، وان منهم من حلق ، ومنهم من قصر . قال محمد : « يرحم الله المحلقين » ، فتنادى الناس فى قلق : « والمقصرين يا رسول الله ؟ » قال : « والمقصرين » . قال بعضهم : « فلم ظاهرت يا رسول الله الترحم للمحلقين دون المقصرين » فكان جوابه : « انهم لم يشكوا » .

فأنت ترى أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يمتثلوا لامر النبي عليه السلام ، حتى ظن انهم هلكوا ، ولكن ام سلمة ، وهي الخريتة بنفوس القوم ، تعلم من آثار الاسوة الحسنة فى النفوس ، وفعلها فى القلوب ، ما دعاها الى اللجوء الى هذه الطريقة الفذة فى التربية والتلقين ، والامتثال الحسن .

ولقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة .

دعوة الحق



الحديث وقيمته العلمية والدينية

للأستاذ عبد الله كنون

شارك فضيلة الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية فى المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة من 30 شتنبر الى 27 اكتوبر 1966 .

وقد القى فضيلة الاستاذ بحثا قيما هاما حول « الحديث ، وقيمته العلمية والدينية » لقي استحسانا وتنويها فى جميع المحافل .

ولاهمية البحث ، ومكانة صاحبه فى الشرق والغرب ، فقد ترجم هذا الموضوع الهام الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، بقصد تعميم انتشاره فى الاقطار الناطقة باحدى هاتين اللغتين ، كما القي بهما فى المجمع .

وفور أوبة الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون من الديار الشرقية اتصلنا بسيادته ليمد مجلتنا بهذا الحديث القيم .

فتفضل سيادته بارساله مشكورا .

لعل علم الحديث رواية ودراية هو مما تتمثل فيه العبقرية الاسلامية اكثر من غيره من العلوم حتى الفلسفة وعلم الطبيعة والرياضيات . وقد يبدو هذا الراي غريبا فى بادىء النظر ، ولكن لا غرابة وهذه العلوم قد قيل ان المسلمين لم يبتكروا فيها شيئا ، وانما نقلوها نقلا مجردا عن الامم السالفة ، بخلاف علم الحديث ، فانه من وضع المسلمين وابتكارهم ، ولا يستطيع احد ان يقول غير ذلك ولا ان يشكك فيه .

وليس هذا فقط ، فان الدارس لهذا العلم المتعمق فيه ، قد يطلع منه على آفاق رحيبة من الابحاث المنهجية ، والدراسات الموضوعية ، فى علم الاخلاق ، والاجتماع ، والقانون ، والسياسة ، والاقتصاد ، فلا يكون عنده ادنى ريب فى أن الحضارة الاسلامية ، مبناها على هذا العلم ، وانها ان استفادت من معارف يونان وفارس والهند شيئا فانها فى عناصرها النفسية ، انما ترجع الى كتاب الله والسنة المبينة له .

وقد جرى الناس على أن ينظروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتا ، فهم لذلك يسقطونه من الحساب اذا ذكروا العوامل التي أدت الى نهضة العالم الاسلامي ، تلك النهضة التي آتت اكلها الشهي منذ الجيل الاول الذي تلا ظهور الاسلام وما زالت تنمو وتعظم حتى بلغت فى القرن الخامس الهجري الى ما لم تبلغه فى أمة اخرى قبل ذلك . ولكنهم مخطئون فى هذا النظر : ولو شاءوا ان يعرفوا الحقيقة من غير ان يكلفوا انفسهم عناء البحث فى هذا الموضوع ، لاقتصروا على التفكير فى ان الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، لبث فى قومه بعد الرسالة ثلاثا وعشرين سنة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقومه هم العرب الذين يعرف الناس انهم ليسوا بشعب غبي ولا بدائي ، وهم فى الوقت نفسه كانوا مكتنفين بشعوب حية وبقوم من يهود ونصارى لا يفتأون يعارضون دعوته ويوردون عليها مختلف الايرادات ، فهو لم

يقصر دعوته على مسائل الدين فقط ، ولم يكن يعلم المسلمين امور العبادات فحسب ، بل كان يعلمهم آداب السلوك واحكام المعاملة ، من البيع ، والشراء ، والصرف ، والحوالة ، والسلف ، والرهن ، وما الى ذلك ، ويلقنهم اساليب الحرب ، وطرق الحكم ، ويرشدهم الى السياسات المختلفة في علاقاتهم مع الدول الموالية والمعادية ، ويتولى قسم الاموال بينهم ، وتوزيع الاراضي المغلة عليهم ، ويعقد المجالس الاستشارية كلما حز به امر ليتبح لهم الاستبداد ، ويفقهم على اسباب حياة الامم وهلاكها ليعرفوا كيف يحافظون على كيانهم اذا صار الامر اليهم من بعده ، وهكذا لم يدع شاذة ولا فاذة مما به قوام الحياة ، ونظام الدنيا الا علمهم اياه، الم يقل الكفار لسلمان رضي الله عنه: « لقد علمكم نبيكم كل شيء » (1) بل انه في تنزلاته معهم كان يخاطبهم بدقائق المعارف ويجيب على اسئلتهم الطبية والطبيعية بما لم ينقضه العلم حتى الآن، ويصحح لهم اغلاط الاخباريين من اهل الكتاب واغلاط عرفائهم في تفسير الظواهر الجوية ونحوها حتى لقد دعا ذلك اليهود ان يسألوه عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا » (2) .

ان مجرد استعراض سريع على هذا النمط ، لسيرته عليه السلام كاف ليعرف من لم يكن يعرف ان علم الحديث هو جماع المعارف الاسلامية سواء الدينية منها والدنيوية . واذا كان هذا في عهده صلى الله عليه وسلم فما ظنك بهذا العلم وقد تناولته القرائح الخصبة والافكار الناضجة ، وكتب العلماء فيه من الابحاث القيمة والدراسات الرائعة ما لا يعرف قدره الا من وقف عليه .

واذا كان الحديث عن ذلك يطول ، فلنكتف بالكلام على اصل هذا العلم والطريقة التي دون بها والجهود التي بذلها العلماء لتمييز صحيحه من سقيمه ، واذا ما يراد بعلم الحديث رواية ودراية، وهو وحده دليل ناهض على عبقرية الفكر الاسلامي الذي يغفل الباحثون عن تتبع آثاره في هذه الميادين .

اما اصل علم الحديث فهو اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكوته وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه واكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفة اهله وتاديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحاظه وانفاسه وصفاته ، مما رواه عنه من الصحابة اربعة آلاف رجل وامراة ، كما يقول الحاكم النيسابوري في كتابه المدخل الى الحديث (3) صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من احكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه . وقد تادى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين .

وكان عمر بن عبد العزيز اول من امر بتدوين الحديث خوف ضياعه (4) ، وأكد هذا الامر ابو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري ، وكان سابق الحلبة ، الا ان عمله انما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . واما الجمع مرتبا على الابواب ، فوقع في نصف القرن الثاني ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ، ومعمر باليمن ، وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح ، وسعيد بن ابي عروبة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، والاوزاعي بالشام ، وجرير ابن عبد الحميد بالري (5) .

وكان الذي الف مالك هو كتابه الموطا . ولعله الكتاب الوحيد الذي وصلنا بالرواية الصحيحة من تآليف هذا العصر . ولذلك نتخذه نموذجا للطريقة التي دون بها علم الحديث في اول الامر .

والموطا وان لم يكن في الواقع كتاب حديث مجرد، لانه يحتوي على كثير من الفقه والاستنباط واقوال السلف ومذاهب الصحابة . الا انه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذي بذله الامام مالك في تحري الاحاديث الصحيحة ، وعدم

---

1) سنن ابي داود ج ل ص 3 ومسند احمد ج 5 ص 437 .
2) سورة الاسراء الآية 85 .
3) المدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابوري ص 12 من طبعة لندن .
4) صحيح البخاري ج ل ص 24 .
5) تدريب الراوي للسيوطي ص 24

الرواية الا عن الاعلام الاثبات الثقات، فقد قيل انه لما الفه اولا كان يشتمل على نحـو عشرة آلاف حديث ، ولم يزل ينتقي منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو الف حديث . وهذه النسبة وهي واحد من عشرة او اقـل عشرة من مائة هي التي عمل عليها تقريبا جل المؤلفين في الحديث بعد ذلك لاسيما ائمة الصحيح بل انها لتنزل عند بعضهم الى اقل من ذلك بكثير مع العلم بانها نسبة الى ما ثبت عندهم من الاحاديث ووقع لهم فيه اشتباه ما ، لا انها نسبة الى محفوظهم فـان هذا كثير يكـاد لا يسلم به اهل هذا العصر الذين ضعفت او انعدمت فيهم بالمرة ملكة الحفظ ، ناهيك بما قيل عن الامـام احمد بن حنبل من انه كان يحفظ مليون حديث (6) .

ورتب الامام مالك كتابه الموطا على الابـواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث الشاهد في اول البـاب او في اثنائه ، ثم يخلل الباب بالاثار والاقوال الثابتة عن الصحابة وائمة السلف في الموضوع وياتي بباب اسمـه الجامع يروي فيه متفرقات من الباب لا تصلح ان تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع سمـاه الجامع وضمنه احاديث في السنن والاخـلاق وآداب السلوك ونحو ذلك ، قيل وهو أول من ابتكر هـذا الصنيع في التاليف اي جمع المسائل المتفرقة في بـاب اسمه الجامع . وعلى ما نرى فان طريقة الامام مالك في تاليفه للموطا برغم تقدم الزمن هي من احسن الطرق التي الفت عليها كتب السنة فيما بعد واتبعهـا معظم المحدثيـن الى المائة الثالثة .

وفي المائة الثالثة نشطت حركة جمع الحديـث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتاليفـه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة ، فالف البخـاري جامعه الذي هو اول كتاب الف في الصحيح وكذا مسلم صاحب ثاني الصحيحين ، والف بقية اصحاب الكتـب الستة كتبهم وهي التي تلقاها المسلمـون بالقبـول ، ويقول السيوطي ان الحديث اذا اخرجه احد هـؤلاء المؤلفين الستة فليروه الانسان مطمئنا اليه (7) .

وكـان التاليـف في هـذا العصر على اوضـاع مختلفة منها ما بقي محافظا على وضعه الاول الذي كان اكثر العمل عليه عند بدء التاليف وهو جمع احاديـث كل راو على حـدة وان اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسنـد وهو النهج الذي اتبعه الامام احمـد ابن حنبل في كتابه العظيم المسمى بمسند احمد ، ومنها ما الف على الابواب والمسائل . وهي طريقة مالك فـي الموطا ، ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والعـادات والاحكـام والحكـم والتواريـخ والرقائق وغيـر ذلك وهـو المسمـى بالجامـع ومنه الجامع الصحيح للامـام البخـاري وغيـره . ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن ابي داود . ومنه ما يخص موضوعا بعينـه او مسالة واحـدة فقط كشعب الايمان للبيهقـي والقـراءة في الصـلاة للبخـاري الى غيـر ذلك .

واستمر هذا النشـاط وخلص الى القرون التاليـة فاتخذ اشكالا وانواعـا من العنايـة بالحديث سـواء من حيث الروايـة والجمع او من حيث الشرح والفهم والتفريع والاستنباط وفي هذا الامر يقال حدث عـن البحـر ولا حـرج .

وعلى كـل حـال فقد صحب عمليـة الجمـع والتدوين عملية الانتقاء والاختيار ، والجهود التـي بذلها العلماء في هذا الصدد لا يوجد لهـا نظير عنـد غير المسلمين ، ومن ثـم قيـل ان الاسنـاد مـن خصائص هذه الامة (8) اي تتبع رواة الحديث واحـدا فواحـدا والبحث عن حالهم مـن الحفـظ والضبـط والعدالـة الى النبي (ص) ، قال ابن حزم نقل الثقـة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ومع الاتصال شيء خصـص به المسلمون دون جميع الملل ، امـا مع الارسال والاعضال (9) فيوجد في اليهود لكـن لا يقربـون به من موسى عليه السلام قربنا من نبينـا بل يقفون حيث يكون بينهم وبينه أكثر مـن ثلاثيـن

6) وفيات الاعيان لابن خلكـان ج ل ص 17 وفي خصائص المسند للحافظ المدينـي \ كتب ابي عشرة الاف الف حديث ولم يكتب سوادا في بياض الا قد حفظه . (الخصائص ص 10 طبعه الخانجي) ومعلوم ان المراد ما يشمل طـرق الحديث ورواياتـه والآثار عن الصحابة وما الى ذلك .
7) تدريب الراوي ص 55 .
8) شرح الطرفة لابن عبد القادر الفاسي ، الملزمة 11 ص 5 طبع فاس بهامش حاشيـة ابـن عبـد السلام كنـون .
9) اي عدم الاتصال وسقوط عدد من الرواة في السند ، والمرسل في اصطلاح الحديث الذي يرويه التابعـي مرفوعا الى النبي (ص) من غير ذكر الصحابـي والمعضل الذي سقط من سنده اثنين فصاعدا من الرواة

نفسا ، واما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق (10) .

ولا تغفل عما في هذه الخصيصة من ميزة للدين الاسلامي لا يشاركه فيها غيره من الاديان ، وهي ثبوته بالنص القاطع والرواية الصحيحة ، فلا جرم أن يقول عبد الله بن المبارك « الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (11) وقوله هذا دليل على ان القوم كانوا في تمييزهم للحديث الصحيح من السقيم يستبرئون لدينهم كما كانوا يتحرون المنهج العلمي الصحيح .

ويروى عن عبد الله بن المبارك ايضا انه كان يقول : « بيننا وبين القوم القوائم » (12) اي الاسناد . وهذا يبين طريقتهم العملية في نقد الرجال ، فانهم جعلوا قوائم بأسماء الرواة ورتبوها بحسب القوة والضعف ترتيبا يكون هو الحكم في قبول الحديث او رده . فاذا لم يعرف حال الراوي ترك الحديث وكذا ان سقط من سنده احد الرواة وان كان في السند ثقات فقد جاء في مقدمة الصحيح لمسلم بن الحجاج : « وقال محمد (يعني ابن عبد الله بن قهزاد) سمعت ابا اسحاق بن ابراهيم بن عيسى الطالقاني قال قلت لعبد الله بن المبارك يا ابا عبد الرحمن الحديث الذي جاء«ان من البر بعد البر ان تصلي لابويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك » فقال عبد الله يا ابا اسحاق عمن هذا ؟ قال قلت له هذا من حديث شهاب بن خراش فقال ثقة عمن ؟ قال قلت عن الحجاج بن دينار قال ثقة . عمن ؟ قلت قال رسول الله (ص) قال يا ابا اسحق ان بين الحجاج بن دينار وبين النبي (ص) مفاوز تنقطع فيها اعناق المطي ، ولكن ليس في الصدقة اختلاف » (13) .

ويحسن بنا أن نورد نبذة في هذا الشان من مقدمة الامام مسلم صاحب ثاني كتاب في الصحيح ، وهي على اقتضابها تقفنا على لطف مسلك القوم في هذه السبل الوعرة ، قال رحمه الله :

ثم انا مبتدئون في تخريج ما سألت وتاليفه على شريطة سوف اذكرها لك ، وهو انا نعمد الى جملة ما أسند في الاخبار عن رسول الله (ص) فنقسمها على ثلاثة اقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار ...

فاما القسم الاول فانا نتوخى ان نقدم الاخبار التي هي اسلم من العيوب من غيرها وانقى من ان يكون ناقلها اهل استقامة في الحديث واتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش ، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين وبان ذلك في حديثهم ، فاذا نحن تقصينا اخبار هذا الصنف من الناس ، اتبعناها اخبارا يقع في اسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والاتقان كالصنف المقدم قبلهم . على انهم وان كانوا فيما وصفنا دونهم ، فان اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يشملهم كعطاء ابن السائب ويزيد بن ابي زياد وليث بن ابي سليم واضرابهم من حمال الآثار ونقال الاخبار . فهم وان كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من اقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الاتقان والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبة لان هذا عند أهل العلم درجة رفيعة وخصلة سنية .

الا ترى انك اذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء ويزيد وليثا بمنصور بن المعتمر وسليمان الاعمش واسماعيل بن ابي خالد في اتقان الحديث والاستقامة فيه ، وجدتهم مباينين لهم لا يدانونهم — لا شك — عند اهل العلم بالحديث في ذلك للذي استفاض عندهم من صحة حفظ منصور والاعمش واسماعيل واتقانهم لحديثهم ، وانهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ويزيد وليث . وفي مثل مجرى هؤلاء الثلاثة اذا وازنت بين الاقران كابن عون وايوب السختياني مع عوف بن ابي جميلة واشعث الحمراني وهما صاحبا الحسن وابن سيرين كما ان ابن عون وأيوب صاحباهما الا ان البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل وصحة النقل ، وان كان عوف واشعث غير مدفوعين عن صدق وامانة عند اهل العلم ، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم ، وانما مثلنا هؤلاء في التسمية ليكون تمثيلهم سمة يصدر عن فهمها من غبي عليه طريق اهل العلم ترتيب أهله فيه .

---

10) حاشية الطرفة لابن عبد السلام كنون (ملزمة 11 ص 6 طبع فاس) .
11) صحيح مسلم باب في أن الاسناد من الدين ج ل ص 8
12) المصدر نفسه
13) المصدر نفسه

فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته ولا يرفع متضع القدر في العلم فوق مرتبته . وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها انها قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم ؛ مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) (14) .

فعلى ما ذكرنا من الوجوه نؤلف ما سألت من الاخبار عن رسول الله (ص) ، فاما ما كان منها عن قوم هم عند اهل الحديث متهمون او عند الاكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم كعبد الله بن مسور وابي جعفر المدائني وعمر بن خالد وعبد القدوس الشامي ومحمد بن سعيد المصلوب وغياث ابن ابراهيم وسليمان بن عمرو وابي داود النخعي واشباههم ممن اتهم بوضع الاحاديث وتوليد الاخبار ؛ وكذلك من الغالب على حديثه المنكر او الغلط ، امسكنا ايضا عن حديثهم .

وعلامة المنكر في حديث المحدث اذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من اهل الحفظ والرضا، خالفت روايته روايتهم ولم تكد توافقها ؛ فاذا كان الاغلب من حديثه كذلك ، كان مهجور الحديث غير مقبوله ولا مستعمله .

والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما يتفرد به المحدث من الحديث ان يكون قد شارك الثقات من اهل العلم والحفظ في بعض ما رووا وامعن في ذلك على الموافقة لهم ، فاذا وجد كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئا ليس عند اصحابه قبلت زيادته .

فاما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته وكثرة اصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه وحديث غيره . او لمثل هشام بن عروة وحديثهما عند اهل العلم مبسوط مشترك قد نقل اصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في اكثره . فيروي عنهما او عن احدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحد من اصحابهما وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم . فغير جائز قبول هذا الضرب من الناس والله أعلم » (15) .

فهذا منهج علمي مضبوط لا يقل في دقته وتحقيقه عن مناهج علماء النقد المحدثين ان لم يفقها ، وليس هو مما استوحى من مصدر أجنبي ولا مما استورد من بلاد الخارج وانما هو حصيلة الفكر العربي السليم ونتيجة الاجتهاد الاسلامي الخالص . ولم يملك المستشرق جوينبول Guynboll كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الاسلامية نفسه من ان يظهر الاعجاب بالجهد الذي بذله المسلمون في التحري لصحة احاديث نبيهم ؛ على ما له من اغلاط كثيرة في هذه المادة ، اذ يقول : « لا يعد الحديث صحيحا في نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتالف من افراد يوثق بروايتهم . وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ؛ ولم يكتفوا بتحقيق اسماء الرجال واحوالهم لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه واحوال معاشهم ؛ ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا ايضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة في نقل المتون ليحكموا اي الرواة كان ثقة في روايته الخ..» (16)

ونوه الاستاذ : « ادم متز » في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري بالدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد اعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط اسمائهم والحكم عليهم بانهم ثقات او ضعفاء ؛ ثم نظروا في الاساس الذي ينبني عليه هذا الحكم اعني الصفات التي يجب توفرها في المحدث الثقة وهو ما يعرف بالجرح والتعديل .. وقد ادت بهم حاجتهم الى السند المتصل ان يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجري مثل تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد » الخ .. (17)

وقد اثر هذا المنهج بدقته وضبطه على العقلية العربية فظهر مفعوله في علوم اخرى كاللغة والادب والتاريخ ، وابن قتيبة الذي يعد من أوائل نقاد الادب والشعر خاصة بما كتبه في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء» لم يكن الا متأثرا بمعارفه الحديثية والاخبارية ومنهج النقد عند المحدثين الذين هو منهم واليهم . بل اني لا اشك في استفادة ابن خلدون من منهج اهل

---

14) سورة يوسف، الاية 76 .

15) صحيح مسلم ج 1 ص 3 — 4 .

16) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية المجلد 7 ص 335 .

17) الحضارة الاسلامية لادم متز الترجمة العربية لمحمد عبد الهادي ابو ريدة ج 4 ص 319 .

الحديث واستمداده من طرق نقدهم فيما وضعه من قواعد لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ . ان الامثلة التي اعطاها مسلم بن الحجاج لمعرفة المنكر من الحديث هي بعينها المقاييس التي طبقها ابن خلدون لتمييز الزائف من الصحيح من اخبار المؤرخين . وهكذا نرى ان علم الحديث يبسط جناحه على الثقافة الاسلامية لا بمتنه وروايته فقط بل وباصطلاحه وما يسمى عند علمائه بعلم الحديث دراية ايضا .

ومن المعلوم أن هذا لم يكن هو القصد الاول من الحديث وتدوينه ونقده فانه انما جاء عرضا وكان فتحا من فتوحات هذا العلم المبارك الذي استوعب ضروب النشاط الفكري عند المسلمين ، وحفزهم من اول يوم الى اقتحام سبل المعرفة وطلب العلم ولو بالصين (18) فوجدت تلك النهضة العلمية الكبرى التي عمت البلاد الاسلامية من شرقها الى مغربها والتي لم تنفصل في اساسها قط عن مدارك القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهو ما يفسر لنا حرص اعلام الفكر الاسلامي على الاخذ بحظهم من هذا العلم وتمسكهم عبر التاريخ بالمشاركة فيه حتى ولو كانوا من الفلاسفة والاطباء والفلكيين امثال ابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسي وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم ، بل لقد قيل بتلازم علم الحديث وعلم النبات لانهما معا مما يدرك بالرحلة ولا يبلغ احد فيهما شأوا الا بالتنقل في البلاد .

نعم لم يكن هذا هو القصد الاول من حركة تدوين الحديث ، وانما كان هذا القصد هو جمع الحديث خوف ضياعه ، فقد جاء فيما كتب به عمر ابن عبد العزيز الى ابي بكر بن حزم في الموضوع انه قال له : « انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » (19) .

والواقع انها كانت حركة انقاذ للعلم الاسلامي الذي لم يكن عند القوم غيره . وكانوا انما يعتمدون فيه على الحفظ والاستظهار ، فلما اسرع الموت الى رجاله ونقلته ، خاف الخليفة العادل من جراء ذلك على هذا العلم ما خافه الخليفة الاول على القرآن من الضياع لما استحر القتل في الصحابة وأمر بجمع المصحف . فكذلك امر عمر بن عبد العزيز بكتابة الحديث وهو بعد القرآن منتهى علم المسلمين اذ ذاك ، فجدوا في الامر واجتهدوا وقاموا بما لم تقم به امة في العمل على حفظ كلام نبيها واخباره واحواله ، ودونوا ذلك واقتبسوا منه الحكم والاحكام والمعارف والاسرار ، ولم ينظروا اليه قط تلك النظرة الضيقة التي تحصره في حيز الفكر الديني بل اعتبروه تراثا علميا طائلا درسوه وتعمقوا فيه مدة قرن من الزمن حتى اذا اتسعت أمامهم آفاق المعرفة ونقلت اليهم علوم الاوائل من فلسفة وطبيعة ورياضيات لم يزدهم ذلك الا توسعا وتفريعا لاصوله وتأسيسا لقواعده ، فانهم لم يقولوا في يوم من الايام بالفصل بين العلم والدين ولا رجحوا كفة المادة على الروح لان الدين هو الاسلام ، والاسلام والعلم لا يختلفان ، ولان المادة كانت دائما وسيلتهم الى السمو بالروح ، والوسائل عندهم تعطي حكم المقاصد ، فلذلك كانوا في المزاوجة بين المعارف الالهية والعلوم الكونية كالطائر بين جناحين لا يميل مع احدهما الا كان مهددا بالوقوع .

وهكذا كان عملهم في تدوين الحديث مبادرة علمية بالمعنى العام الذي يشمل علوم الحياة بأجمعها مما وصل اليه اجتهادهم ووعته عقولهم ولا يختص دينا ولا علما كما قلنا ، حتى بدأ عهد الترجمة ونشأت تلك النهضة العلمية الكبرى التي كان علم الحديث من روادها الداعين اليها والمشجعين عليها ، فتميزت العلوم حينئذ وسار كل في طريقه من غير تقاطع ولا تدابر ، ولا تبجح جهة ، فان ما معها هو العلم دون سواه ، بل ان الاعتراف المتبادل وروح التعاون بين الفكر الفلسفي والديني كانا هما التقليد المتبع الذي ادى الى وجود فلسفة اسلامية متميزة عن الفلسفة العامة ، هي الرشدية التي اثبتت لاول مرة في تاريخ الفكر الانساني عدم تعارض العلم والدين على ما نجده عند صاحبها ابي الوليد بن رشد في كتابه « **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال** » وغيره من كتبه الفلسفية والرشدية هي التي تولدت عنها الميمونية نسبة الى موسى بن ميمون الحكيم الاسرائيلي ثم تأدت من بعد الى توماس الاكويني ، وهو من اكبر فلاسفة القرون الوسطى ورجال الدين في الغرب فوجد فيها أعظم سند لدعم الايمان المسيحي عن طريق العلم ، ولا يفهم من هذا ان الحياة الدينية المحض وما يتعلق بها من الحديث ، لم تحظ

18) يروى في هذا المعنى حديث اطلبوا العلم ولو بالصين وهو على اشتهاره لا اصل له .
19) صحيح البخاري ج 1 ص 24 .

بعناية خاصة من سلف الامة في حركة التدوين ؛ ولم تكن حافزا لهم على ما قاموا به في هذا الشأن من عمل جبار، كلا . فاننا عنينا بابراز الناحية العلمية، وما كان لها من السيطرة على المسلمين في تلك الحركة ؛ لانها كثيرا ما تخفى على الباحثين او لا يعيرونها الاهتمام اللازم ، والا فان الحديث المتعلق بالواجبات والسنن والشعائر الدينية على العموم كان من اول ما اعتنى المسلمون بحفظه وروايته ، سواء في ذلك الصحابة والتابعون فمن بعدهم . بل ان من الصحابة من تعاطى كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص وذلك باذن من النبي (ص) فسبق عهد التدوين بزهاء قرن كامل . وفي هذا العهد ايضا كان الباعث الديني من اعظم ما حمل ائمة الحديث وحفاظه على جمعه وكتابته، الا ترى ان منهم من خص بعض كتبه بالمسائل والقضايا الدينية ، وقد ألمعنا الى ذلك فيما سبق : ككتاب القراءة في الصلاة للبخاري وكتاب شعب الايمان للبيهقي وكتاب السنن لابي داود وان كان هذا جامعا بين احكام العبادات والمعاملات .

ولم يكن ليسع المسلمين غير ذلك ، وهم يقرأون في الكتاب العزيز ؛ « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (20) . ويسمعونه (ص) يقول « الا اني اوتيت القرآن ومثله معه » (21) ؛ فالقرآن وان كان كتاب عقيدة وشريعة معا ، وذلك مما امتاز به على الكتب السماوية الاخرى ؛ الا ان كثيرا من الاحكام لم تفصل فيه تفصيلا ، حيث ان مهمته الاولى كانت وما تزال هي ان يحبب الايمان الى الناس ويزينه في قلوبهم ويكره الكفر والفسوق والعصيان ، وما زاد على ذلك فانما هو مما يثبت به الذين آمنوا ويشق لهم الطريق الى المعرفة بالله وعبادته على نحو ما كان الرسول (ص) يفعل كما ترشد اليه الآية الكريمة : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (22) لهذا شعر الصحابة منذ فجر الاسلام ومن أتى بعدهم من المؤمنين بالحاجة الى السنة التي تبين لهم ما اجمل في القرآن وما لم يذكر فيه تفصيلا من احكام العبادات والمعاملات « انظر الى الايمان جاء في القرآن ، الامر به والزام كل واحد ان يملأ منه قلبه ثم بينته السنة بقوله (ص) الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » (23) كذلك الاسلام والاحسان وانظر الى الصلاة عماد الدين ، اوجبها القرآن من غير بيان ، وبينت السنة عدد الصلوات والركعات وكيفيتها وشروطها واصلاح ما يقع فيه الخلل منها ، ووضحت اوقاتها وكيف العمل في فوائتها ، وما ذكر في القرآن الا ما هو اجمال من ذلك كقوله تعالى : « اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق » الاية (24) ففي القرآن بيان وشرط وهو الطهارة المائية ثم الترابية . واشار الى شرط ستر العورة بقوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » (25) والى شرط استقبال القبلة بقوله : « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (26) ولكن هناك تفاصيل بينتها السنة . ثم اشار القرآن الى اوقاتها بقوله تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون » (27) ولكن السنة بينت الاوقات بالبيان الشافي بحديث بريدة وحديث ابن عمرو (28) في الصحيح وغيرهما . واشار القرآن الى كيفيتها بقوله : « اركعوا واسجدوا » (29) وقوله « وقوموا لله قانتين » (30) ولكن السنة هي التي استوفت فقال (ص) «صلوا كما رأيتموني اصلي» (31) وروى لنا ابو هريرة ووائل بن حجر ومالك بن الحويرث وأبو

---

20) سورة النحل الاية 44 .
21) سنن ابي داود ج ث ص 261 ومسند احمد ج 4 ص 131 .
22) سورة آل عمران الاية 31 .
23) البخاري ج ل ص 12
24) المائدة 6
25) الاعراف 31
26) البقرة 144
27) الروم 17 ، 18
28) ينظر حديث بريدة وابن عمرو بروايتهما المختلفة في مسلم ج ل ص 231
29) الحج 76
30) البقرة 238
31) البخاري ج ل ص 85

حميد الساعدي وغيرهم كيفية صلاته عليه السلام (32) وعلمنا منها ما هو واجب وما ليس بواجب .

« وهكذا الزكاة اشار القرآن الى وجوبها بقوله : « والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (33) ولكن من اين علم القدر والواجب ؟ علم من السنة . قال عليه السلام فيما سقت العيون او كان عشريا (34) العشر ، وما سقي بالنضح نصف العشر » (35) وقال « وفي الركاز الخمس » (36) وبينت السنة قدر النصاب قال عليه السلام : « وليس فيما دون خمس اوسق من التمر صدقة ، وليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود في الاول صدقة (37) » .

« وهكذا الصوم اوجب الله علينا في القرآن صوم شهر رمضان ، وبينت السنة ان المراد الشهر القمري الذي يكون ثلاثين ويكون تسعا وعشرين ، وأمرنا ان نصوم لرؤية الهلال ونفطر لرؤيته ، وان من افطر عامدا لغير عذر تجب عليه الكفارة الى غير ذلك .

« وهكذا الحج اوجب الله في القرآن الحج على من استطاع ، وبين اركانه فأشار الى الاحرام بقوله تعالى « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » الى آخر الاية (38) والى وقوف عرفة « فاذا افضتم من عرفات » (39) وبين السعي والطواف بقوله « ان الصفا والمروة من شعائر الله (40) » وبقوله : « وطهر بيتي للطائفين والقائمين (41) » وبينت السنة كيفية الاحرام وممنوعاته وحدود عرفة ووقت الوقوف فيه وكيفية السعي والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك . وقد اجمله عليه السلام بقوله : « خذوا عني مناسككم » (42) وبينت الاحاديث النبوية التي رواها الصحابة الذين عاينوا حجة تفاصيل ذلك كابن عباس وابن عمر وغيرهما (43) . » (44) .

فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، انما استفيدت من السنة وان ذكرت اصولها في القرآن ، ولكن ذلك لا يغني عن التفاصيل التي اشرنا اليها ومثلها ما يتعلق بأبواب المعاملات وهو كثير جدا فلا جرم أن السنة قولية كانت او فعلية عليها مدار التشريع بعد القرآن ، وهي اما مبينة له كما رأينا وذلك هو الغالب ، واما مستقلة بالتشريع كما في زكاة الفطر وصلاة الوتر من احكام العبادات وكما في الحكم بالشاهد واليمين وميراث الجدة من احكام المعاملات وقد قال الله عز وجل فيما هو من هذا القبيل « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » (45) .

وبهذا تعرف قيمة الحديث بالنسبة الى الدين كما عرفناها بالنسبة الى العلم فالعجب ممن يثير الشبهات حول حجيته او رجاله وسنده وقد رأينا فيما يرجع الى السند كيف ان عمل المحدثين في التحري له والتثبت منه واخضاعه للنقد العلمي التحليلي كان مثار الإعجاب حتى من الاجانب عن الاسلام ، واتخذه علماء آخرون من غير المحدثين كالمؤرخين والادباء ميزانا لنقد الاخبار وحياة المجتمع فما بعد هذه الدقة في وزن الحديث وتمييزه غاية تدرك .

---

32) احاديث ابي هريرة ومن ذكر معه في وصف الصلاة تجدها متفرقة في أبواب الصلاة من صحيح البخاري ومسلم وفي ابي داود والجماعة
33) المعارج 24 — 25 .
34) بفتحتين اي ما يشرب بعروقه لانه عثر على الماء .
35) البخاري ج ل ص 190 .
36) البخاري ج ل ص 192 والركاز دفن الجاهلي
37) البخاري ج 4 ص 190 .
38) البقرة 196 .
39) البقرة 198 .
40) البقرة 158 .
41) الحج 27 .
42) مسلم ج ث ص 571 .
43) حديثهما مقطع في البخاري في أبواب الحج واطول حديث واوعبه في وصف حجه (ص) هو حديث جابر وتنظر رواياته في مسلم .
44) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي لمحمد الحجوي ج ل ص 30 — 31 .
45) سورة الحشر الاية 7 .

واما حجة الحديث فلسنا بقائلين فيها شيئا مما يقوله بعض المتنطعين من أنها ظنية الثبوت وخبر آحاد ، فان المنكرين اليوم ليسوا من ذلك بسبيل وانما هم من تحكمت فيهم الاهواء وقالوا بالتقليد من غير علم ولا هدى ، فنسالهم عما ذكرناه من الاحكام التي لم تستفد الا من السنة وهي مما لا نزاع فيه بين المسلمين كعدد ركعات الصلاة والصلوات الواجبة والمندوبة والنصاب في الزكاة والقدر المخرج منه وما الى ذلك ، أهي من الدين أم لا ؟ فاذا قالوا هي من الدين قطعا فقد أثبتوا حجية الحديث فيها لانها لم تشرع الا عن طريقه ويلزمهمان يقولوا بحجيتهفي غيرها. وان قالوا انها ليست من الدين فلاشك أنهم يتكلمون عن دين آخر غير دين الاسلام . وليس الحديث حجة الا عند المسلمين الذين يصلون ويصومون على ما ثبت عندهم من قول الرسول (ص) وفعله ذلك ، وهو السنة ، وهي الحديث المروى بطريق التواتر او خبر الآحاد صحيحا او حسنا .

ولعلنا وقد بينا قيمة الحديث العلمية والدينية ورفعنا من شان رجاله بما هو معقول ومقبول وليس من قبيل المناقب ولا الكرامات يصح لنا أن ننبه على الاحاديث الموضوعة والضعيفة جدا ونحذر منها ، فان اكثرها مما يجني على سمعة الاسلام ويزيف حقيقته ، وهي في الواقع التي تجعل بعض من لا علم له من ضعفاء الايمان يتشككون في الاحاديث كلها ويردونها ولا يقبلون الاحتجاج بها ، وهو خطأ واضح لان وجود الزيف في بعض النقود لا يبطل النقود كلها ، وقد وقع الانتحال في النصوص الادبية من شعر ونثر ولم يجعل ذلك احدا يرفض الادب كله ويقول انه منتحل لا يصح نسبته الى اهله .

وقد الف العلماء في الحديث الموضوع كتبا قيمة تبينه بأعيانه فضلا عما وضعوه من القواعد لمعرفة الوضع في الحديث ومن تلك الكتب موضوعات ابن الجوزي واللآلىء المصنوعة للسيوطي والدرر المنتثرة له وتمييز الطيب من الخبيث لابن الربيع وموضوعات على القارى المعروف بابن سلطان والغماز على اللماز للسيد السمهودي وماذكره المجد الفيرزباديفي آخر كتابه **«سفر السعادة»** ونظمه الشمس القدسي في ارجوزة طويلة مفيدة ، والفوائد المجموعة للشوكاني ، واسنى المطالب لمحمد الحوت ، وهذه الكتب كلها أو جلها مطبوعة بمتناول الجميع . على ان ثم احاديث لم تنزل لدرجة الوضع وانما دخل سندها او متنها علة قد لا تقدح في صحتها ، ولكن معرفة ذلك مما يخفى الا على جهابذة النقاد . وقد الف العلماء في هذه العلل ايضا تاليف مفيدة جدا ، ومما هو مطبوع منها كتاب **«علل الحديث»** لابن أبي حاتم أورد فيه زهاء ثلاثة آلاف حديث معلول مبينا وجه علته بما لا مزيد عليه في الاتقان .

وهناك نوع من الحديث الذي يبدو لاول وهلة كأنه متناقض مع ما هو معروف من النصوص القرآنية او الحديثية الاخرى ، فيسارع المرء الى انكاره وهو المسمى بمختلف الحديث وهذا النوع قد يقع الناس منه في مزالق شنيعة ولذلك لا ينبغي الاستعجال بالحكم عليه الا بعد الدراسة المستأنية والاحاطة بالموضوع من جميع جوانبه . ومن احسن الكتب الموضوعة فيه واجمعها كتاب تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة وهو مطبوع يحسن الرجوع اليه للتفقه في الحديث وحصول الطمأنينة له .

وبعد ، فان اصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وافضل الهدي ، هدي محمد صلى الله عليه وسلم (46) .

« وما شرب الايمان الا فؤاد من
باخبار خير الخلق قد ملاالاذنا» (47)

وما احسن ما قال ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ، وقد ذكر ان الخلافة ما آلت الى بني هاشم حتى استحالت أعجمية كسروية : « هذا الربيع» وهو حاجب المنصور يضرب من شمت الخليفة عند العطسة ، فيشكى ذلك الى أبي جعفر المنصور فيقول : اصاب الرجل السنة واخطأ الادب ! وهذا هو الجهل ، كانه لا يعلم ان السنة اشرف من الادب بل الادب كله في السنة ، وهي الجامعة للادب النبوي والامر الالهي. ولكن لما غلبت عليهم العزة ودخلت النعرة في آفاقهم

46) البخاري ، كتاب الادب ، باب الهوى الصالح ج 4 ص 48 .
47) أنشده في اقرب المسالك على موطأ مالك .

وظهرت الخنزوانة بينهم ، سموا ءابين (48) العجـــم ادبا وقدموه على السنة التي هي ثمرة النبـــوة (49) » وهي كلمة يغفر الله بها لابي حيـــان ويجزل مثوبته . والله ولي التوفيق .

مراجـــع البحـــث

1 — القــرآن الكريـــــم .
2 — تفسيـــر القرطبـــي .
3 — تفسيـــر ابـــن كثيـــر .
4 — صحيح البخـــاري .
5 — صحيح مسلـــم .
6 — سنـــن ابـــي داود .
7 — موطا الامام مالـــك .
8 — مسنـــد الامام احمـــد .
9 — خصائص المسنـــد للحافـــظ المدينـــي .
10 — المدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابوري
11 — اختصار علوم الحديث لابن كثيـــر .
12 — الفيـــة الاصطلاح بشرحها للعراقي .
13 — تدريب الراوي للسيوطـــي .
14 — شرح الطرفة في الاصطلاح لابن عبـــد القـــادر الفاســـي .
15 — حاشيـــة شرح الطرفة لابن عبد السلام كنـــون .
16 — علل الحديث لابن ابـــي حاتـــم .
17 — تاويـــل مختلف الحديث لابن قتيبـــة .
18 — الفكر السامـــي في تاريـــخ الفقـــــه الاسلامي للحجـــوي .
19 — تاريخ التشريع الاسلامـــي للخضري .
20 — جمع الجوامع لابن السبكي .
21 — دائرة المعارف الاسلامية — الترجمـــة العربيـــة .
22 — الحضـــارة الاسلاميـــة لآدم متـــــز ترجمـــة ابـــو ريـــده .

طنجـــة : عبد الله كنـــون

---

48) اي تانـــون .
49) الامتاع والمؤانســـة ج 2 ص 76 .

الحـــق ... للحـــق ...

قال الامام الشافعي رحمه الله :

ما ناظرت احدا الا وتمنيت الا يخطيء ، واحببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله ، وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه .

نحو تاريخ هجري موحد

التمسك بالرؤية والتوسل لها بالعلم ...
مقاييس الأمس في حاجة إلى تطور ...
تعميم الرؤية في نصوص الفقهاء ونتائج الحساب ...

للأستاذ عبد الهادي التازي

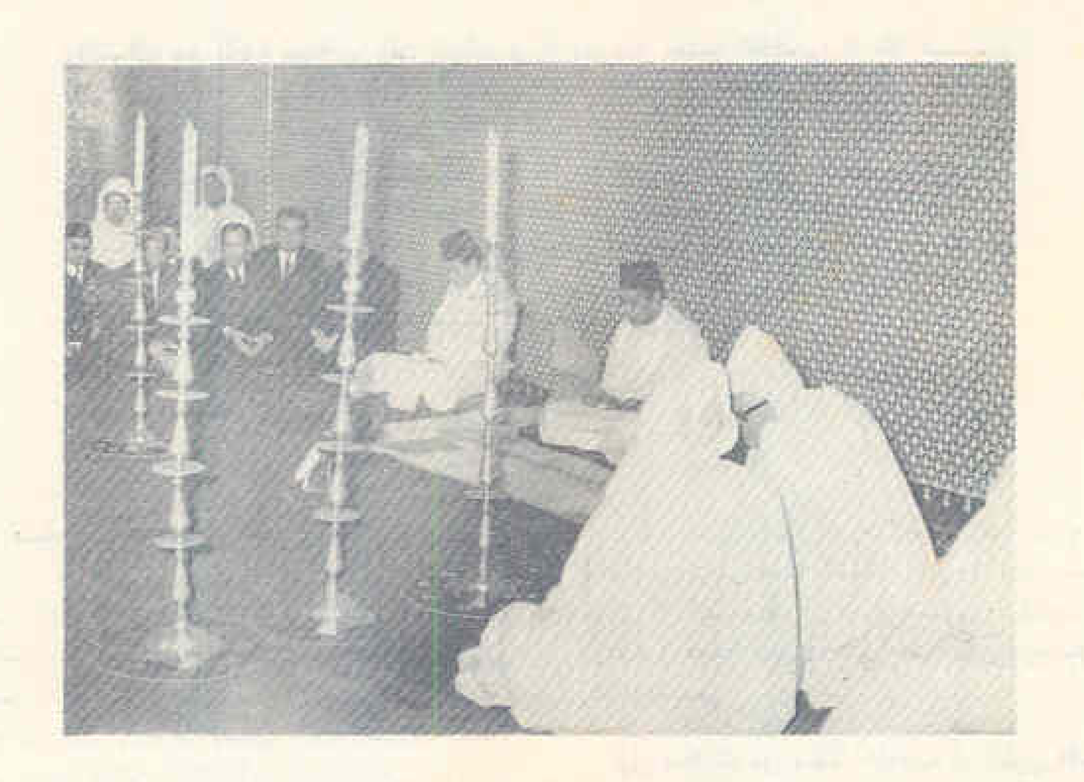
الى مجلس أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ...

مولاي :

أرى من واجبي بادىء ذي بدء أن احيي فيكم غيرتكم من اجل الحفاظ على تراث عرف به المغرب منذ فجر تاريخه ، فلقد كان لكم ايدكم الله فضل البرور بعهود اولئك الذين تقدموا : يحيى الاول من الادارسة ، وعلي بن تاشفين من المرابطين ، والمنصور من دولة الموحدين ، وأبي الحسن من بني مرين ، واحمد الذهبي من السعديين .. ثم اولئك الملوك الذين تربعوا على العرش من اجدادكم المنعمين .. لقد اتخذوها سنة ان يحتفوا بطلائع الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، فيستدعوا أعيان العلماء من سائر الجهات ويؤمنوا لهم السفر والمقام ليجتمعوا عند الظهر والاصيل على مدارسة كتاب الله وحديث رسول الله .. سنها الرشيد وتوارثها الملوك كابرا عن كابر .. لم ينل منهم حر مصيف ، ولا كرب خريف ، ولم تثنهم بهجة حضر ، ولا هجعة سفر .. وقد أضفى على هذه السنة حبركم المقدس مولانا الحسن بما فتحه من باب المناقشات ، وما أسداه من كريم الصلات .. وما زالت مجالسنا تتارج بذكر صفوة الملوك المغفور له محمد الخامس رضي الله عنه .. فلقد كان اتخذ منها مجالس مزدوجة الهدف : فتح عيون الاجانب على مغرب له في ماضيه ثقة لا تضعف وله في تقاليده رصيد لا ينضب ، له الى ذلك الماضي وذلك الرصيد دائما حنين ، ثم كانت تلك المجالس اكاديمية تبارى فيها اقطاب العلماء وسمعت من عمق التفكير وبليغ التعبير ما يشهد به هذا التعلق الشديد منكم باهداب الشريعة وآدابها والتعمق المكين منكم في اسرارها وخفاياها ...

مولاي :

واذا ذكر من حسنات البلاد ويمن طالعها ان ينعم الله عليها بائمة منها لا يضيعون أمر الهلال ، فاننا سنشعر باعتزاز ما عليه من مزيد ونحن نستعرض تاريخ بلادنا ، فقد كان من عناية ملوكنا بامر الاهلة بالذات انهم ما فتئوا يشيدون البروج والمراصد عبر البلاد ، ويكفي أن نعرف أن أول محاولة



لتوحيد التاريخ العربي بين المغرب والمشـــرق كانت في القرن السادس على عهـــد المرابطين ، ويكفي أن نسمع عن البروج والمراصد التي شيدها الموحـــــدون والمرينيون والسعديـــون .. ويكفي أن نعرف أن جدكـــم المنعم المولى اسماعيـــل كان أول من سن رصد الاهلة بطرق محكمة منتظمة ، وقد عـــزز هذه البادرة بنوه الاكرمون وكان في صدرهم السلطان المولى الحسن الاول الذي أثر عنه حرصـــه على التقاء العلم والفقه معا فكان يعهد الى قضاة المغرب برصد الرؤيـــة ولكنـــه كان ايضا يستشيـــر باستمرار نتائج الميقاتيين والفلكيين ..

لقد كانوا ملاذا للعلم والعلماء فحافظوا بذلك على تمكين الروح الاسلاميـــة واستمرارها ، وغذوا من معرفة الخاصة ، وعملـــوا على تفقيه العامة ، وهكذا ربطوا بينهم وبين امتهم ميثاقا لا تنفصم عـــراه ، وعهـــدا لا تبلـــى أواصره ، وظـــل النصح بذلك متبادلا بيـــن المؤمنيـــن وأميرهم وبيـــن الرعيـــة وراعيها ..

مـــــــــــو لا ي :

وكما جعل اولئك من بلاد المغرب مدرســـة عرفت بفتاويها التي تهادتهـــا أرجاء العالم الاسلامي أردتم اعزكم الله ان تفتحوا بابـــا جديدا للمناظرة بمجلسكم العلمي الموقـــر حول ما اذا كانت الوسيلة الفلمية لا تتنافى وتعاليم الاسلام ؟ وهل سنقتصـــر في نوازلنـــا اللاحقة على الاستشهاد بفتاوي كانت لهـــا ظـــــروف سابقـــة ؟ وقد أتى ذلك منكم في ظروف نحن أحوج ما نكون فيها الى وضع هـــذا السؤال بالذات : ظروف حيرت العالميـــن بله الغافلين ، ظروف تغيرت مقاييسها والتبست على النـــاس جادتها ..

مـــــــــــو لا ي :

لقد كان والدكم المنعم يتحدث بان ثروة البلاد الروحية لا تقل عن ثروتهـــا الماديـــة ، ولذلك فقد كان ــ نور الله ضريحه ــ يحرص على أن يسير جنبا الى جنب يقوي من تلك وينمي من هذه لانه كان يعرف أن الثروة بـــدون ايمان نقمة ،

والاسلام مع القوة نعمة .. وقد نشأتم في « مدرسة محمد الخامس » فلا غرو أن نراكم لخير الدين والدنيا عاملين ، ولا عجب أن تعطوا المثل على أنكم على ذلك النهج سائرون ، وفي طريقه جادون ...

واستجابة مني لقولة منكم صادقة : « اذا كان من الدين أن ينصح أمير المؤمنين فمن الدين كذلك أن يطلب أمير المؤمنين النصيحة من العلماء » . وعملا بما يفرضه علي الواجب رأيت أن أسهم ببعض الحديث أو ما يشبه أنه حديث، فان كنت قد أدركت بعض الصواب فلي من أجره ما أصبت ، وان كانت الطريق قد ضلت عني فلي منحسن نيتي ما يغفر لي بادرتي .

من أصداء الدعوة الملكية في الخارج ...

اذكر كثير لتدخل الملوك والرؤساء في مثل هذه النوازل أمام رجال السلك الديبلوماسي للبلدان الاسلامية ، اذكر ان الناس في المشرق عنوا بالموضوع اكثر من أي وقت مضى .. وقد تجاوب علماء ايران مع دعوة جلالة الملك الحسن الثاني ورددت المجلات هناك رأي فضيلة آية الله القمره أي : (انه لمن دواعي السرور أن يفكر ملوك العالم الاسلامي وعلماؤه في توحيد بدء أول شهر رمضان بين المسلمين ..) وقال آية الله نوري : (ان اقتراح جلالة الملك الحسن الثاني هو مسالة فلكية ولهذا يجب أن يجتمع الفلكيون في العالم الاسلامي لكي يتبادلوا الاراء وعندئذ يمكن تطبيقها في البلاد الاسلامية ..)

وعلقت بعض الافتتاحيات في لبنان على الموضوع قائلة : (لقد حان الوقت لكي يتوسع الاجتهاد الديني ليجاري الزمن .. ان الصيام مفروض على اساس شهر قمري كامل وكل ما يضبط هذا الشهر يكون اقرب الى غاية الدين ونصوصه .. ليس معقولا ان يقال اليوم : الغيوم تحجب القمر .. ليس معقولا ايها السادة العلماء والا كان علمكم في غير زمانه ان القمر يسبح في فلكه بانتظام وعما قريب يصل اليه الانسان) .

لكن اهم من هذا ان قاضي بغداد الشيخ علاء الدين في بلاغه للناس ليلة العيد تحدث باسلوب سمعته لاول مرة ، لقد قال : (حيث ان هلال شوال قد ثبتت رؤيته في اكثرية البلاد الاسلامية واستنادا الى راي جمهور الفقهاء الذي لا يعتبر اختلاف المطالع وأن الهلال اذا رؤي في بلد لزم سائر البلدان قررنا — يقول قاضي بغداد — اعتبار اليوم الاول من شوال لعام 1385 يوم السبت غدا ...)

ذكرت كل هذا لابرز الاهمية التي أصبح العالم الاسلامي يوليها لهذه القضية التي لا تعني فقط مسالة افطار أو امساك في يوم معين ولكنها تعني **الرغبة في ضبط حياة ، في ضبط تاريخ يجمع ملايين المسلمين .**

أول محاولة من ملوك المغرب في القرن السادس

اذا كانت قضية هلال رمضان قد شغلت الناس غداة تشريع الصيام فان مسالة الاهلة جميعها وليس هلال رمضان على الخصوص قد وضعت في المغرب منذ فجر القرن السادس الهجري وفي مستوى الامراء والعلماء .

لقد كان السلطان العظيم يوسف بن تاشفين وجه سنة 485 بعثة ديبلوماسية الى بلاط بغداد لاستمزاج الرأي مع المستظهر بالله حول تطارح بعض الزعماء في الاندلس على الاجنبي يبتغون حلفه ضد ابناء جلدتهم .. وكانت تتالف من سفير هو الامام عبد الله ابن العربي وكاتب هو نجله القاضي ابو بكر .. نجحت السفارة وعاد الكاتب من المشرق يحمل معه تأييد لموقف المغرب كان عبارة عن أربع رسائل : احداها من المستظهر نفسه الى يوسف بن تاشفين ، وثانيهما من وزيره ابن جهير الى السفير عبد الله ، وثالثها من الامام الغزالي ، والرابعة من العلامة الطرطوشي ... ومنذ هذا التاريخ انتظمت المكاتبات بين زعيمي العالم الاسلامي على ذلك العهد : ذلك في بغداد وهذا في مراكش .. ولما توفي يوسف سلك ولده الامير على طريقة أبيه في اموره كلها .. فظل يراسل المستظهر واستمر هذا يكاتبه ، وكانت الظروف آنذاك تتطلب مثل هذه المشاورات فان الغزو الصليبي الذي كان يتهدد المشرق والمغرب على السواء كان جديرا

بتوحيدوجهات النظر.. هناك شيءمنخلال تلك الرسائل أثار انتباه العاهل المغربي ، ذلك ان المكاتيب البغدادية كانت تحمل تاريخا يختلف عن التاريخ الذي يورخ في الديـار المغربيـة ، وقد (عمل ذلك في قلب الخليفة) على حد تعبيـر الوثائق التاريخية ، فقد كان الاميـر الشاب ـ فيما يلوح ـ يستشكل ظهور الهلال ببغداد وعدم ظهوره هنـا .. ولم يقف الامـر عند حد التساؤل ولكنه تجاوزه الى تكليف وزيره وكاتب ديوانه ابي القاسم ابـن الجد (ت 525) باستشارة الفقهاء واهل العلم حول هذا الاختلاف في اوائل الشهور وهل له مبرر علمي معقول ؟ وقام هذا بما عهد به اليه ، فذاكر عـددا من فقهاء المغرب لكنه لم يجد جوابا شافيـا يستطيـع ان يرفعه الى علم الامير حتى تناهت اليـه الاخبار ذات يوم وهو بمراكش سنة عشر وخمسمائة بتوالـي الغارات على شرق الاندلس فجاز اليها جوازه الثالث اواخر المحرم سنـة 511 .. وقد اراد ابو القاسـم ابن الجد في هذه الاثناء ان يسمع الامير عليا بن يوسف ملخص ما سمعه هو من العلماء فدعا الى جمع ضـم اعيانهم واعلامهم كان ممن حضره باشبيلية احد رجال الكمال والارتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها وانواعها: مالك بن وهيب (ت525) .. وقد كان الامير يصغي لابـي القاسم ابن الجد وهو يطـرح السـؤال امام هؤلاء الفقهاء الذيـن كان فيهم جمع من اشبيلية وجمع مـن قرطبة ، قال لهم : (نجد تاريخ بغداد يسبق تاريخنـا بيـوم ويوميـن ؟) **كانت هذه اول مناظرة جماعية ..**

* * *

اهميـة السؤال :

يرتكز تاريخنا نحن على القمر فمعه نسير ، وبـه نهتدي ، وعن طريقه نعلم عدد السنيـن والحساب ، ومن هنـاك كان الاهتمام بامر الاهلـة ليس ثانويـا ولكنه بالغ الاهمية ، ليس فقط لان الاهلة تحدد شهور صومنا وافطارنا ، ولكن ايضا لان جـل التشريعـات الاسلاميـة تتوقف على ذلك ، خذ لك مثلا ميقات صلاة العيدين ، وصدقة الفطر ، ومعرفة سن الشاة واسنان الابل والبقـر في الزكاة ، والحـج ، ووقوف عرفة ، والاضحيـة ، والعقيقة ، والاجـال ، والسلـم ، والمساقاة ، والاجارة ، واللقطة ، والايلاء ، والكفارة بالصوم ، والعدة ، والاستبراء ، والرضاع ، وكسـوة الزوجـة ، الـى غيـر ذلـك (1) ، مـن المعاملات والعبادات على السواء .. وليس هـذا بدعا فنحـن مرتبطون فعلا في عباداتنا وفي معاملاتنا **بشيء اسمـه** الوقت ولن يكون هذا الوقت غير تاريخ **يحدد الهلال** بدايته ونهايته ، فكل معرفة **بمداخل الشهور تعنـي** ضبط الامور والبعد بها عن **التردد والاضطراب وهكذا** فليس الاشتغال بهذه المسالة من **باب الترفيه والتلهي** ولكنها دلالة على الرغبة في اعطاء **الاشياء مقاديرهـا** الحقيقيـة ...

علاقـة هذه المناقشـة بالتاريـخ ...

ولاجل الحديث عن ذلك ينبغي **أن نلاحظ من الان** وحسب ما يتوفر لدينا من دلائل انها **اي تلك المناقشة** كانت متأثرة بالتاريخ ولهذا فلا مناص **من دراستهـا** مقترنة بالتاريخ مرتبطة به .. اريد **أن اقـول ان الحديث** عن هذه القضية تطور نصا ومضمونا **عبـر السنيـن** فالتدليل على الهلال في القرن الاول **من لدن بعـض** الفقهاء كان يختلف عنه في القرن الثاني **عندما ظهر ابو** جعفر المنصور الذي كان يعنى **بالفقه والفلـك معا ..** والحديث عنه في هذا القرن **اختلف عنه في القرن الثالث** ايام المامون بن هرون الرشيـد الـذي **قرب اليـه** المعدلين والفقهاء وجمع بين المحدثين والفلاسفة، **وهكذا** ايضا عند القرن الثامن يوم نادى تقي الدين السبكي بالالتفات الى الحساب كعنصر يمكن ان يطعن فـي الشهادة المريبة .. وهكـذا دواليك حتى **القرن الثالث** عشـر .. وتاريخ المدن التي كانت مركـزا للعلمـاء الذيـن تناولوا المناقشة في الموضوع ، ووضـع العلماء انفسهم من حيث حياتهم الاجتماعية : خلودهـم للسكون في عقر بيوتهم ، تحركهم هنا وهناك .. ومـن حيث الوظائف التي زاولوها ودرجة **احتكاكهم بافـراد** مجتمعهم ومشاكل امتهم .. كل هذا **له دخل في الموضـوع ..** وليست الاهلة الا مثالا عابرا فان **كثيرا من القضايـا** اذا لم تعالج من زاويـة التاريخ **ايضا تظل عرضـة** للمناقشة الدائرة .. او ليس الفقه **الا تعبيرا عن المحيط** الاجتماعي وتصويـرا للافـاق التـي **نشاهدهـا ؟** وموضوعنا بالذات سجل التاريخ عنه **أول مناظرة منذ** ايام سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا **عبد الله بـن** عبـاس رضي الله عنهم .. وفي ايام **القاضي ابن سريج** (ت306) بل ان المناظرة اتسعـت **وامست تتنـاول** مسالة التقويم الهجـري كله **بيـن جناحي العالـم** الاسلامـي ..

1) السبكي : الفتاوي ، الاول نشـر القاهرة 1356ص 217 .

وفي ابرز ما يضفي الضوء على هذه المناقشة معرفة كل من وجهة النظر العلمية ووجهة النظر الفقهية حول تحديد الشهر مبدا ونهاية ، وما يترتب على كلا النظريتين ، وذلك حتى نفتح عيوننا على الافاق التي ينبغي علينا ان نصلها عندما نعتمد رايا ما من الاراء ..

ففيما يتعلق بالحساب فان الشهر عند رجال الهياة محسوب ابتداء من اللحظة التي يتم فيها انفصال القمر عن الدائرة الشعاعية ويستمر الى ان يجتمع معها مرة ثانية وينفصل وهلم .. فهذا الاجتماع وهذا الافتراق يتم كما قلنا كل 29 يوما وكذا كسورا . اما فيما ينوب الفقه فان تعاليمه واضحة في أن مبدأ الشهر يعتبر بكل وضوح من الوقت الذي يرى فيه الهلال عند الغروب وان نهايته تتحقق عندما نرى الهلال مرة ثانية عند غروب اليوم التاسع والعشرين او عند ما يكمل العدد ثلاثين في حالة تعذر رؤيته ، فهو متارجح بين تسعة وعشرين يوما وبين ثلاثين بصرف النظر عن الكسور .

ماذا يترتب على التعريفين ؟ :

ويترتب على اختلاف النظريتين أمور لا ينبغي ان نغض الطرف عنها .. لقد علمنا ان الشهر عند رجال الهياة يبتدىء دائما قبل الفترة التي يبدا فيها عند رجال الفقه ، ونتيجة لذلك فهو ينتهي قبل ، وهكذا فعندما نشاهد هلال شهر ما من الشهور على الافق ، فمعنى ذلك علميا أن الشهر ابتدا قبل هذا الوقت لان اجتماع النيرين يتم فعلا قبل ذلك الوقت ، وعليه فانما نعده حسب رؤيتنا اول الشهر قد يكون في نظر العلم ثاني الشهر ، وعلى هذا ايضا فان اليوم الذي نكمل به الثلاثين قد يكون في نظر العلم هو اول ايام الشهر الجديد. وينبغي التنبيه الى ان العلم لا يفرق بين ان يتم ذلك الاجتماع والافتراق ليلا او نهارا فلو فرضنا انه حصل قبيل الفجر فان اليوم الاول من الشهر يكون بعيد الفجر مباشرة ، ولو انه حصل اللقاء والفراق اثناء النهار فان الشهر يبتدىء في الدقيقة الموالية لهذه الاثناء .. نرى ان مداخل الشهور علميا تتقدم مداخلها شرعيا وانها في الاعتبار الاول تتقيد برؤية بينما هي هي في الاعتبار الثاني خاضعة لها ..

واعتقد انه لا مناص من استشارة ازيد لاراء سائر علماء الفلك تحقيقا للغرض من تحليلاتنا القابلة للنصوص الشرعية .. ان تلك الاستشارة ستعيننا على تفهم تعاليم الاسلام في اطمئنان .

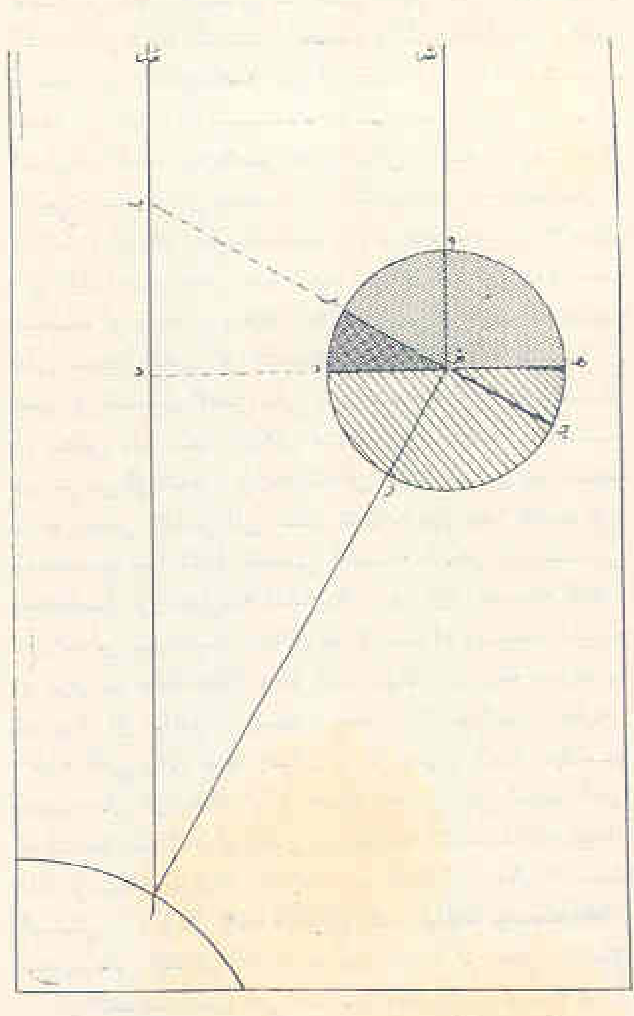
يتجلى من استعراضنا للوسائل التي يعتمدها العلماء لمعرفة اوائل الشهور أن هناك طرقا تتبع هنا وهناك ..

وبعد ان نشير لما كنا المعنا اليه من أن الشهر في النظرية العلمية البحتة يبتدىء منذ اللحظة التي يتم فيها اجتماع النيرين وانه يستمر الى ان يجتمعا مرة اخرى نذكر ان هناك طريقة داب عليها الذين يميلون للاخذ بالطريق الاسهل لمعرفة مداخل الشهور وهي طريقة الجداول المتداولة او طريق (حساب العلامة) كما يسميها اهل الفن . والاعتماد على هذه الطريقة ايضا ينافي الاخذ بالنصوص الخاصة بالرؤية هذا الى انها تفترض ان يكون رمضان من ثلاثين يوما باستمرار ، الامر الذي لا يتفق مع النص بالاضافة الى انه لا يطابق واقع الرؤية اذ ان هذه الجداول تقضي احيانا بتقدم مدخل الشهر على الوقت الحقيقي ، واحيانا بتاخره ..

لكن الطريقة المثلى التي تعتبر اكثر دقة ، واكثر مطابقة هي طريقة (حساب الرؤية) ، ومن خصائص هذه الطريقة انها تتعقب حركة الهلال بعد انفصاله عن الشمس وذلك لتضبط الميعاد الذي يمكن فيه ظهوره في الافق مع غروب اليوم المقصود .. وبدراستها يتضح انها طريقة حكيمة ورشيدة ، فليست كالاولى تكتفي باجتماع النيرين ، وليست كالثانية تعتمد فقط على **التلفيق بين الجداول** ولكنها **تؤمن بالرؤية كمبدأ وتتوسل لتسهيلها للناس** .. ولهذه الطريقة مناهج متعددة يسلكها الفلكيون كل حسب اجتهاده وحسب استعداده، وفي المحققين من يجمع بين عدد من الطرق امعانا في التاكد وزيادة في التثبت ..

لقد عالج المنجمون الاقدمون من المسلمين الحديث عن **حدود الرؤية** .. وكان أهم حد عنوا به هو ما يسمى عندهم **قوس الظهور** ، ونعتقد ان ابرز من بسط الموضوع من علماء المسلمين هو محمد بن جابر البتاني (ت317) سلطان المنجمين والموقتين الذي ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية في العصر الوسيط .. لقد كان يرى أن قوس الظهور هو الاصل الذي عليه

المدار وظهر الهلال والا فلا .. ويتعلق الامر بانفصال القمر وابتعاده عن المركز الذي يكون فيه متوسطا بين الارض والشمس الى حيث يمكن ملاحظة جزء منه من طرف النظارة .



لنفرض أن ملاحظا وقف في مكان (ا) الذي يشير للارض ، فان (اش) تعني اتجاه الشمس ، و(ق) يعني القمر ، و (قش) تعني الخط الذي يجمع مركز دائرة القمر بالشمس ، ونظرا لبعد المسافة بين الارض والشمس نسبيا فان من المفروض ان يكون (اش) و (قش) متوازيين . النصف المضيء من القمر هو (دوهـ) المتصل بالخط القائم : (قش) لكن الجانب المضيء فعلا من النصف هو فقط القوس (بقد) الذي يتخذ شكل هلال مقداره يعادل (ترق!) . فالزاوية (شراق) — وهي قوس الظهور — ينبغي — حسب رصد البتاني — ان لا تقل هذه القوس عن 12 درجة و11 دقيقة حتى تمكن رؤية الهلال الامر الذي لا يتحقق الا اذا مرت 24 ساعة تقريبا على اجتماع النيرين وانفصالهما .

هذا الشرط الاساسي ويأتي بعده هذا حد آخر لرؤية الهلال في نظره ذلك ان يمكث الهلال بعد غروب الشمس على الاقل مقدار ثمانية واربعين دقيقة .

وبعد البتاني البيروني (ت400) الذي تمسك **باثنتى عشرة درجة** كحد تقريبي للاهلال .. ثم ورد نصير الطوسي (ت672) الذي اشترط للرؤية ان يكون البعد اكثر من **عشر درجات** .. اما الشهاب الريشي فقد ركز على حدين : المكث ، والنور : فان كان مكث الهلال يصل 48 دقيقة ، وبلغ حجم نوره 40 دقيقة (أو ثلثي اصبع كما يعبر الشهاب) اقول ان توفر هذان الحدان رؤي الهلال ، والا امتنعت رؤيته .. فان تحقق احدهما فقط كانت الرؤية عسيرة .. ولمن تبع هؤلاء من امثال ابن البنا (ت721) وابن الشاطر (ت 777) آراء مماثلة.

وللوصول الى حدود الرؤية جميعها : قوس الظهور، المكث ، النور لابد من التعديل والحساب لما بعد غروب الشمس بنحو نصف ساعة ليوم 29 من الشهر .. ويمر الحاسب بمراحل دقيقة جدا ولكنها تؤدي في الاخير الى ضبط وضعية الهلال عند مغيب الشمس ..

الحالات الثلاث

ولاجل ان نعرف الى اي حد ينبغي ان نستفيد من العلم لابد ان نتناول حالات ثلاث ممكنة على ضوء ما سبق :

الحالة الاولى ان يثبت العلم ان اجتماع النيرين احدهما بالاخر **تم بعد غروب يوم 29** من الشهر

الحالة الثانية أن يثبت العلم اجتماعهما وافتراقهما تم **قبل الغروب** ولكن بمدة غير **كافية قطعا** لظهوره .

الحالة الثالثة ان يثبت العلم أن اجتماعهما تم **قبل** الغروب **بمدة تكفي قطعا** لظهوره .

الحالة الاولى : ان يثبت عند العلم ان اجتماع القمرين وافتراقهما تم **بعد غروب** الشمس ، فاليوم الموالي يعتبر عند اهل الهيأة بداية الشهر على ما اسلفناه وبالامثلة وضحناه ، بينما هو عند رجال الفقه ليس الا تتمة للشهر المنصرم .. وهنا موقفنا واضح : الفقه لا يقر نظرية اهل الحساب .. وينبغي ان نذكر هنا ان كل اجماع يروى عن الفقهاء في موضوع عدم اعتبار **قول المنجمين** محمول عند المحققين من العلماء

على هذه الصورة (1) ، والملحظ واضح وهو ان الامر يتعلق برؤية ممكنة للهلال ، وطالما ان هذه الرؤية مستحيلة فالشهر عندنا ايضا غير موجود ، وقد ربط المشرع عليه الصلوات صومنا باعلام واضحة وامور ظاهرة لائحة يستوي في معرفتها جماهير الناس.. ولذلك فلم يقم وزنا لنظرية اهل الحساب هذه بان الاجتماع كاف لوجوده في نفس الامر بل اعتبر الوجود في نفس الامر مشروط بشيء ثان هو امكان الرؤية ، ومن ثمة كان الشهر عندنا هو ما بين **ظهور** الهلاليين لا افتراق النيرين ... ومن ثمة ايضا كان الشهر عندنا احيانا من تسعة وعشرين واحيانا من ثلاثين على ما تقدم ..

الحالة الثانية : ان يثبت عند العلم ان اجتماع النيرين وافتراقهما تم **قبل غروب** الشمس ولكن **بمدة** غير كافية لظهور الهلال **قطعا** معها للناس .. هنا جانبان في الموضوع ، الجانب المرفوض والجانب المستقل ، فالجانب الاول اننا ما نزال على راينا من ان امكان **الرؤية** شرط لازم ولذلك فلا وجود عندنا للشهر لكن الجانب المقبول هو اننا نعتمد نتائج العلم هذه لنتحفظ بها ازاء شهادة قد ترد علينا رواية انها رات الهلال ، ترون اننا اخذنا من العلم ما يتوافق ومبدا الاسلام ، ولكنا رفضنا منه الجانب الذي لا يراه الفقه .. وليس من ضير في أن نستعين بالحساب من هذه الناحية .. وسنسمح لانفسنا بالاسترسال في الحديث عن هذه الحالة :

لقد عقد الامام تقي الدين السبكي فصلا خاصا لهذه المسالة في فتاويه : (من شهد برؤية الهلال واقتضى الحساب تكذيبه) والامام السبكي معروف بسعة اطلاعه وبديع صياغته ، وهو الى هذا عالم ضليع ومحدث مدقق واصولي بارع ورحالة مستفيد ورياضي متقن ، انعكست اضواء ثقافته على مؤلفاته وقد تقلب في وظائف سامية مكنته من الاحتكاك بقضايا الناس حيث كان قاضي القضاة بدمشق لمدة طويلة وحيث اضيفت اليه الخطابة بالجامع الاموي وتولى التدريس بدار الحديث ، **وكان يتتبع سير الاهلة شهرا طيلة عشرين عيدا** ..

ان الاسلوب الذي عالج به هذه الصورة بالذات والذي يكتسي حلة من الالحاح زائدة ينم بحق عن مدى الاهتمام الذي يوليه للحساب حينما لا يصطدم بمبدأ ولا يهدد قاعدة .. ان الحساب حينما يدل بدلالات قطعية موثوق بها على ان الهلال لا يمكن أن يرى ، ففي هذه الحالة لا يمكن افتراض رؤيتنا له حسا لانه مستحيل ، ولهذا فلو اخبرنا مخبر بانه رآه فالذي يتجه عندنا — يقول السبكي — حمل الخبر على الغلط او الكذب لان دلالة الحساب قطعية والشهادة ظنية ، والظن لا يعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه .. وشرط البينه أن يكون ما شهدت به ممكنا .. فاذا علم ان اشارات الحساب تقطع بعدم امكان رؤيته استحال القبول شرعا لان مضمون المشهود به مستحيل ، والشرع لا يقر بالمستحيلات ، ولم يرد نص في الاسلام بأي الشاهدين تقبل شهادتهما سواء كان المشهود به صحيحا او باطلا .. وهكذا فلا يترتب وجوب الصوم على مجرد الخبر او الشهادة . فالواجب علينا أن نتبين في قبول الخبر حتى نعلم حقيقته اولا .. ولاشك ان بعض من شهد الهلال قد تكون شهادته بدافع من غرض او طمع .. والحقيقة ان هناك اكثر من سبب يدعو بعض الناس الى تقديم شهادة من هذا النوع .. وسنسمع مرة ثانية لقاضي القضاة الامام السبكي ليحدثنا عن تجاربه الخاصة ، قال رحمه الله : (ان بعض من يشهد الهلال قد لا يراه ويشتبه عليه او يرى ما يظنه هلالا وهو ليس بهلال او تريه عيونه ما لم يره او يؤدي الشهادة بعد ايام وتلتبس عليه الليلة التي راى فيها الهلال ، او يكون جهله عظيما يحمله على ان يعتقد ان في حمله الناس على الصيام اجرا له ومثابا عندالله! او يكون ممن يقصد اثبات عدالته فيتخذ ذلك وسيلته لتزكيته وقبوله عند الحكام .. قال الامام السبكي : (**وكل هذه الانواع قد رايناها وسمعناها**) فيجب على الحاكم اذا عرف من نفسه او بخبر من يثق به ان الحساب يدل على عدم امكان الرؤية ان لا يقبل تلك الشهادة ولا يثبت الهلال بها ولا يحكم بمقتضاها ويستصحب الاصل في بقاء الشهر فانه — اي الاستصحاب — دليل شرعي حتى يثبت خلافه فان تجويز الغلط او الكذب على الشاهدين اولى من تجويز انخرام سير منازل الشمس والقمر .. وحق القاضي — يقول السبكي — ان يتيقظ لذلك وان لا يتسرع الى قبول الشاهدين حتى يتبين حال ما شهدا به ايكانا وعدمه ، وهل بحرهما يقتضي ذلك ام لا؟ وهل هما مما يشتبه فيهما ام لا ؟ ولو كان كل ما يشهد به شاهد، ان يثبت عند القاضي لاصبح القضاء في متناول كل الناس لكن لابد من نظر لاجله جعل القاضي ، فاذا

1) ابن رشد : البداية اول 196 — القرافي الفرق 102 — السبكي ص 217—218 .

قال القاضي : (ثبت عندي) فمعناه انه استوفى كل تلك الاحوال ...

لقد فضلت ان اقتبس جل ما أورده الامام السبكي هنا لاعبر بالقلم العريض كما يقولون عن الاهتمام الذي اخذ الائمة **يولونه للحساب** وعن الحذر البالغ الذي يقابل به المحققون اقوال الناس عندما لا تتطابق ومنطق العلم والرقم .

والحقيقة ان نظرية الامام السبكي هذه كانت منه في عصره بمثابة **(ثورة)** .. وقد حركت كثيرا من الناس بين مؤيد ومندد ، وقد قرانا فتاوي حول الموضوع هنا في المغرب ايضا كانت تتبادل بين فقهاء **يشحنونها حججا** وبراهين وفقهاء آخرين يفرغون تلك الحجج ويفجرونها ...

الحالة الثالثة : اما الحالة الثالثة — وهذا محور نقاشنا — فهي ان يثبت العلم ان اجتماع القمرين وافتراقهما تم **قبل** غروب الشمس بمدة **تكفي** لرؤية الهلال .. وهنا سننظر ان كانت احوال الجو تساعد فالعمل على ما وصل اليه رصد الناس ، لكنه اذا ما تعذرت الرؤية لسبب من الاسباب : سحاب متلبد ، بخار متصاعد ، هنا نرى الفقهاء فريقين : **الاول :** يقول باكمال الشهر .. والثاني يقول بتحكيم الحساب ، ولكي نكون على بصيرة تامة نتقدم بالحديثين الاساسيين الواردين في الموضوع :

الحديث الاول : عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فاقدروا له) .

الحديث الثاني : عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : (لا تصوموا حتى تروا « الهلال » ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدد ثلاثين) .

الفريق الاول : المكملون :

على رأي هؤلاء يكون معنى الجملة الاولى في الحديثين الشريفين : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) ان الصوم معلق **بالرؤية** فمتى حصلت كان ومتى لم تحصل لم يكن ، هي وسيلته الوحيدة ولا بديل لها ، ولاشك اننا ندرك من منطوق هذه الجملة ذاتها ودون الالتجاء الى ما بعدها ، معنى ظليا ثانيا وهو اننا اذا لم نره لعارض ما من العوارض فعلينا ان ننتظر بالصوم اليوم الموالي ، اي اننا نكمل ثلاثين يوما . وهذا المعنى المفهوم شاء المشرع عليه الصلوات — امعانا في البيان — أن ينص عليه بجملة ثانية فقال على رواية ابن عمر : (فان غم عليكم فاقدروا له) وقال على رواية ابن عباس (فان غم عليكم فاكملوا العدد ثلاثين) فمعنى الجملة في الرواية الاولى انه اذا حال بينكم وبين الهلال غيم أو شبهه فاقدروا له ، دون تحديد نوع التقدير ، ومعناها في الرواية الثانية التصريح الفصيح بأن لا معنى لقوله : (اقدروا له) الا اكمال العدد ثلاثين .. وبهذا يكون حديث ابن عباس مفسرا للقصد من حديث ابن عمر أي أن ذلك الاجمال في الحديث السابق كشف عنه الحديث اللاحق ؛ ولاشك أن علماء الحديث لا ينشدون احسن من تفسير وارد بوارد اخر من جنسه وفصيلته .. وقد حرص بعض الذين ساندوا هذا الراي على الاستدلال بمثل ما ورد في كلام الشيخ ابن الصلاح (ت643) في معرض تعليق له (1) من (أن معرفة الحساب **امر دقيق يختص** بمعرفته آحاد الناس..) وبمثل ما ورد في كلام الامام النووي (ت677) من (أن سبب عدم البناء على حساب المنجمين يرجع لكون الحساب **حدسا وتخمينا** ليس الا (2)..) وكذا بمثل ما ورد في تفسير الامام القسطلاني (ت923) (اننا لم نكلف في تعريف مواقيت صومنا ولا عباداتنا بما نحتاج فيه الى معرفة الحساب وانما ربطت عباداتنا باعلام واضحة ، **وامور ظاهرة** يستوي في معرفتها **الحساب وغير الحساب** (3)) واخيرا بمثل ما نقله الامام الزرقاني (ت 1099) : (ولا يصح أن المراد بقوله « فاقدروا له » حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا ذلك **لشق عليهم لان الحساب لا** يعرفه الا افراد والشرع انما يكلف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...) (4) .

---

1) الزرقاني على صحيح الموطا ثاني ص 85—86 .
2) المصدر السابق 86
3) القسطلاني شرح البخاري ثالث ص 291 .
4) الزرقاني ص 86 .

الفريق الثاني : الحاسبون

وبعد هذا ننتقل الى وجهة نظر الفريق الثاني.. يرى ان لقول الرسول : فان غم عليكم فاقدروا له) معنى غير معنى اكمال الثلاثين . ومعناه في نظرهم: اعتمدوا على ما يعطيه التقدير اي الحساب ؛ فلو انه اي الحساب دل على ان الرؤية ممكنة كان على المسلمين ان يصوموا ولو انه اي التقدير والحساب دل على العكس لكان العكس هو المطلوب ، نرى ان الامر يتعلق عند هؤلاء **بامكان** رؤية الهلال وليس الى **الرؤية** ذاتها ، وكما اعتمدنا الحساب في مواقيت صلواتنا وفي اشياء اخرى ينبغي ان نعتمده في الهلال او ليس سير القمر والشمس مضبوطا بحسبان ؟ او ليست المنازل تسير حسب تقدير ؟ عرفنا الفريق الاول يعتبر ان هذا الشق الثاني في الحديث الشريف : « فان غم عليكم ...» زيد فقط لتاكيد ما فهم سلفا من الشق الاول، لكن هذا الفريق يعتبره انشاء لحكم جديدفي قضية جديدة: الاستعانة بالعلم عند عجز الحاسة ، قال مطرف بن الشخير البصري (ت 87) وهو من كبار التابعين معنى « فاقدروا له » الرجوع الى الحساب ، وقال الحنابلة معناه « قدروه تحت السحاب » وفسره الامام ابن قتيبة الدينوري(ت276)بالرجوع الى الحساب ايضا.. وقد ذهبت طائفة من الشيعة الى اعتماد اهل التسيير عند التعذر .. وقال القاضي ابن سريج البغدادي (ت 306) ان معناه قدروه بحسب المنازل ، ونقل الباجي (ت374) عن الداودي مثل هذا القول ونقل بعضهم عن الامام الشافعي تشجيعه على الالتجاء الى الحساب عند التعذر (1) . وقد افاد الامام السبكي ايضا (ت755) ان الشريعة لا ترد على من قال بجواز الصوم بالحساب وانها لا تبطل مقتضيات الحساب ، ولكنها تخالف فقط النظرية البحتة لعلم الهياة في تحديد الشهر بانه المدة ما بين **افتراق** النيرين لحين **اجتماعهما** مرة ثالثة .. وبصوب العلامة الزركشي (ت794) ان المنجم اذا عمل بحسابه فانه قد رفع التبعة عن نفسه واجزاه ذلك عن فرضه . على ان هناك طائفة عززت الاعتماد على الحساب بما يفهم من الاية الشريفة : « وبالنجم هم يهتدون » فان فيها تدليلا على الالتفات الى اشارات النجوم وحسابها اذا ما لزم الامر .

القاضي ابن سريج : لكل حديث مورد خاص :

واذا كان هذا راي هذا الفريق فان عالم بغداد القاضي ابن سريج (ت306) لم يتردد في ان يذكر ان هناك موردين مختلفين للحديثين الشريفين : حديث « فاقدروا له » وحديث « فاكملوا العدد ثلاثين » وبيان ذلك ان الاول كان خطابا لمن خصه الله بهذا العلم بينما الحديث الثاني خطابا للعامة اي ان هناك فرقا بين ملاحظة السير العادي للاهلة الذي يدركه عامة الناس وبين معرفة السير الحقيقي المبني على الحساب الدقيق الذي يستاثر به خاصة الناس ، فلكل مقام مقال ، والامر يختلف بحسب استعداد الناس وقابليتهم ، اذا كانوا لا يتوفرون على وسائل تمكنهم من استشفاف ما تحت الحساب بوسيلة علمية ما ، فان الله اذن لهم في تكميل العدد ثلاثين .. وهذا سلوك من ابن سريج لا يهمل الحساب وهو في الوقت ذاته يعمل برواية حديث ابن عباس ..

ولماذا صام ابن عمر يوم الشك ؟

على ان هناك ملاحظة اخرى ينبغي ان لا نغفلها تلك ان الصحابي الجليل سيدنا عبد الله ابن عمر يرى ان على المسلمين ان يصبحوا صياما اذا حال السحاب دون رؤية الهلال عشية اليوم التاسع والعشرين .. وهذا اليوم هو الذي يعرف في كتب الفقه بيوم الشك .. ترى ماذا كان باعث سيدنا ابن عمر على صوم هذا اليوم ؟ وماذا كان موقفه من رواية « فاكملوا العدد ثلاثين » .. لقد روي عنه انه كان يرى ان معنى « فاقدروا له » اصبحوا صائمين ، ونعتقد ان هذا الفهم من سيدنا عبد الله بن عمر كان اول حركة او اول اجتهاد في هذا الموضوع من صحابي جليل ، اجتهاد لم يقتصر على ترديد تفسير أو تاويل ولكنه تعداه الى سلوك طريق تنم عن انه لا يطمئن كل الاطمئنان الى ما فهم من الحديث من اكمال العدد ثلاثين .. وتنم عنه انه — ولو لم ينقل عنه راي صريح حول الاعتماد على تقدير الحساب — يفضل جانب الاحتياط ... وهذا من الاثار العملية التي يمكن ان يستانس بها من يميل الى عدم الاخذ باكمال العدد ثلاثين اخذا مطلقا ..

ولسنا بصدد الحديث عن تضعيف ملحظ عبد الله بن عمر .. ولا كذلك بصدد الحديث عن انه

---

1) الزرقاني ، الموطا ص 85 .

يقتصر على أول رمضان مثلا ، ولكنا فقط بصدد ان نعرف السر فى اختيار الرجل لنفسه هذا المذهب بالذات .. اليس لانه كان لا يرى ان تصرفنا سحابة عابرة عن الاخذ بجانب الحذر ؟

بين المكملين والحاسبين :

والآن وبعد أن حاولنا تقديم وجهة نظر كل فريق : الذين يرون تكميل العدد ثلاثين ، والذين يحكمون الحساب ، والذين يميزون بين حال وحال والذين يحتاطون .. بعد ان حاولنا ذلك نحن مقتنعون سلفا من اننا سنسمع – كما سمع الناس من ذي قبل – عن آراء تناصر هذا الفريق او ذاك .. وقد تتجاوز تلك المناصرة حدود المناقشة الموضوعية للتعريض بالناس والنيل منهم .. سنسمع عن ناس يرددون تعقيب ابن سيرين (ت110) على قول مطرف : (كان افضل له – اي لابن المطرف – لو لم يقله) وسيقول آخرون عن ابن قتيبة انه (ليس ممن يعرج عليه فى مثل هذا) ، وسوف لا نعدم من يذكر بما علق به ابن العربي (ت638) على راي ابن سريج من أنه (بعيد عن النبلاء) أو سيروي آخرون أن المعروف عن الامام الشافعي هو غير ما نقله عنه ابن خويز منداد ، وان ما نقل عن الامام السبكي فيه مبالغة ، وفى الناس من سيقصر الاهتداء فى الاية الشريفة (وبالنجم هم يهتدون) على الاهتداء بها فى البر والبحر .. ومن جهة اخرى فلابد ان تجد من يعتب على هؤلاء المعتبين بأن مطرف وابن قتيبة وابن سريج والسبكي وامثالهم ممن كانوا تيجان علم وعمل فى زمانهم ما كان لهم ابدا ان يتجاوزوا الحدود فى اجتهادهم لولا ما راوه مما يقتضي ذلك .. ولابد بعد هذا من ان تجد من يرمي الذين قصروا الاية (وبالنجم هم يهتدون) على ما قصروها عليه ، يرميهم بالتحكم وبالتكلف ، واخيرا سنسمع من بعض الذين يعتمدون الحساب عند تعذر الرؤية تركيزهم على أن بعض الذين زهدوا فى الحساب كانوا يستصعبونه – او استطاع (المكملون) وهم يشرحون وجهة نظرهم ان يحموا انفسهم من الاعتراف بان الدوافع لتأويلاتهم كانت تتلخص فى عسر الحساب ودقته ؟

نعم كل ما قيل ويقال وسيقال امر مرتقب فى موضوع كهذا . لكن املنا الآن أن نخرج من طور الترديد الى طور التجديد .. الى الالتفات الى الواقع الذي تعيشه الاسرة الاسلامية اليوم .

الرؤية بين الحاسة والوسيلة العلمية

لقد اناط الرسول عليه الصلوات هذه العادة بداية ونهاية برؤية الهلال ، و (الرؤية) حدث كسائر الاحداث قد تتم عن طريق البصر المجرد كما انها قد تتم بواسطة .. فعندما ارى وعلى عيني نظارتان اقول : انني رايت ، وعندما ارى بعيني مباشرة اقول انني رايت ، كلاهما رؤية ، واعتقد أن فى اطلاق الرؤية من قبل المشرع اشعارا منه بأن الغرض هو حصولها باي طريق كان وانه لا مانع عنده فى التوسل لهذه الرؤية بطريق ما .. ومعنى هذا ان الشارع قصد فقط الى التاكد والتحقق والتثبت .. وهذا فعلا هو الشأن فى كل تشريع يبينه الاسلام على **تزكية الحواس** ، خذ لك مثلا : ذكروا ان فيما يعرف به المتناولون للخمر ان تشم أفواههم .. ترى لو استعنا بالالة التي تعتمد عليها ادارات الامن اليوم فى اكتشاف السكارى ، هذه الالة التي يكفي ان يتنفس عليها المتهم لتعرف بدقة درجة سكره ونسبة الكحول فيما تناوله من مشروب .. ترى ماذا يقول فقهاؤنا هنا ؟ هل سيظلون مفضلين الاعتماد على انوف البوليس أم انهم سيبتهجون لهذه الواسطة التي لا تخطيء . .. خذ لك مثلا آخر يتعلق بالحاسة ايضا : تعرف انه كان على المحتسب أن يستعين بخبراء لمعرفة البضاعات المغشوشة ، ولذلك فقد كان يختار « مستذوقين » يعتمدهم لمعرفة المحتالين ، فماذا يتقبل الفقهاء الالات والمعايير التي تعطي فى سرعة ودقة نتائج خلط السمن بالبطاطة أو الحليب بالماء مثلا ؟ .. وخذ لك مثلا بعد هذا لو استطعنا استعمال الاجهزة الالكترونية فى حساباتنا فماذا عسانا نقول فى الاستعانة بها للوصول الى الفروض التي شرع الله فى الميراث من نصف وربع وسدس وثمن ؟ هل سنصر على الاكتفاء بادمغتنا التي اضنتها الاشتغال وارهقتها الاعمال ؟ .

الواقع أن ربط الاحكام بالحواس يعني الوصول الى غرض من شأن تلك الحواس أن تؤدي اليه ، ولهذا فلو وصلنا الى ذلك الهدف بطريق ما فلا ضير .. ومن هنا فضل الفقهاء اذا كان الامر يتعلق بحاسة أن يقع الاختيار على الفرد الاكمل فى تلك الحاسة امعانا فى مناشدة التاكد والتحقق والتثبت ... بمعنى اننا نفضل بالتاكيد قوى البصر فى مراقبة الهلال على متوسطه .. أريد ان أؤكد ان الاستعانة بالنظارات يعتبر فى نظرنا مثل الاستعانة بالاماكن العالية التي داب اسلافنا على قصدها فى

مثل هذه المناسبات ، ومثل البروج التي شيدها جدودنا في جل العواصم لرصد الاهلة .. كل ذلك لتقريب البعيد وتوضيح المبهم وتجلية الخفي **لتكون عبادة الناس في الارض وفقا لما دلت عليه اشارات السماء** .. ومن اجل كل هذا فلو تمكنا عن طريق المرصد ان نضبط الهلال لكان من حقنا أن نصوم لرؤيته ، وعندما نقول المرصد نقصد الى المرصد في سائر مراحل تطوراته عبر التاريخ الى الان والى ما يجد بعد الان .. فمن المرحلة التي كان المرصد فيها يقتصر على برج عال ، الى المرحلة التي تزودت فيه المراصد بالتلسكوب الى المرحلة الحالية التي تميزت بالدقة في انواع الالات التي تخترق السحب الملبدة لتكشف عما وراءها ، لقد ذكرت قول الحنابلة في تفسير الحديث الشريف (فاقدروا له) لقد قالوا : ان معناه « تدروه تحت السحاب » وها نحن قد توفرنا اليوم على ما يرفع درجة علمنا من « **تقديره** » تحت السحاب الى «**التاكد**» من حقيقته تحت السحاب.. لقد توفرنا على العلم .. توفرنا على الوسيلة وحتى لو قلنا : ان النص منوط بالرؤية المجردة فان واقع الامر آنذاك كان لا يمكن معه اكثر من ذلك ، كما ان واقع الامر بالنسبة للصلاة ـ كان لا يمكن بغير ظلال القوائم .. ومعلوم انه يجوز التصرف في الاحكام اذا كانت قد بنيت على واقع .. ان الائمة الذين اجتهدوا في الوصول الى معاني تلك الاثار الشريفة كانوا متأثرين بكل تاكيد ـ بما يقع عليه حسهم ـ بامكانيات مستفتيهم .. ولاشك ان حسنا اليوم يقع على اشياء غير التي كان يقع عليها بالامس فهل لا يتأثر الحكم نتيجة لذلك ؟ وهل سنرضى برفض نتائج العلم وهي انما تخدم لنا الغرض الذي من اجله نسعى ؟

تبعية الاحكام للاحوال ....

نعم بالاضافة الى الاطلاق في الرؤية وعدم التفريق بين أن تتم بالبصر المجرد أو بالبصر المقوى بالاضافة الى ذلك فان هناك ملحظا لابد ان لا يغفله الذين يهتمون بهذا الامر أو بما يشابهه كذلك من من امور .. ذلك ان ظروف الناس تتبدل من يوم لاخر .. ولابد ان الاحكام من حيث انها تعنيهم ان لا تقف ، ولابد لها ان تتكيف سيما اذا كانت لا تمس قاعدة اساسية في الدين .. والمتتبع لكلام المحدثين والفقهاء سيلمس الكثير من الجزئيات التي كان لها بالامس حكم واصبح لها اليوم حكم غير الاول .. **ان ما اتفق عليه الجمهور منذ قرن لا يلزم أن يكون هو ما يتفق عليه الجمهور في يومنا هذا .. وما كان مشهورا آنفا هل من الضروري أن لا تفارقه الشهرة الى الابد ؟ وعلى هذا القياس فان ما كان من رأي الاقلية سابقا لا يلزم أن يبقى رأي الاقلية لاحقا .. اذ من الجائز أن تكون الدوافع التي قللت من الاصوات آنذاك تلاشت وآل الامر الى وجود تلك الدوافع مع الجانب المقابل** .. هذه مقدمات اردت ان اوضح بها المقام بعض الشيء .

لقد اذن على عهد الرسول للمراة أن تحضر المساجد كما يحضرها الرجال ، وكان ذلك بصريح الحديث الشريف : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله » لكنه لم يمر زمن غير طويل حتى لاحظت ام المؤمنين عائشة ان بعض الطوائش اتخذن من حضور المساجد ذريعة لارضاء استطلاعهن فقالت عائشة الصديقية : « لو ادرك رسول الله (ص) ما أحدث النساء لمنعهن المساجد .. الحديث » ، لم تكن عائشة تقصد اطلاقا الى تعطيل رخصة سابقة ولكنها (رض) تمحصت النص وتمعنته ووصلت الى ان الظروف اليوم **غيرها** بالامس فلا جرم أن تمتد « الغيرية » للاحكام ايضا ... وهذا النوع من التصرف هو ما سميناه الاسترشاد بروح النصوص (1) وهو ما يعبر عنه ايضا بحاسة الفقيه ، وهذا بالضبط قصد العلماء بقولهم : « تحدث للناس فتاوى بقدر ما احدثوا » فلنكن على بال اذن مما حدث او احدث لنتصرف على ضوئه فيما نفتي به الناس لا عليهم فقط ، ولكن لهم ايضا بمعنى أنه قد يكون ما احدثوه مما يستوجب مخالفة وهناك تكون المعاقبة وقد يكون ما احدثوه مما يستوجب موافقة وهنا تكون المكافاة .

ومثل واحد في موضوع الاستفادة من عمق النصوص قد لا يكفي .. ولذلك فلنقرا امثلة اخرى من تغير الاحكام حسب الاحوال ، لقد كان اثبات الهلال في صدر الاسلام موكولا الى الجماعة المستفيضة اي اننا لا ننادي برمضان الا عند ما يراه « جمع عظيم » من الناس .. لكن الفقهاء بعد أن لاحظوا قعود الناس عن التماس رؤية الهلال وفتور همتهم لم يكن امامهم الا ان يكتفوا برؤية اثنين بعد أن كان الاثنان في السابق مظنة الغلط او الشبهة لقد ادرك فقهاؤنا ـ وهو ما نريد لهم اليوم أن يدركوه ـ ان تكليف الكل قد يضيع الكل ، فقبلوا رقما ممكنا ومناسبا مناشدة

(1) دعوة الحق مايه 1959 .

للممكن والمناسب ، وكان في ذلك اشـارة ـ فيمـا نعتقـد ـ للاعتماد على أيـة وسيلة اخرى ممكنـة ومناسبة .. ان الاعتمـاد في صدر الاسلام كان علـى تطوع الجمهور غلما كسل هذا الجمهور وانشغلـت العامة اعتمد على قبول الاثنيـن .. وسأترك لكـم الرجوع الى امهات الكتب لتقفـوا علـى كثير مـن النوازل التي عالجها العلماء بـروح رياضية مرنـة .. تساهلت في الوسيلة ولكنهـا حافظت على الهدف ، وحفظت النص ولكنها تمسكت بالروح ، ولم يكن هـذا فقط في العهود المتأخرة ولكـن منـذ فجر الاسـلام .. عمر ابن الخطاب تصرف .. عثمان بن عفان تصرف .. ولم يكن هؤلاء واولئك يقصدون الا الابقاء علـى جـدة النص وروعته ، وبالتالي الى افهام المسلمين ان الاحكام تخضع دائمـا للاحوال .. وتعجبنـي قولـة للشهاب القرافي لقد قال بالحرف الواحد : (**ولا تجمد علـى المسطور في الكتب طول عمـرك .. فـان الجمـود في المنقولات ابدا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علمـاء المسلميـن والسلف الماضيـن)** .

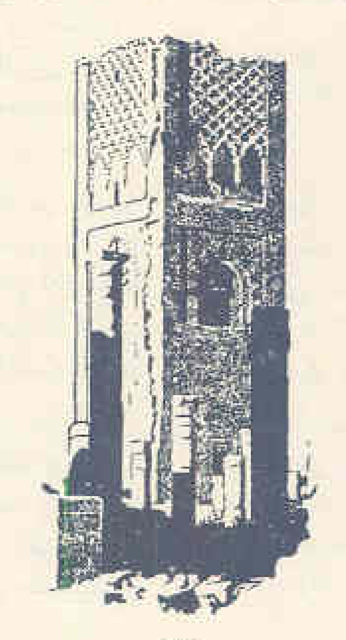
وهكذا فان الاستعانـة بالعلـم ، بالحساب ، بالمراصد علـى رؤيـة الهلال امر لا يجافي الاسلام بل ان الاسـلام يرحب بكل وسيلة من شانها ان تسهل على الناس الاخذ بتعاليم دينهم ومن شأنها ان تنحي عنهـم الاضطـراب والشكوك ...

وسائلنـا بيـن الامس واليـوم

وسائلنـا بالامس منذ عهد البتاني ظلت تبـدي الينا معروفا لا ينسى على مر الايـام بيد ان تقديراتنـا الفنية القديمة تعتبـر في نظـر الفلكييـن **المحدثيـن** كريمة سخيـة : لابد ان تمر 24 ساعة **على اجتمـاع** النيرين .. لابد ان يمكث الهـلال في الافـق **48 دقيقة ،** لابد ان يبلغ حجم نوره ثلثي اصبع .. مقاييس كانـت في القديم لتمكين عامة الناس من ملاحظة الهلال ، **ولكنها** مع الوسائل المتطورة والمتجددة باستمرار امست **مبالغا** فيها .. فلو استطاع العلم ان يثبت رؤيته بالرغم من انه لم يمر علـى انفصاله 24 ساعة كاملة .. **ولو استطاع** ان يثبت رؤيته بالرغم من ان مكثه في الافق لم يبلـغ 48 دقيقة .. وبالرغم من ان حجم نوره لم يصـل الـى ثلثي اصبع .. لو استطاع العلم ان يتأكد **من رؤيته مـع** غروب الشمس مباشرة .. لـو ثبت ذلك **فاي مس يكون** هناك بمبدأ الرؤيـة .. ان العلـم **يستطيع ان يحـدد** مواعيـد ظهور الهـلال بالساعة والدقيقة **والثانيـة** لمـآت السنيـن ولمختلف المنـاطق في العالـم .. **ان** الوسائل الاولى ستظل مصدر اعـتـزازنـا **وتقديرنـا** ولكننا لا نريد ان نتنكر لوسائل العصـر الحديث ، **لقـد** جاهد اجدادنا بالقوس والنبل ولكننـا **لا نعتمد اليـوم** على تلك الوسائل .. وحج اجدادنـا **بيت الله علـى** مطايا النوق ونسعى اليه نحن على متن الطائـرات .. وصلينا ـ الامس معتمدين **على ظلال القوائم واليـوم** نصلي معتمدين على الالات .. **فـأي ضيـر في ادخـال** تعديـل علـى مقاديرنـا بالامـس **ومقارنتها مـع** مقاييـس اليـوم ؟

للحديث بقيـة

الرباط : عبد الهادي التازي



في مجتمعنا الاسلامي :

زهرات تذوي ...

للاستاذ عبد القادر زمامة

1

موسم الذبول في دنيا الزهرات يشوه المناظر ، ويحيل المعالم ، ويعصف بمعاني الجمال في المروج والخمائل ... ويعطي الحدائق والجنات معاني الغربة والوحشة والتجهم .. بعد ان كانت تطفح بمعاني الانس والالفة والبشر .. !

وموسم الذبول في دنيا الاخلاق والعقائد والتقاليد يشوه هو الاخر معالم الحق . ومعاني الخير . وسبل الفضيلة . ومظاهر الانس والايناس ...

فالاخلاق والعقائد الذابلة كالزهرات الذابلة كلتاهما توحي بمعاني الانقباض والتجهم والنفور ..

فحياة الزهرة في هواء طلق ونور وماء . وحياة الاخلاق والعقائد في قلوب تؤمن . وعقول تفكر . وضمائر تعي . ومعروف يبذل . ومنكر يحسم . وحياة سليمة تتضح فيها المفاهيم . ولا يلتبس فيها الحق بالباطل . والضلال بالرشاد . والصلاح بالفساد

2

ولو كانت الحياة التي نعتز بها ساعة من الزمان فقط ... لتمنينا ان تكون ساعة تلبس فيها رداء الانسانية الحقيقي وتعطي بحركاتنا درسا في الانسانية لن ياتي بعدنا ... لئلا يجد هو الاخر زهراتنا في موسم الذبول .. ! واخلاقنا في موسم الذبول ..! والعقائد والمبادىء في موسم الذبول .. !

ولو كنا نستطيع ان نقرا صحائف الغد في دنيا المستقبل ونعرف ماذا تخبىء الايام لهذه المخلوقات البريئة التي تكون فلذات الاكباد . وثمار الفؤاد من مواسم للذبول المتعددة التي تنتظرها في خلقها . وعقيدتها . وتقاليدها الاسلامية . لصعقنا من الهول والذهول .. ! ولجزعنا من خلق تطوى صفحته . وايمان تذوى زهرته ! وانسانية يتقلص ظلها ... وخير يدخل في خبر ليس . وكان ..

3

فالانسان مجتمع .. والمجتمع اخلاق وعقائد . والحياة ميدان صراع وسباق وتجربة . والزمان ظرف ملون لحركات الانسان وتصرفاته واطواره ... فاذا اصبح الانسان « وحدة » جشعة . نهمة . تحطم كل قيد يقيدها ويربطها بمعاني النبل والخير والفضيلة ... واصبح المجتمع في نظره زهرات ذابلة يخطو فوقها كما يخطو الثور فوق الهشيم .. فاي معنى لقولنا : الانسان مجتمع .. ! واي معنى اذن لقولنا : المجتمع اخلاق وعقائد .. !

ولعل القولين معا يكونان ايضا من الزهرات الذابلة .

4

واذا عن لنا ان نسال نفوسنا في استحياء وهدوء ماذا ينتظر مجتمع ضيع اخلاقه وزيف عقائده في سبيل ان ينال اخلاقا اخرى . وعقائد اخرى ..؟ مهما كانت قيمتها ..! ومهما كان لها من النفع — في زعمه — ومهما كان لها من — عوض — !

ان الجواب لن يكون الا اشفاقا ورثاء ان لم يكن سخرية واستهزاء ..! لسبب بسيط جدا وهو ان الاخلاق روح المجتمعات .. والعقائد كيانها .. وما عهدنا ارواحا يتبادلها الناس .. ولا كيانا يتقاذفونه ..!

5

والمجتمع الاسلامي ليس وليد المصادفة ولا صنيعة العفوية والحتمية ..! ولكنه وليد العقيدة التي تطهر النفس وتذكي العقل وتربي الخلق وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي وطريقه المستقيم .. والمجتمع الاسلامي ليس طائفيا . ولا عنصريا . ولا جامدا ولا خاملا ولا متعصبا ولا جاهلا . فهو يسعى في خليته الاولى ــ البيت ــ لتتم فيه الوحدة الاولى بانسجام وطهارة والفة . وتضحية ووفاء .. ويسعى في خليته الثانية وهي ــ القرية والمدينة ــ لتتم فيهما معاني النظام والالفة والتعاضد وحسن المعاملة . ووقوف الجميع في صف الفضيلة لحمايتها . وفي وجه الرذيلة لحسمها ..

6

واذا كنا نومن اننا مجتمع اسلامي ، ونومن ان رسالتنا الاجتماعية لا تتم الا اذا انعكست اخلاقنا وتقاليدنا على صفحة هذا المجتمع فان كل عقدنا النفسية والاجتماعية يجب ان نجعل لها حدا ..! ولاسيما وان كل تضييع لخلق من اخلاقنا . وكل اهمال لواجب من واجباتنا هما في الحقيقة خسارة لا تعوض .. وسقطة لا نهوض منها ..

ولعل تجربة اجيال مضت .. كافية لاقناع كل من كان في شك من امره .. ان الاسلام الصحيح لايجافي النهوض الصحيح .. ولكنه على العكس يدعو اليه ..

7

وفي اقتناعنا بهذه الحقائق نكون **قد عرفنا السر** في موسم الذبول الذي نعانيه في الم **ومرارة كلما شاهدنا** دليلا جديدا على تنكر الفرد او **المجتمع لخلق من** اخلاقنا او لعقيدة من عقائدنا ..

ولابد ان نزيح الستار عن **اغلوطة اجتماعية** كثيرا ما تحول بيننا وبين **الفهم الصحيح والسير** المستقيم ..

وهذه الاغلوطة هي ان كثيرين **يحسبون ان الدفاع** عن الفضيلة والعقيدة هو ــ شان ــ **الجامدين والمتزمتين** او هو ــ واجب ــ على طائفة **من الناس دون** الاخرين ..!

لعدة اسباب فيها **الحق والباطل والصواب** والخطأ ..

مع ان الفضيلة ليست **فضيلة هؤلاء وحدهم..!** والعقيدة ليست عقيدة هؤلاء وحدهم **..! فالقضية** قضية روح وكيان وهما **روح الجميع وكيان** الجميع ..

8

ولا باس .. فلعل موسم **الذبول في الاخلاق** والعقائد يعقبه موسم **التفتح والازدهار ذلك لان** مجابهة الحقائق اليومية **كافية لايقاظ النائم ،** وايمان الجاحد وتوبة المذنب ، **وهداية الحيران ..** وافاقة السكران .

فاس ــ عبد القادر زمامة

اذا شئتم ... واذا شئت ...

قال رجل للخليفة الاموي عبد الملك بن مروان :

ــ اريد ان اسر اليك شيئا .

فقال عبد الملك لجلسائه : **اذا شئتم .**

وكان الخلفاء يقولون ذلك لجلسائهم اذا طلبوا اليهم الانصراف، فنهضوا ، فاراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك :

ــ قف لاتمدحني ، فانا اعلم بنفسي منك . ولا تكذبني فانه لا راي لكذوب ، ولا تغتب عندي احدا .

فقال الرجل : ــ يا امير المؤمنين ، افتاذن لي في الانصراف ؟

قال له : **اذا شئت ..**



للأستاذ عبد السلام الهراس

قرأت مقال الدكتور شكري فيصل « المسلمون امام خطر التقاطع » الذي اشعرنا فيه بما يتهدد المسلمين من اخطار التقاطع التي لا سبيل الى اتقائها الا بالتواصل ، وذلك يحتاج الى مجهودات جبارة وشعور بالمسؤولية من كل فرد مسلم .

غير ان التقاطع في الحقيقة ليس الا عرضا من اعراض السرطان المرعب الذي يعانيه المسلمون ويعيث في كيانهم وينشر بعنف وسرعة انواعا من الاعراض الاجتماعية والخلقية والعقلية التي تفتت وحدة المسلمين وتبدد كل امل في التوصل الى سبيل النهوض بهم . وهذا السرطان هو الفراغ من العقيدة .

وقد تكون هذا المرض شيئا فشيئا خلال اجيال واحقاب ومنذ ان زحزحت القيادة الثقافية الاسلامية عن مكانها ، واصبح توجيه الاجيال ومصادر نقل التراث الحضاري الاسلامي اليها غير خالص من شوائب الزيف والتحريف ، والشهوة ، فادى ذلك الى اختلال خطير في العلاقات بين المسلمين والاسلام ، وبالتالي الى تدهور في الابداع ، واخماد في الفعالية ، وجمود في الفكر ، وقصور في الاهداف ، وشلل في الفضائل والقيم ؛ وتحول الاسلام عند من يستغله او يجهله الى وسائل نفعية او تقاليد رجعية كما وقع للاديان الاخرى ، ولذلك كان عمل المصلحين عبر التاريخ الاسلامي هو الثورة العنيفة على المستغلين والجامدين ومحاولة تصفية العقيدة والمفاهيم الاسلامية مما علق بهما من طفيليات وما خالطهما من عناصر غريبة قتالة ، ولقي المصلحون ما لقوا من عنت وقسوة ممن لهم المصلحة في ان يكون الاسلام في « اطار » خاص ومتمشيا حسب هواهم !!

وكان من سوء حظ المسلمين ان اضطروا للاتصال بالحضارات الغربية وهم على حالة يرثى لها من تضعضع في العقيدة واختلال في الفكرة مما جعل الاستعمار يهتبلها فرصة لتصفية البقية الباقية من هذه العقيدة التي تهدد صفو سيطرته واستعباده ومصالحه ، فعمل على تطعيم الاجيال الصاعدة بافكار مشلولة وسامة في نفس الوقت ، وتهيئها للفراغ الكلي ليستطيع ان يبثها ما هيأه لها من تعاليم « خاصة » تتيح له ، دائما ، السيطرة وتضمن لهم - اي المسلمين - الاضطراب والتيه في حياتهم . وهكذا احتوشتنا مؤامرة الاستعمار الثقافية واحاطت بنا من كل جانب فاندفع اطفالنا وشبابنا يتزودون منها في نهم جاهل ، واخلاص بليد دون ان يكون لهم من استقلال في الفكر ما يجعلهم يستخلصون النافع لهم ويلفظون الضار لهم . وسرعان ما انبثقت في بلاد المسلمين ايديولوجيات فجة ونظريات ضحلة وتكونت على اساس ذلك منظمات اضافت لامراض العالم الاسلامي امراضا جديدة ومعقدة تعسر معالجتها ، وها نحن اليوم نحصد ذلك التراث السيء الذي زرعناه في مجتمعنا بانفسنا وساهم الاستعمار في ازدهاره بنصيب وافر .

فهذا التقاطع او التمزق الذي يعيشه العالم الاسلامي يا اخي شكري ان دل على شيء فانما يدل على اننا لانعيش بفكرة الاسلام التي تدعو الى الوحدة والتضامن والوئام . وانما نسير ببقايا عقيدة مشلولة، مضافة اليها اوشاب من تعاليم امدتنا بها مدارس التبشير لتصنع من كل واحد منا الفرد المضطرب الحائر التي دلت الاحداث والتجارب على انه غير اهل لقيادة سليمة تضمن للمسلمين الاستقرار

والبناء . ولكن الكارثة ليست في استعراض مآسينا الماضية او الحاضرة واسبابها بل الكارثة العظمى اننا اليوم نزيد في فرص الفراغ العقائدي وتعميق الهوة بين اجيالنا وفكرة الاسلام وذلك على مختلف المستويات وبشتى الوسائل .

وان هذا الجانب الهدام ليكتسب انصارا جددا في تكاثر متفاحش حسب قاعدة المتواليات الهندسية. وان البيت المسلم الذي كان سندنا في التكوين والتوجيه والمقاومة قد استسلم فاصبح بيتا آخر لا يملك من الثقافة الاسلامية ما يؤهله للقيام برسالته وبعضه اصبح اجنبي الفكر والقلب ، وانه لمن المفزع حقا ان نشاهد بعض الذين يتبنون الفكرة الاسلامية رياء او صدقا قد انساقت اسرهم مع ما يسمى بالتيار .

فما الدواء يا اخي شكري ؟

الدواء يعرفه كل مسلم غيور على امته وتراثه وحضارته ، ولكن المشكلة فيمن سيتولى تقديم هذا الدواء والتبشير به ؟ ولذلك يجب :

1 ــ اولا ، ان تتبنى هذه الفئات المسلمة التي تظهر دائما اقتناعها بالاسلام الفكرة الاسلامية وتعتبرها قضيتها الاولى التي تستحق التضحية والولاء والاخلاص ، وتهبها بعض ما تهب لدنياها ومصالحها الشخصية من تعب ونشاط ، وتسارع الى تنظيم نفسها على مستوى اقليمي ، ثم على مستوى عالمي على اساس تخطيط علمي يتفق ومقلية القرن العشرين ، وهكذا تضطلع بنشر الفكرة الاسلامية داخل بلادها وخارجها بكافة الوسائل التي تحقق لها اهدافها وعليها ان تكون صريحة في مواقفها متجنبة ما امكن السرعة والانشغال باهداف ثانوية تافهة ؛ متجردة عن المطامع والاغراض وذلك وحده الذي يبرهن على ان هذه الفئات والافراد قد اقتنعت بالاسلام وآمنت برسالته . اما ان تكتفي بالاقوال والوقوف على هامش الحياة او الاعتماد على قدرة الزمن لاظهار هذا الدين او نصرته على يد من يعمل على تهديمه او من يتخذه تجارة ؛ فان الامر ، اذن ، لايتعدى نوعا من العبث والسلبية في وقت لايستجيب الا للمجدين والمناضلين .

2 ــ ثانيا ، ان يعمل المسئولون في البلاد الاسلامية على اعادة النظر في مناهج التربية والتثقيف وتصفيتها من كل عنصر غريب عن الفكرة الاسلامية ومن كل ما من شانه ان يعوقنا عن تكوين الفرد المؤمن واعني بالمؤمن الانسان المتحضر الذي يضطلع بالرسالة الانسانية الخالدة . وعلى الطبقة الواعية من المسلمين مناشدة المسئولين في كل مناسبة ليحققوا للمسلمين مناهج تربوية وتثقيفية مستمدة من تعاليم القرآن والسنة ليتاح لنا ملء هذا الفراغ العقائدي المخيف وننقذ هذه الاجيال الصاعدة من خطر الحيرة والعقوق والعبودية .

3 ــ ثالثا ، ان يعاد للمسجد رسالته ليقوم بتزويد الآباء والامهات بكل ما يساعدهم على تربية ابنائهم وبنهم تراث الاسلام واحاطتهم بكل ما يعصمهم من الزيغ والضعف لان الاسرة المؤمنة هي الكفيلة وحدها بمد المجتمع بالعناصر البشرية الصالحة والمصلحة ، وبانقاذ الامة من خطر التبعية الثقافية.

والمهم من كل ما سبق ان تبادر العناصر المؤمنة لجمع شملها وتوحيد نشاطها فقد آن الاوان لنبذ التجارب الفاشلة التي مر بها العالم الاسلامي منذ ان اسلس قيادته لغيره وتشييد عالم اسلامي على اساس تجربة الاسلام الناجعة التي اتفق العقلاء من جميع الاجناس على انها هي السبيل الوحيد لانقاذ العالم الاسلامي من تدهوره وانحطاطه ؛ ولتكن هذه العناصر على يقين من أن الشعوب الاسلامية ستهبها كل ثقتها باذلة كل طاقاتها لان هذه الشعوب مقتنعة اكثر من اي وقت مضى من أن الخلاص لايكون الا بالاسلام .

وعندما تبرز القيادة المحمدية في الميدان ستتلاشى الطلائع المزيفة « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

تطوان ــ عبد السلام الهراس



لندن : رياض عبد الواحد الدروبي

من الممكن للجالية الاسلامية في بريطانيا ان تقوم بدور كبير في توطيد مركز الاسلام والعالم الاسلامي في اوربا ، وتحسين العلاقات بين تلك البلدان والدول الاسلامية بالاضافة الى اقامتهم مركز دعاية بناءة لحقيقة الاسلام والعالم الاسلامي سياسيا واقتصاديا ودينيا . وهذا يعتمد على نقاط ثلاث ، يمكن بواسطتها تحقيق هذه الامنية التي طالما راودت المسلمين ، وخاصة اولئك الذين هاجروا من ديارهم واستوطنوا الجزر البريطانية .

1) العلاقة بين المسلمين في بريطانيا والعالم الاسلامي

في الحقيقة يصعب على المسلمين هنا القيام باي عمل سواء بالنسبة للعالم الاسلامي او بالنسبة للجالية الاسلامية في بريطانيا بدون تلك العلاقة القوية التي تربط المسلمين بالدول الاسلامية . وحيث ان الظروف القاسية التي تمر بالعالم الاسلامي اليوم تنعكس صورتها في الجالية الاسلامية هنا لا يمكن القيام باي عمل ايجابي بصورة منفردة منعزلة عن تلك البلاد الاسلامية . والكل يعلم ان المنظمات المعادية للاسلام لها امكانياتها الغير المحدودة والتي تسندها الدول المعادية حتى في عقر دارنا . ولتحديد هذه العلاقة وكيف يجب أن تكون نضع النقاط التالية :

أ ــ التأييد المادي والمعنوي :

لابد للخطوة الاولى هنا ان تاتي من الجالية الاسلامية وذلك بتنظيم نفسها وتوحيد جهودها وعلى الدول الاسلامية وحكوماتها ان تشجع هذه الجالية وتمدها بما تحتاجه من توجيهات ومطبوعات واموال في بناء مركزها الاجتماعي على المستوى الذي تتطلبه الحياة اليوم في بريطانيا . ان اغلب ابناء الجالية الاسلامية هم من الطبقة العاملة التي لا تستطيع التوفير من معاشها اليومي فكيف بنا ان نطلب منها ان تسابق التنظيمات الصهيونية وغيرها والتي تقف حجر عثرة في سبيل اي تنظيم اسلامي .

ب ــ ابعاد الجمعيات والمنظمات الاسلامية عن النشاط السياسي :

مما لاشك فيه ان الخلافات السياسية بين الدول الاسلامية وخاصة العربية منها يجب ان لا ينعكس اثرها على الجالية الاسلامية في بريطانيا ، حيث ان هذه الخلافات لا يمكن حلها من هنا ولا تجدي نفعا للاسلام ولا للمسلمين في هذا البلد غير الامين وانما تزيد الطين بلة لتشوه سمعة الاسلام واهله . وعلى الجالية ان توحد جهودها وتكون مثلا حيا للوحدة الاسلامية الكبرى ، وان اعطاء مثل هذه الصورة الواضحة هو خير دعاية للدول الاسلامية كافة .

ج ــ بناء المساجد والمراكز الاسلامية :

وحيث ان المال هنا هو الركن الاساسي ويمكن ضم هذه الفقرة مع القسم الاول من الفقرة (أ) الا اننا نرى الاهمية الكبرى لهذا الموضوع . فاهمية المسجد في الاسلام معروفة وان الدور الذي لعبه في التاريخ واضح ، ومما لا خلاف فيه ان المسجد في الاسلام يمكن ان يلعب ذلك الدور نفسه فيما لو عرفنا حقه وقمنا على خدمته وبنائه . فالجالية الاسلامية اليوم ليس لها مركز اسلامي (*) او مسجد جامع يليق بعظمة الاسلام ومركز المسلمين ، وان الذي لدينا اليوم ليس هو الا بيوت صغيرة تبرع بها اصحابها

(*) سنعود للحديث عن المركز الثقافي الاسلامي وجامع لندن في حديث آخر .

لتكون مراكز للقاء المسلمين وهي غير مؤثثة أو مفروشة كأي مسجد كما وليس فيها من وسائل الراحة ما يتلاءم والمحيط الذي نعيش فيه ، وان الجالية الاسلامية عاجزة عن تحسينها لقصر ذات اليد . فعليه يقع الواجب هنا على الدول الاسلامية مجتمعة في امداد هذه البيوت وتحسينها والانفاق عليها لتكون صورة من صور الاسلام في الغرب .

د — ارسال الوفود والموظفين الاكفاء :

ان من اهم الامور الحساسة هو وجود الموجه الصالح ذو الكفاءة العلمية بشؤون الاسلام وشؤون الحياة في العالم الغربي ، واعني بذلك رجال ذوو اطلاع واسع عاشوا او خبروا الحياة في الغرب بالاضافة الى منزلتهم العلمية الاسلامية ، فالرجل الفقيه بالقرآن والحديث الذي لا يجيد اللغة الانكليزية ولا يعرف كيف يعيش في بلد اجنبي لا ينفع مطلقا وقد يكون مصدر نقمة على الاسلام والمسلمين ، ولنا ان نعتبر اليوم بالمبشرين الذين ترسلهم المنظمات المسيحية الى بلادنا ، فاولا وقبل كل شيء عليه ان يعرف عن الاسلام ما استطاع ثم ان يتعلم لغة القوم التي سيبعث لهم ويمر في دور دراسة قد تطول سنة او سنتين في الجامعات البريطانية او مدارس خاصة قبل ان يرسلوه ، فهل عملنا لهذا حسابنا !؟

هذا بالاضافة الى الوفود التي تمر ببريطانيا لغرض الزيارة او الاستشفاء او بالمهام السياسية كالمؤتمرات وغيرها يكون لها اثر فعال في نفوس المسلمين هنا ، لو قام مثل هؤلاء الوافدين بزيارة لمحلات تجمع الجالية الاسلامية والتعرف على احوالهم والاطلاع على شؤونهم فهذا هو الذي يبث فيهم الامل والصمود للكفاح ، والا فانهم يعتبرون انفسهم نسيا منسيا وتنقطع الصلة بينهم وبين اوطانهم .

2) علاقة الجالية الاسلامية بعضها ببعض :

وقبل ان نحدد هذه العلاقة علينا ان نتبين عن كثب لنرى امكانياتها المعنوية او بالاحرى لنرى اسلاميتها . فالمسلمون في هذه البلاد يمكن تصنيفهم ثلاثة مجاميع كما هو الحال تقريبا في معظم البلاد الاسلامية نفسها . **فقسم اتخذ القومية شعارا** واخذ يدافع ويركز جهوده للدعاية والعمل لقوميته سواء كانت عربية أو افريقية او باكستانية . والقسم الثاني هو ما اسميه **بالشباب الضائع** الذي اغرته الحضارة الغربية وساعد على ذلك عدم وجود الوازع والموجه الاسلامي لهم وهؤلاء هم الاغلبية الساحقة من طلاب البعوث الذين سيتولون قيادة الامة في القريب . اما القسم الثالث فهو الشباب المسلم الذي صمد في وسط المعركة المادية الملحدة التي لا نهاية لها .

ونظرا لانعدام العلاقة بين المسلمين هنا والعالم الاسلامي نرى ان الشقة بعدت بين هذه المجاميع الثلاث مما أدى الى تشتيت الجهود وضياع الشباب الطاهر وسط صراع بين التقاليد والعادات وبين بهرج الحضارة الغربية الزائفة .

فالخطوة الاولى للتغلب على المصاعب التي تواجه الحركة الاسلامية هي توحيد الجهود وضم الكلمة وتحديد الهدف والغاية ثم اعداد المسلم كمواطن صالح يقدر موقفه ويعرف حقيقته ليكون خير صورة لامته وبلده ، وكلنا يعلم ان الاسلام ما انتشر في اغلب بقاع العالم كاندونيسيا مثلا الا لمعاملة اولئك المهاجرين الطيبة وحسن اخلاقهم واعطائهم الصورة الحقيقية لايمانهم واسلامهم مما دفع اهل تلك البلاد لتبني دينهم والتخلق باخلاقهم .

فعلى المسلمين في بريطانيا ان يحددوا علاقة بعضهم ببعض على ضوء الاسلام وان يتخلقوا افرادا وجماعات بنظام القرآن والله سبحانه وتعالى كفيل بتحقيق امانيهم ونصرهم .

والنقاط التالية تحدد المخطط العام لهذه العلاقة :

ا — الاجتماعات العامة والخاصة :

على المسؤولين من ابناء الجالية الاسلامية تنظيم الاجتماعات العامة والخاصة وانتهاز الاحتفالات الدينية والعطل الرسمية لاحياء النفوس وتجمع القوى ، وعلى افراد الجالية المشاركة في هذه الاجتماعات وحضورها باستمرار ودعوة الاصدقاء اليها فهي الحلقة الاولى التي تلتقي على صعيدها الجالية الاسلامية والتعرف بعضهم على بعض . اما الاجتماعات الخاصة فيجب ان يكون منها في الدراسة اكثر منها في موضوعات خطابية عامة وذلك لمعرفة احوال البلاد التي تعيش فيها الجالية ودراسة كيفية وتحسين احوالها وعلاقتها بالمجتمع الذي تعيش فيه .

ب — الزيارات العائلية وزيارة المستشفيات :

وهذا من المبادىء الاسلامية الاولية فكيف بنا في بلد اجنبي وكلنا غرباء فالزيارات الخاصة وزيارة الجار والاصدقاء وتفقد الاخوة أمر ضروري بالرغم من كثرة المشاغل وصعوبة الحياة . فالعائلات المسلمة وخاصة المسلمة حديثا ان تختلط بصورة اوسع مما في الاجتماعات العامة والخاصة ليكثر تعرفها بالاسلام وتعاونها على حمل عبئه وليفهم بعضهم البعض فتقوى الاخوة ويثمر العمل . أما زيارة المرضى في المستشفيات فانها عمل جليل ، وخاصة وان اغلب المرضى يأتون خصيصا للعلاج واغلبهم لا يفهم الانكليزية وهم بكثرة بحيث لا تجد مستشفى الا وفيها بعض المسلمين ، فيجب والحالة هذه تنظيم هذه الامور بحيث لا يبقى مريض الا وهناك من يزوره ويخفف من مرضه وغربته واشعاره بأنه بين اهله واخوانه .

ج — التجارة والمعاملات المالية :

على افراد الجالية الاسلامية والمسؤولين فيها ادراك حقيقة واضحة وهي تشجيع اصحاب الاعمال والتجار المسلمين اذا أردنا بناء أركان الجالية الاسلامية المتصدعة ، وان يقاطعوا مقاطعة تامة المنتجات الاسرائيلية والشركات التي تتبنى محاربة الاسلام سرا وعلنا خصوصا دور النشر والطباعة . كما وان تكوين الجمعيات التعاونية وخاصة في تجارة المستهلكات من الاغذية وغيرها مما يسهل للمسلم الحصول على الطعام الحلال بالاضافة الى اشعاره بكونه لبنة في بناء الجالية في الوقت الذي هو فيه الان كالريشة في مهب الريح . كما ويمكن للتجار المسلمين في البلاد الاسلامية الاعتماد على افراد الجالية الاسلامية ذوو الخبرة في الاسواق التجارية وتكوين علاقات تجارية فيما بينهم تستفيد منها الجالية من طرف والبلاد الاسلامية من طرف آخر .

3) علاقة المسلمين باهل البلاد الانكليز :

ونعني بذلك علاقة المسلمين مع سكنة هذه البلاد من المستوطنين الاجانب والجاليات الصغيرة الاخرى بالاضافة الى اهل البلاد الاصليين . وهذه العلاقة يمكن ان تكون على الاساس الآتي :

أ — علاقة العمل :

وقد تكون هذه العلاقة في الجامعة أو في المصنع او في المكتب او في أية فرصة تتاح للفرد للاختلاط مع اهل البلاد ، حيث على المسلم ان يظهر بمظهر لائق كمسلم فيؤدي واجبه على احسن حال ويكون منتظما في عمله وعلى الطالب ان يحسن دراسته ليكون الواحد منهم سفيرا لعقيدته ومصحفا ناطقا بين اصحابه . وان كانت هناك علاقات تجارية وتعهدات مالية على المسلم ان يعمل بما امر به القرآن وان يكون مثالا يقتدى به وبذلك سيحسن الناس معاملته وثقته ويتخلقون بأخلاقه .

ب — علاقة حسن الجوار :

فقد يكون الجار في هذه البلاد ملحدا او نصرانيا او يهوديا ، وقد يكون انكليزيا أو مهاجرا ، وهذا لا يغير في الحقيقة شيئا ، فحسن معاملة الجار من لب تعاليم الاسلام ، وليس هذا فقط وانما على المسلم ان يعتني بأمور بيته ونظافته ويقيم علاقات طيبة مع جاره ، وقيام مثل هذه الصلات يؤدي خدمة للجالية الاسلامية كبيرة .

فعلاقة المسلمين باهل البلاد يجب أن ترتكز على شيء واحد مهم هو التمسك بالاسلام وعدم التضحية بجزء من تعاليم الاسلام مهما كانت الاسباب والظروف ، واعلم انك ان استمسكت بعاداتك وتقاليدك الاسلامية فسيحترمك الانكليز ويرفعون منزلتك واحترامك وهم يقدرون ذلك احسن تقدير . وان المسلم الذي يتخلى ويتساهل بجزء من تعاليم اسلامه فسينظرون اليه كرجل فيه مركب نقص يحاول اخفاءه ، وان الرجل الذي يحاول ان يتخلق بعاداتهم وتقاليدهم الغربية فلن يكون واحدا منهم مهما طاطا راسه وانهم سيحتقرونه . وابعادا لكل الشبهات كن مسلما كما يجب ان تكون وبذلك توفر على نفسك متاعب كثيرة وتكسب احترام الناس بعد احترام الله .

ج — الاجتماعات العامة والاحتفالات الرسمية :

واعني بذلك المشاركة في الاجتماعات العامة التي ينظمها اهل البلاد والاحتفالات الرسمية التي تقام فيها ، فعلى المسلمين الاشتراك في كل اجتماع أو احتفال يظهر فيه اسم الاسلام عاليا ويعود على

الجالية الاسلامية بالخير ، والحذر من الاجتماعات الفوغائية والابتعاد عنها ومحاولة تمثيل المسلمين في المؤتمرات سواء الثقافية منها او الرسمية ، والاشتراك في المناظرات والمحاضرات التي تجري عن الاسلام في الجامعات والنوادي .

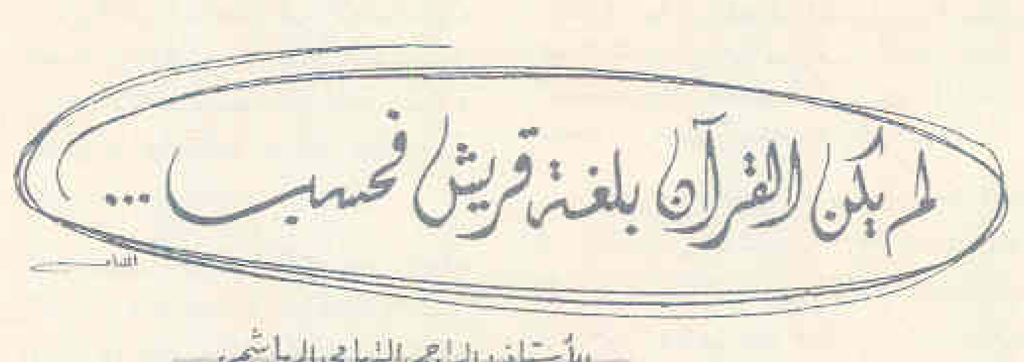
وخلاصة القول في الوقت الذي يهمل العالم الاسلامي امور الجالية الاسلامية في بريطانيا والتي هي مركز الاشعاع في الغرب كله لما لها من موقع جغرافي وسياسي فان العواقب ستكون على عكس الثمار المرجوة التي كانت في بقاع العالم الاسلامي الاخرى يوم اصطبغت البقاع هنالك بالاسلام فستكون العاقبة هنا ان ينحرف المسلمون وخاصة والكثير منهم اولئك الذين تزوجوا من نساء الانكليز الذين بقوا على ادبانهم ، وان اطفالهم لعدم وجود المدارس الاسلامية يتعلمون ويتثقفون بثقافة اهل البلاد .

وفي نهاية القرن الحاضر سوف لا يكون هناك أثر للاسلام او المسلمين الا اذا تداركت ذلك جهود الافراد والجماعات من الجالية الاسلامية من هنا والعالم الاسلامي من هناك ، والله وكيل بعباده .

رياض عبد الواحد الدروبي
المركز الثقافي الاسلامي — لندن

كلنا يبغي الحياة لنفسه

ارى كلنا يبغي الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس ، اورده التقى
وحب الشجاع النفس اورده الحربا



للأستاذ : الراجحي التهامي الهاشمي

- 8 -

القبيلة السادسة : النبط :

يقول منجد الطلاب ، في التعريف بهذه القبيلة :
« قوم من العرب قطنوا قديما جنوبي فلسطين . كانت قاعدتهم سلع وبصرى وصلخد والحجر ، وهي حصونهم ومستودع اموالهم واسلحتهم . كانوا من التجار يدخلون الى مصر والشام وبلاد الفرات وروما . كان بينهم شعراء واطباء . عبدوا الاصنام منها اللات . خرجت من سلالتهم قبائل الحويطات المقيمة في حسمة شمالي الحجاز »(1)

ولقد شاركت هذه القبيلة بالفاظها في الذكر الحكيم بـ 11 لفظة عدا ما لم انتبه اليه ولقد وزعت هذه الالفاظ في كتاب الله العزيز على الشكل الاتي :

1 ـ لفظة : « اصري » الموجودة في سورة ال عمران الاية 81 ومعناها بهذه اللغة عهدي . والعهد الذي يضربه الحر الابي ، المومن لا بد ان يحترمه ولذا فهو رباط معنوي يشده شدا وثيقا الى التزاماته لا يستطيع الخلاص منه ، بل لا يملك الا احترامه ـ لهذا قيل : اصري من اصره يأصره : حبسه : والحبس ، رباط واي رباط !

والصلة التي تجمع القريب بقريبه ، وصاحب معروف بالضعفاء ، والفقراء ، والمحتاجين : آصرة . قال الاصمعي :

« الاصرة ما عطفك على رجل من رحم او قرابة او صهر او معروف ، والجمع الاواصر »

يظهر لنا من خلال هذا ان اللفظة النبطية «اصري» انتشرت انتشارا واسعا في اللغة العربية الفصيحة ، واتسع معناها في وقت مبكر جدا ، لا يمكنني تحديده بالضبط

ولقد قرئت « اصري » في هذه الاية بالضم وهي القراءة التي يؤولها الزمخشري بقوله : (2) « ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كبير وعبر وان يكون جمع اصار »

ولقد وردت هذه اللفظة في مكانين اخريين من القرءان الكريم . في سورة البقرة في الاية 286 التي جاء فيها : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها

---

1) لقد اغفل العلامة خير الدين الزركلي الاشارة الى هذا العلم في كتابه الاعلام ، وكان من حقه ان ينبه في الجزء الثامن من مؤلفه او في الجزء العاشر الذي حوى المستدرك ، ولقد بحث في الطبعة التي بين يدي عن هذا العلم في الجزئين المذكورين فلم اعثر عليهما ، ولعل بعض الفضلاء من الذين عثروا عليه في هذه الطبعة او في الطبعات الاخرى ان يرشدوني اليه مشكورين

2) الكشاف الجزء الاول صفحة 199 .

ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ... » الاية . ومن القراء من يقرأ لفظة اصرا الموجودة في هذه الاية آصارا ومن بينهم ابي بن كعب (3) ويفسر جار الله هذه اللفظة بقوله (4) : « العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله ... »

كما وردت مرة اخرى في سورة الاعراف الاية 157 التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ... » الاية .

ولها هنا ايضا المعنى الذي بيناه انفا ولقد قرئت آصارهم على الجمع .

2 — كلمة « كفل » الموجودة في الاية 85 من سورة النساء التي جاء فيها : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شيء مقيتا ... » ومعناها بهذه اللغة النصيب وقد وردت عدة مرات في القرآن الكريم .

3 — مفردة : « اواه » الكائنة في سورة هود الاية 75 والتي جاء فيها : « ان ابراهيم لحليم اواه منيب » كما جاءت في سورة التوبة الاية 114 حيث قال سبحانه : «وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لاواه حليم » وجدير بالذكر ان نلاحظ ان هذه المفردة لم تستعمل في كتاب الله الا مع ابراهيم الخليل ، صلوات الله وسلامه عليه ، ودائما بمناسبة طلب المغفرة من الله لابيه ، ومقرونة في كلتا الاثنين بلفظة حليم . ومعناها في اللغة النبطية « الذي يكثر من الدعاء » . وكان ابراهيم الخليل «لفرط ترحمه ورقته ، وحلمه ، يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له ، مع شكاسته له ، وقوله « لأرجمنك » (5) .

4 — كلمة : « هيت لك » في سورة يوسف الاية 23 التي يقول فيها الحق سبحانه : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، انه ربي احسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون » ومعناها باللغة النبطية تهيأت لك .

يجعل الزمخشري اصلها هاء يهيء (6) . اما الجوهري فيدمجها تحت مادة هيت ويحتج لذلك ببيتين من الشعر قيلا في علي بن ابي طالب : (7) :

ابلــــغ اميــــر المـؤمنـــ
ـــين اخـا العـراق اذا اتيتـــا
ان العـــــراق واهلـــــه
سلـــم اليــك فهيــت هيتـــا

ولا بد من ابداء كلمة حول اوجه قراءات هذه الكلمة .

يقول الزمخشري (8) : « قرىء هيت بفتح الهاء ، وكسرها مع فتح التاء ... » وهو كلام مجمل جدا لا بد من تفصيل الكلام فيه ، والتعليق عليه ان اقتضى الحال .

اما قراءة هيت لك بالفتح ، فهو الذي بمعنى تهيأت لك ، او علم لك : وهو الذي يعنينا هنا ، وهي القراءة الصحيحة في نظري المتواضع . ولا ادري لماذا لم يقع عليها الاجماع !

اما قراءة هيت بالكسر ، فهو اسم بلد على الفرات وانا رغم هذا ، لا استبعد ان يكون هذا الوجه صحيحا ، وان كسرتها عارضة ، اتبوا بها لمجانسة الياء الساكنة بعدها . وهي قراءة مستحسنة ، مطابقة للنطق العربي

---

3) صفحة 123 . Materials for the history of the text of the Qur'ān

4) الكشاف صفحة 172 الجزء الاول

5) الكشاف صفحة 174 الجزء الثاني

6) الكشاف الجزء الثاني صفحة 248

7) الصحاح الجزء الاول صفحة 271

8) الكشاف نفس الصفحة اعلاه

الذي يسعى دائما للتجانس اللفظي ، ويفر من كل نطق وحشو غريب حتى ولو ادى به الامر الى مخالفة القاعدة اللغوية او النحوية

وتدل في هذه الحال على ما تدل عليه «هيت لك» بالفتح ، وان وافقت في النطق اسم بلد الفرات وجدير ان نشير الى ان هذه القراءة الاخيرة ، هي القراءة السائدة عندنا في المغرب .

ولم ينفرد الزمخشري وحده بالاشارة الى هذه القراءات ، بل ذكرها جل المفسرين ، ومن بينهم الامامان محمد بن احمد المحلي وعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي في تفسيرهما حيث قالا (9) : « وفي قراءة بكسر الهاء (10) واخرى بضم التاء »

ونحن نعرف ان هناك قراءات اخرى لم يشر اليها لا الزمخشري ولا صاحبا الجلالين وهذه القراءات هي :

« ها انا لك » عوض هيت لك وهي قراءة ابي بن كعب (11) ويعلق عليها Jeffery فيقول :
So read by 'Ali and Mu'ādh al Qāri
اما ابن مسعود فيقرآها بفتح الهاء كما يقراها هيئت بضم الهاء وكسر الياء بعدها همزة ساكنة ، وتاء مضمومة (12) ويقرأ علي رضي الله عنه « هيت لك » ، ها انا لك ، كما يقراها بكسر الهاء وضم التاء (13)

اما ابن عباس فيقراها هيئت بضم الهاء بعدها ياء مكسورة مشددة وهمزة ساكنة وتاء مفتوحة كما يقراها هئت بهاء بعدها همزة ساكنة وتاء مضمومة ويقراها بهاء مفتوحة بعدها ياء ساكنة وتاء مكسورة . واخيرا يقراها بهاء مفتوحة بعدها ياء مشدودة مكسورة بكسرة طويلة بعدها تاء مفتوحة (14)

وان دلت هذه القراءات المختلفة على شيء فانما تدل على ان هذه المفردة دخيلة على لغة قريش ، غير مألوفة لديها والا لكان وجه قراءتها واحد لا تعدد فيه

5 ـ كلمة : « وراءهم » الكائنة في سورة الكهف الاية 79 التي جاء فيها : « اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا » وتوجد هذه الكلمة بهذا المعنى ايضا في سورة الانسان الاية 37 وفي سورة ابراهيم الايتين 16 و 17 ، ومعنى هذه اللفظة باللغة النبطية الأمام وبما ان عادتها ان تدل على الخلف ، قالوا فيها انها من كلمات الاضداد اما حكمها في قواعد اللغة ، فحكم بعد ، وقبل قال الاخفش : « يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية اذا كان غير مضاف ، تجعله اسما وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد »

6 ـ لفظة : « سيناء » الموجودة في سورة المومنون الاية 20 التي يقول الحق سبحانه فيها : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين »

ومعلوم ان كلمة سيناء اسم لجبل اختلف المفسرون في موقعه ، فمنهم من يقول انه جبل بفلسطين ومنهم من يقول انه بين مصر وايلة . وأيلة هذه ميناء صغير على راس خليج العقبة (15) ويعرف عند الآراميين بـ :
Aylūno ܐܝܠܘܢ (ايلون) ويعرفه العبريون بـ :
Aylōt אילה (ايلات)
ولم تثبت نحن هذه الكلمة ضمن الالفاظ النبطية الموجودة في القرءان الا لان احد القراء الافاضل وهو الثقة العدل الاعمش يقرآها سينا (16) وسينا معناها

(9) تفسير القرءان العظيم الجزء الاول صفحة 203 طبعة القاهرة غير مؤرخة .
(10) وقد اشار الى الفتح حين شكلا النص القرآني .
(11) Arthur Jeffry - Materials السابق الذكر صفحة 138
(12) نفس المصدر اعلاه صفحة 48
(13) نفس المصدر اعلاه صفحة 187
(14) المصدر السابق صفحة 200
(15) القاموس الاسلامي تاليف احمد عطية الله . المجلد الاول طبعة القاهرة صفحة 228 .
(16) الكشاف الجزء الثالث صفحة 45 .

الحسن باللغة النبطية . وعذرنا في هذا الاستطراد الذي قد يستثقله بعض القراء ، انه مقدمة لا بد منها للوصول الى النتيجة النهائية التي توخيناها

وفي هذه اللفظة قراءتان اثنتان غير قراءة الاعمش وهي سيناء بكسر السين ، وفتحها .

7 ــ مفردة « عبدت » الآية 22 من سورة الشعراء التي يقول الله فيها : « وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل » . ومعناها في هذه الآيــة قتلت باللغــة النبطيـــة .

8 ــ كلمة : « ولات » في الآية 3 من سورة ص « كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص » لم اثبت هذه المفردة هنا على اعتقاد انها نبطية ، وانما لأرد على من يجعلها في زمرة هــذه اللغة ، والحــق يقال ان اغلبية المفسرين الذين يهتمون بلغات القرآن ان لم اقل كلهم ادمجوها ضمن هذه اللغة ، وهو وهــم خاطىء ، اذ المفردة المذكــورة ارامية لا جدال فيها وهي « Lo it » **لا أمه** التي بمعنى لا يكون وسنتعرض لهــا بالشــرح حين الحديــث عن الالفــاظ الآ رامية في القرآن الكريم

17) دعوة الحق العدد الثامن السنة التاسعة صفحة 14 .

9 ــ كلمة : « مقاليد » في الآيــة 63 من ســورة الزمر ، وفي الآية 12 من سورة الشورى . ان كثيرا من المفسرين يرون ان هذه المفردة توافق لغة الانباط . ولقد سبق ان اشرت اليها ، واطلت الحديث فيها ، حين الكلام عن لغة حمير وبينت اذذاك اصلها الحقيقي (17) وسأعود اليها ان شاء الله بمناسبة ذكر الالفاظ الاغريقية في القرآن الكريم

10 ــ لفظة : «اليم» الآية 40 من سورة الذاريات: « فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم » يجعــل المهتمون بلغات القرآن من المفسرين هذه اللفظة ضمن اللغة النبطية ، وليس ذلك بصحيح اذ المفردة آرامية وهي تدل على البحر عندهم ، كما تدل الآن في اللغة العربية وينطقون بها Yomc **مُصا** وسنتعرض لها ان شاء الله حين الحديــث عن اللغــة الآ رامية في القـــرآن

11 ــ كلمة : « وزر » الموجودة في الآية 11 من سورة القيامة التي يقول فيها سبحانه : « كــلا لا وزر » ومعناها باللغة النبطية لا حيلة ولا ملجأ .

اكاديــر ــ الراجي التهامي الهاشمي

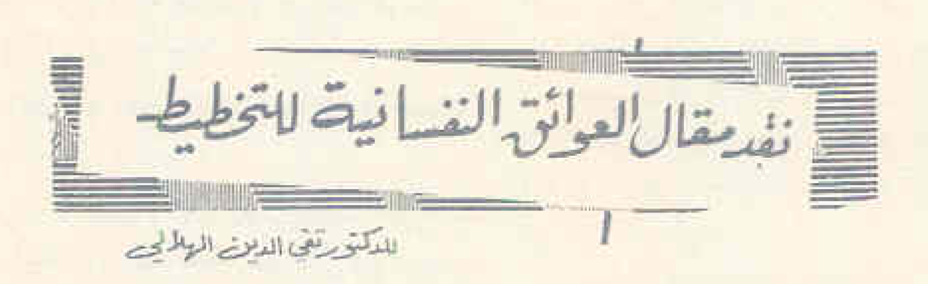
اول عجز القوم ...

اذا مـــا اراد اللـــــه ذل قبيلـــــة ... رماهــا بتشتيــت الهــوى والتخـــاذل

واول عجــز القــوم عمــا ينوبهــــم ... تقاعدهـــم عنـــه ، وطــول التواكــــل

واول خبــث المـــاء خبـــث ترابـــه ... واول لــؤم القــوم لــوم الحلائـــل

عبيد بن ايوب العنبري



- 16 -

ختام السلسلة

قراء مقالات هذه السلسلة ، وهم كثير في المغرب وفي الخارج يعلمون الباعث على كتابتها ، وهو ان احد دسائس الاستعمار الروحي الخبيث الذي هو شر الف مرة من الاستعمار المادي ، بل هو سل الشعوب وسرطانها نشر مقالا سب فيه الله جل جلاله وفي سبه سبحانه وتعالى سب لجميع المؤمنين من المسلمين واليهود والنصارى والبوذيين والهنادك وكل من يومن بما وراء المادة . فندبتني لجنة ادارة مجلة دعوة الحق لرجم هذا الشيطان المارد واسكات هذا الغراب الناعب بشهب ثواقب من براهين العقل والنقل ، واقوال الفلاسفة والعلماء المتقدمين والمتأخرين ، وشهادات سفراء الدول الديمقراطية التي تكفل الحرية التامة لكل فرد من شعوبها في اعتقاده ، وابداء رايه في حدود القانون امنا من كل طائلة عقاب او حرمان كما يقع في غير الدول الديمقراطية التي يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه بواسطة مجلس نواب منتخب انتخابا حرا .

اما الشعوب التي لا تسري دولها هذا المسلك ، سواء اكانت مؤمنة بالله ام كافرة ، فاني لم اتوجه الى سفاراتها ولم التمس منها احصاء لعدد المؤمنين بالله من شعوبها ، لان حرية الاعتقاد وابداء الراي محظور على افراد شعوبها . ولا يمكن التوصل الى معرفة آراء تلك الشعوب الا اذا كانوا احرارا في ابداء آرائهم . وليس مقصودي بهذا الكلام مدح احد الفريقين ولا ذم الاخر ، وانما ذكرت هذا اعتذارا للقراء عن عدم تعميم الزيارة لجميع السفارات والتماس الاحصاء منها . على انني تركت زيارة سفارات توفرت فيها الشروط كالسفارة الفلاندية مثلا اكتفاء بما ذكر ، وفيه مقنع لكل منصف .

والان اختم هذه السلسلة بفقرات لم استطع اغفالها لقوتها ووضوحها واعجابي بها . ولو ذهبت انقل كل ما وجدته في هذه القضية لاستمرت الكتابة سنين ، ولكني اردت الاقتصار على هذا القدر ، فقد قرت به عيون المومنين وسخنت عيون الكافرين والمنافقين ، وخصوصا المردود عليه ذو الرين الملقب بالحبشي .

قال الاستاذ فاضل صالح السامرائي في كتابه (نداء الروح) نقلا عن كتاب الرد على الدهريين للفيلسوف الاسلامي العظيم جمال الدين الافغاني

اصل الحياة

يقول بعض الطبعيين : ان تركيب الخلايا هذا التركيب الكيماوي المعروف ، وبهذه النسب الثابتة من العناصر المختلفة هو الذي منحها الحياة ومن عليها بالاحساس ،ووهبها هذه الصفات .

وابسط ما يرد عليهم ، انه قد اظهر لكم المختبر جميع اجزاء الخلية ، وعرفتم جميع عناصرها واوزانها ونسبها وتركيبها ، فلم اذن لم تفلحوا في انشاء خلية واحدة تنبض بالحياة وتتغذى وتنمو وتشعر وتتكاثر وتحتاط في الدفاع عن نفسها احتياطا يعجز العقول وياخذ بالالباب شأن (ذوات الخلية الواحدة ؟)

انه طلب معقول ، كان وجهه احد الكتاب المعروفين (هذه عناصر الخلية ، هاتوا لنا خلية واحدة)

هل تستطيع اجهزتكم ان تكون لنا (نواة تمر) لها صفات النواة وخصائصها خشبة صغيرة متى غرست في الأرض انفجرت عن جذير وسويق وامتدت ضاربة في الهواء تحمل الرطب الجني والتمر الشهي

هل تستطيع اجهزتكم ان تكون (نواة) مرة كنواة المشمش مثلا او بذرة البرتقال حتى اذا غرست في الارض وسقيت بالماء وصارت شجرة وارفة اتت بالثمار الحلوة والفاكهة الشهية .. ؟

كيف يعقل – يا هوءلاء – ان يكون تركيب الخلية اصل حياتها ، والحياة هي التي تغذيها وتنميها وتحول المواد الجامدة فيها الى مواد حية ؟

ان الحياة هي التي تحفظ على الخلية وجودها ، وتجمع عناصرها ، وتمسكها من التحلل والافتراق ، فان فارقتها الحياة ذهب وجودها واختفى تكوينها ، وافترقت عناصرها ، وتحللت موادها ، ان الحياة هي التي تمنعها من التفرق ، وتعصمها من التحلل ، وبدونها تتفرق شملها ، وتمزقت اوصالها . كيف يعقل اذن ان يكون تركيب الخلية اصل حياتها ، مع ان الحياة هي التي حفظت على الخلية تركيبها ، ولولاها لتعفنت وضربتها الرياح وذهبت سدى . ولتحللت عناصرها وتمزقت اوصالهـــا

ان الحياة هي التي تجعل من المواد الميتة ، ومن العناصر المتحللة مواد حية تضع كل مادة بمحلها ، وتجمع بين هذا وذاك بنسب ثابتة ، وتحفظ تماسك هذه المواد على الوضعية التي اتخذتها

ان الكائن الحي ذا الخلية الواحدة مثلا من حيث هو مخلوق بسيط : من يحفظ مواده من ان تعبث به الرياح ؟ من يمسك عناصره حتى لا تحطمه الطبيعة بحملاتها الشديدة ؟ انها الحياة .

ترى ، ما ذا سيحدث لو فارقتها الحياة ؟ ان هذه المواد المتماسكة التي يزعم الزاعمون ان تماسكها وتركيبها هو اصل الحياة ستفقد تماسكها ، وتتحلل تراكيبها بعد خروج الحياة منها .

لقد عجزت الطوائف عن بيان السبب لحياة الجراثيم ، حياة نباتية او حيوانية ، خصوصا بعد ما تبين لهم ، ان الحياة فاعل في بسائط الجراثيم ، موجب لالتئامها ، حافظ لكيانها ، وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حيا بالتغذية ، فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ، ثم صارت الى الانحــــلال

ثم نقل الموءلف المذكور كلام العلامة (كريسي موريسن) في حقيقة الحياة ، وقد ترجمت هذا الفصل برمته ونشرته في سلسلة مقالات (دواء الشاكين وقامع المشككين) في الجزء العاشر من السنة الثالثة من هذه المجلة فليراجعه من اراده

ثم قال الموءلف المذكور ، وقال جـ . ارثر فندلاي: فما السبب في ان الشجرة المزهرة تحتفظ بشكلها واوراقها ، على حين تتأثر شجرة اخرى من تلك التي نسميها (ميتة) وتتساقط اجزاوءها عند لمسها وتتفتت في الثرى ؟ لا بد ان يكون هنالك ثمة شيء ، وهو ما نسميه (حياة) هو الذي يوجد في الكائن الحي وينعشه ويختفي من الكائن الميت ، ولهذا الشيء قدرة على اكتساب المادة الشكل واللون ، فاذا ما اختفى ذهب باختفائه الشكل واللون ، ويتهوى الشيء الذي كان حيا فيما مضى الى الارض مكونا جزءا منها

من ثم يتضح ان هنالك شيئا لا يمكن ان نراه ولا ان نلمسه ، ولكنه مع ذلك حقيقي وقادر ، وله خاصية تشكيل الصور من الارض غير الحية . اقول : انه لا بد ان يكون قادرا ، لانه يقوى على رفع المادة رغم قوة الجاذبية ، ويستطيع الاحتفاظ بها في وضع معتدل ، فاذا ترك المادة عادت لقوة الجاذبية سيطرتها ، وتأثرت المادة بقوى الطبيعة كلها . فالانسان او الحيوان او النبات يمكنه ان يقف معتدلا عند ما تسري فيه هذه القوة ، فاذا ما وقف سريانها هوى هوءلاء جميعا الى الارض ، فالحياة اذن قوة منظمة تقاوم في المادة ميلها الى الاختلال وعدم الانتظــــام .

الحياة قوة منظمة مفكرة تسري في المادة فتنظمها ، وبدونها تكون المادة مختلة النظام . فهي اذن لا يمكن ان تكون جزءا من المادة الا اذا كان صانع الخزفة جزءا

من الصلصال الذي يصوغه اواني ، وعدا هذا للحياة شخصية

لكل كائن حي شخصية ، لان كل كائن حي يختلف عن غيره من الكائنات الحية وبهذا التدليل يكون لهذه الحياة قوى تقصر عنها القوى المادية ، فهي اقوى من المادة ، وهي تستطيع تنظيم المادة اه

ايضاح وشرح لحجة جمال الدين الافغاني

انما احتج به هذا العالم المفكر المسلم على الطبيعين الجاحدين واضح لا يحتاج الى شرح بالنسبة الى ذوي الكفاءة العلمية من القراء ، ولكني حريص على تعميم الفائدة وابلاغ ذلك الى اذهان سائر القراء فلذلك ازيده توضيحا فاقول : زعم عباد الطبيعة الجاهلة العمياء الصماء ان الحياة في الانسان والحيوان والنبات انما تنشأ لتركب كل من هذه الانواع من عناصر مختلفة باجزاء متناسبة فمتى تألف جسم الانسان او الحيوان او النبات من تلك العناصر بتلك النسب والاجزاء جاءت الحياة من تلقاء نفسها ، فتحداهم العلماء المثبتون لوجود الخالق المبدع لجميع ما في العالم والحافظ عليه وجوده والمدبر لشؤونه بقولهم : ها انتم اليوم تملكون مختبرات كيميائية تحلل كل مركب حتى ترده الى عناصره الاولية وتعلمون علم اليقين اجزاء المركبات ونسبها وحقائق البسائط غير المركبة ، فهلا جمعتم اجزاء نوع من النبات او الحيوان ، فضلا عن الانسان وركبتم ذلك ؟ فتجيئكم الحياة وتستقر فيه وتعرضونه على خصومكم المومنين بالله وبعالم الغيب فتفحمونهم بحجة يحسونها ، وانتم تزعمون انكم لا تومنون الا بما يحس كالبهائم ، فكيف تريدون من خصومكم ان يومنوا بخيال باطل لفقته عقولكم السخيفة ، وانتم تردون الحجج القاطعة والبراهين الساطعة ، وقد تستطيعون ان تقنعوا بذلك الصبيان ومن في معناهم من كبار الاجسام المضروبين بسوط الاستعمار الروحي الذين يتلقون كل هذيان تفوهون به بالتصديق اما اهل العقول النيرة والابصار الثاقبة فلا تجوز عليهم ترهاتكم ، ولا تتمشى عليهم تلفيقاتكم

ثم قال العلماء المومنون : بل الامر بالعكس ، فان الحياة هي التي تحفظ الاجسام متمتعة بخصائصها ، ومتى فقدت منها الحياة تلاشت . ونحن ناخذ نواة تمر جامدة جمود الاحجار لا حياة فيها ولا اثر للحياة ، ولا حركة ولا نمو ، فنغرسها في ارض طيبة ونسقيها بالماء فتنشق ويخرج منها جذر يمد عروقه في الارض الى اسفل ، ونبتة تمتد الى اعلى في شكل وريقة ضعيفة ، ولا تزال تنمو حتى تصير جذعا ، له خشب وكرب وليف وسعف وخوص وشوك وقلب ، ثم تثمر ، فنجني منها رطبا يانعا وتمرا لذيذا ، وتعيش ما شاء الله في زيادة ونمو حتى تصير نخلة باسقة صاعدة في السماء ، فان لم يطرأ عليها مرض مميت تطول حياتها حتى يدركها ضعف الهرم كالانسان والحيوان فتقطع وينتفع بخشبها في البناء وغيره ، وان اصابها مرض كمرض (بيوض) المنتشر في نخيل تفيلالت يذبل قلبها ثم ييبس ويتلوه سعفها فتموت وتتفتت ويسري الفساد في جذعها فلا ينتفع به في بناء ولا غيره . فقد رأينا ان الحياة هي التي تحفظ وجود الجسم وتماسكه وازدهاره ، وفقدانها يؤدي الى تلاشيه حتى يصير ترابا كما كان .

ومثل هذا يقال في كل نبات وكل حيوان ، فالحياة هي سر الوجود ، سواء اكانت بسيطة كما في الخلية الواحدة او الاميبة التي هي اصغر حيوان ، ام كانت في المركبات التي تتألف من ملايين الخلايا ، فالحياة هي التي تحفظ وجودها وتضامنها واتحادها واتصافها بخصائصها من حركة ونمو واعمال . وهذه الحياة هبة من الخالق جل وعلا لا حيلة لاحد في ايجادها ابتداء ، ولا في ردها بعد فقدانها . قال تعالى في سورة الحج (73 ـ 74) « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوي عزيز »

ومن اين جاءت الحياة لتلك النواة الجامدة حتى نشأت منها تلك النخلة العظيمة ثم لما قبضت الحياة تلاشت النخلة ولم يبق لها وجود . وهكذا يقال في كل نواة ، وفي بذرة من بذور المزروعات قال تعالى في سورة الانعام 95 : « ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، ذلكم الله ، فانى توفكون » .

فالنواة تكون ميتة فيفلقها الله ، اي يشقها ويخرج منها شجرة تتدفق بالحياة . والحبة تكون ميتة فيفلقها الله تعالى فتخرج شطأها ويستغلظ ويستوي على سوقه ويخرج منه حبا متراكبا رزقا للانسان والحيوان يحفظ عليه حياته الى اجل مسمى ، ذلكم الله فانى تصرفون .

2 ـ قوله : لانه يقوى على رفع المادة رغم قوة الجاذبية الخ . بيان ذلك ان الله اودع في هذه الارض التي نعيش عليها قوة ، يسميها علماء هذا العصر ، الجاذبية ، وبهذه القوة تتماسك اجزاء الارض ويثبت عليها كل ما هو متصل بها من بحار وجبال واحجار وحيوان وهواء محيط بها فلا يقوم شيء منها ويرتفع الا اذا كانت فيه قوة تقاوم تلك الجاذبية . فالنواة قبل ان تغرس تبقى في مكانها لا يرتفع منها شيء ، اذ ليس فيها قوة تقاوم الجاذبية ، فاذا غرست اثرها الله الحياة وفلقها فارتفعت منها نبتة مقاومة للجاذبية حتى تبلغ ما قدر لها من الارتفاع ، ولا تزال كذلك حتى تفقد الحياة فتفقد القوة التي كانت تقاوم بها الجاذبية ، ويؤول بها الامر الى ان تهوى على الارض ثم تصير ترابا ميتا .

مثال اخر هو او ضح ، اذا اراد الانسان ان يثب الى فوق ، فانه يجمع قواه فيثب في الهواء مقدار متر او نحوه ، والجاذبية تعاكسه وتقهره وتجبره على الرجوع الى الارض فلا يلبث ان يعود اليها مقهورا . واذا رمى الانسان بحجر الى اعلى يرتفع الحجر مقاوما الجاذبية على قدر القوة الدافعة ، ثم تجبره الجاذبية على ان يعود الى الارض . وهذه القوة الجاذبية لا تدرك بالحس ، وانما يدرك اثرها ، ومركزها في جوف الارض ، وهي حجة على اشباه البهائم الذين يزعمون انهم لا يؤمنون الا بما تدركه الحواس الخمس .

3 ـ قوله : الا اذا كان صانع الخرفة جزءا من الصلصال الخ . يعني ان المادة التي يتألف منها اجسام الحيوان والنبات لا تستطيع ان تهب الحياة لهذه الاجسام الا اذا كان صانع القلة من الطين جزءا من ذلك الطين الذي يصنع منه القلل وغيرها من الاواني .

4 ـ قوله : لكل كائن حي شخصية . يعني ان الله يهب لكل حيوان وكل نوع من انواع النبات صورة خاصة وحياة خاصة ، فعمل الحياة في البعوضة ليس كعملها في الفيل، وقس على ذلك جميع انواع الحيوان، وبذلك يكون التباين والاختلاف بينها ، وهكذا يقال في النبات ، فالحياة التي وهبها الله لنوع من الاشجار تؤثر فيه شكلا ونوعا وثمرا ولونا غير الحياة التي وهبها الله للنوع الاخر .

يقول محمد تقي الدين الهلالي : بهذا المقال اختم هذه السلسلة ، وقد بلغ عدد مقالاتها ست عشرة اذا ضمت الى السلسلة الموسومة بـ (دواء الشاكين وقامع المشككين) التي بلغ عدد مقالاتها اربعا وعشرين وتضمنت كتاب العالم (كريسي موريسن) الموسوم بـ (ليس الانسان مهملا) يكون مجموع المقالات اربعين اشتملت على براهين قاطعة وانوار ساطعة يؤيدها العقل ويكملها النقل . يثبت الله بها المؤمنين ويشفي صدورهم ويطهر نفوسهم ، وتطمئن اليها نفوس المنصفين وتكبت بها نفوس المنافقين والجاحدين .

فلو جمعت في كتاب واحد ، ويسر الله من ينفق على طبعه لكان حصنا حصينا لطلبة العلم الصادقين ، وسلاحا فتاكا في ايدي المناضلين ، وسيفا صارما في نحور اعداء الاسلام والمسلمين . والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .

انتهـــى

الدكتور تقي الدين الهلالـــي

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عجاج نويهض
مترجم حاضر العالم الاسلامي

... واما مجلة « دعوة الحق » فهي مجلى النشاط الفكري في المغرب وجميل جدا هذا النشاط ، لا استطيع ان احكم على مستوى هذه المجلة من بضعة اعداد ثم مجلى الحكم لا ينبغي ان يتناول الا ما يستطيع الواحد منا ابداء رأيه فيه ولقد لفتت نظري الامور التالية في هذا العـــدد :

اولا ـ الاستاذ عبد الله كنون في مقالـه الخامس هنا يتابع نقد « منجد الاداب والعلوم » والاسم على التمام هو « المنجد في الادب والعلوم » ـ معجم لاعلام الشرق والغرب وضعه « فرديناند توتل » اليسوعي وهو المعجم المشهور بقسميـه ، فالاول هو « المنجـد في اللغـة » تاليف لويس معلوف ، والثانـي « المنجـد في الادب والعلوم » وهو موضوع الملاحظة التي ابديها بايجـاز واذا احببت نشرها فلا تعلو على يدك يد ولا ادري هل هذه الحلقة هي الاخيرة من حلقات الناقد البصير الجهبذ الاستاذ كنون ام تليها حلقـات ، وهـو يقول في اخـر الحلقة التي في هـذا العدد من دعـوة الحق بطريـق الحاشية او الذيل ، ما هو مفيد نقلـه بالحـرف لدقـة الموضوع كما سيجيء « تنبه الكتاب العرب اخيرا الى مهزلهة منجد الاداب والعلوم فتناولته اقلامهم بالنقد في مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد في دمشق ، وكذا في مجلة المجمع العلمي ، والغريب ان هذه الانتقادات قلما تلاقى فيما تناوله من الكتاب مما يؤكد ما قلناه في مقدمة هذا النقـد من ان اخطـاء المنجد اكثر من ان يتصدى لتصحيحها كاتب واحد » .

في ايامنا هذه يصعب على الذي مثلي ان يطلع على ما ينشر في الصحف والمجلات من ابحاث مهمة كنقد المنجد اذ الاطلاع الشامل متعذر والموضوع جد خطير وانا لم اطلع على ما نشرته مجلة « المعرفة » ولا مجلة « المجمع العلمي » وانما بمجرد المصادفة اطلعت اليوم على هذه الحلقة من نقـد الاستاذ كنـون وهي اصابـة وحصافة ، واحسب ان الحلقات الخمس السابقة هي على هـــذا الغـــرار

وما اريد قوله هو هذا ، ان القسم الاول من هذا المعجم اي المختص باللغة ظهر سنة 1908 في بيروت سنة اعلان الدستور العثماني او قبل جلاء الاتراك عن البلاد العربية بعشر سنين ولقى رواجا واسعا في البـلاد العربية وواضعه الاب لويس معلوف اليسوعـي ، وفي مدة ما بين الحربين بدأ الاب فرديناند توتل اليسوعي يضع معجم الادب والعلوم ، وهذا المعجم الى الآن قد طبع وعدل عدة مرات بقسميه وهـو كما يعلـم القارئ يضم القسمين معا في مجلد واحد ، لا يزيد سمكه على 8 س م وطوله 21 س م

ومنذ صدر القسم الاول اي قسم اللغـة واحـرار ادباء العرب يلاحظون طريقة المنجد في ايراد ما يختار ايراده الكلمات او المصطلحات الاسلامية ايرادا مخـلا من عدة وجوه حتى يكاد الملاحظ ان يحسب ذلك عمدا لكن لما صدر القسم الاخر اي قسم الادب والعلوم برزت العيوب اي بروز ، فصارت العـورات في كـل صفحـة تقريبا من صفحات المعجم بادية للعيان

فقامت مسألة دقيقة في اذهان احرار العرب والمسلمين على غير اتفاق في القيام بحملة نقد او القيام بنقد منسق مطرد يشمل الكتاب الادبي كله وفحوى تلك المسألة ، ان المنجد فيه من خلل وقصور ما يجب التنبه عليه انتقادا للاذهان الناشئة من الاعتماد عليه واني لست اقصد الان الدخول في اي باب من ابواب النقد وانما غايتي التي احب الجهر بها على مسمع القارىء هي ان خير وسيلة في حماية تلك الاذهان من خطط المنجد ومهاويه هو وضع منجد على غراره من الناحية الطباعية الفنية والناحية الفنية الطباعية كلمة واسعة شاملة ينبغي توضيحها في الصدد الذي نحن فيه :

فان سبب انتشار المنجد في البلاد العربية الاسلامية هو حسناته البارزة من حيث جمال التنسيق وحسن الترتيب ومراعاة تفاوت الحرف وحجمه وشكله وحسن تقسيم الاعمدة في الصفحات ، فقسم اللغة تشتمل كل صفحة منه على ثلاثة اعمدة واختير له من الورق ما يتم اتقان الاخراج وجعل حجمه مقبولا في طوله وعرضه وسمكه وثقله جلية يسيرة واضحة متقنة الترتيب وقسم الادب تشتمل كل صفحة منه على عمودين فقط باعتباره معجما ، ولما وضع قسم الادب واضيف الى الاول في مجلد واحد اصبح المراجع يستقي منه المادتين بيسر وسهولـــــة

فالنقطة الاساسية الاولى التي دفعت بالكتاب الى الرواج هذه المحسنات الفنية المحضة ، ولما كان المطالع في هذا العصر يهوى كما يهوى المطالع في كل عصر ما هو ايسر تناولا فغدا « المسلم » اذا وقع على خلل في المنجد واشمأز منه فان اشمئزازه هذا لا يصرفه عن استعمال هذا المعجم ذلك لان المحسنات الفنية غلبت على الشعور الاخر

وعلى كل حال فان شركة تجارية او معهدا علميا او احدى الحكومات العربية بوسع اي كان من هؤلاء ان يتولى القيام بمشروع وضع معجم عربي صحيح جامع لمثل هذه المحسنات ، والمسألة بعد كل حساب خاضعة لاعتبار اقتصادي تجاري ، فمثل هذا المشروع في العالم العربي جدير به ان يرسو على قواعد اقتصادية كما يرسو اي مشروع اقتصادي آخر . واما متابعة نقد المنجد فامر ضروري على كل حال اذ قد يجمع هذا كله في كتاب واحد . والمسألة جد خطيرة ، الا فلينتبه الى هذا من يريد من حملة التبعات والمسؤوليات في التربية والثقافة في العالم العربي . اني لا الوم الاب لويس معلوف ولا الاب توتل اليسوعيين ، فالتاليف عندهما وعند علماء اليسوعية تحمل في العربية لونا خاصا ازاء الاسلام . هذه قضية معروفة في مؤلفات القوم . وجرجي زيدان المشهور ليس يسوعي ، غير ان مصادر استقائه في وضع التاريخ الاسلامي كانت مصادر غربية متلونة فاقتبس منها على غير هدى في مواضع ، واعتقادا انها صحيحة في مواضع ، ولكن لما قام العلامة النحرير شبلي النعماني في الهند وكشف العورات والزلات بانت معايب كتب زيدان للعالم

نحن اذا شئنا سلامة ادبنا ولغتنا فعلينا ان نتولى وضع معاجمنا على غرار فني كما سبق الكلام .

عجـــاج نويهض
مترجم حاضـــر العالم الاسلامـــي

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 13 -

حـرف الطـــاء :

333) في ص 315 ، ع نى ذكر كتاب لسان الدين ابن الخطيب المعنون (بالتاج المحلى) في مساجلة القدح المعلى فسماه الطاق المعلى بسكون الميم الثانية وضبط القدح بفتح القاف والمعلى جعلها بسكون العين ، فيالغرابة هذا الاسم !

334) في العمود نفسه ذكر مدينة طالقان فضبطها بكسر اللام وهي بفتحها كما سبق ان نبهنا على ذلك في ترجمة الصاحب بن عباد

335) في ص 316 ، ع في تعريف بمدينة الطائف ذكر ان فيها العنب العذب ، وما رأينا قبل من وصف العنب بالعذوبة ، وانما العذوبة مما يوصف به الماء وهي لا تبلغ ان تعبر عن حلاوة العنب ، ونبه على مثل هذا التعبير لوروده في معجم يقع في يد الشباب فربما اعتمدوه في ذلك فشذوا عن الصواب

336) في ص 318 ، ع ل تحت عنوان طبقات الحفاظ قال : الفه جلال الدين السيوطي ، لخصه شمس الدين الذهبي الخ . والامر بالعكس فان ابتداء تاليف طبقات الحفاظ هو للحافظ شمس الدين الذهبي ، والذيل عليه للجلال السيوطي ، ضرورة ان الاول من اهل القرن الثامن والثاني من اهل التاسع وادرك العاشر على ان للطبقات ذيلين ءاخرين اغفلهما المنجد وهما ذيل الحافظ الدمشقي وذيل ابن فهد المكي .

337) في ص 319 ، ع نى تعريف بعبد الكريم ابن ضرغام الطرائفي جعله ابن درغام بالدال المفتوحة خطأ وهو بالضاد مكسورة ، وقال له : ابكار في مدح النبي المختار وهي ابكار الافكار ، فلعل ذلك عن سقط الطبـــع

338) في ص 320 ، ع ل ذكر رأس الطرف الاغر فسماه طرف الغور ، وسبق ان سماه طرف الغمر وتبهنا على خطأه في ذلك

339) وفي المكان نفسه ترجمة للطرماح بن حكيم الشاعر الخارجي المعروف ، ضبط فيها اسمه بضم الطاء وسكون الراء وهو بكسر الطاء والراء معا وتشديد الميم المفتوحه . وقال فيها : « جاء ذكره بين الذين قدموا خضوعهم للنبي (630) » ولم يدرك الطرماح عهد النبي (ص) فانه توفى سنه 125 كما في الاعلام للزركلي ، ولا يعرف هذا الاسم في الصحابة .

340 في ص 321 ، ع نى ترجمة لابي الطمحان القيني الشاعر ضبط فيها اسمه بسكون الميم وهو بفتح الطاء والميم معا ، وبالحاء المهملة

341 في هذا العمود تعريف بمدينة طنجة قال فيه انها منطقة دولية في افريقيا الشمالية ... يحيط بها شرقا وجنوبا المغرب الاسباني ... (46000) . وهذا كلام كان يصح ان يكتب قبل عشر سنوات زيادة على انه تنقصه الدقة . فقد زالت صفة الدولية عن طنجة منذ استقلال المغرب . وطنجة مدينة في المغرب من بلاد افريقيا الشمالية ولا يصح الاطلاق انها مدينة في افريقيا الشمالية . وليس هناك مغرب اسباني وانما كان هناك منطقة تحت الحماية الاسبانية من المغرب . ثم ان سكان

طنجـــة يبلـــغ تعدادهـــم زهـــاء 000 200 وليـــس 000 46 فقـــط

حـــرف الظـــاء :

342) في ص 328 ، ع نى بعنـوان الظـرائـف واللطائف ، قال : كتاب جمعـه ابن عبد ربه من كـتب الامام الثعالبي في ايام الملك المامون خوارز مشاه ...
والمعروف ان الذي جمع بين هذا الكتـاب من تاليف ابي منصور الثعالبي وكتابه اليواقيت في بعض المواقيت هو ابو نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي ، فهو اولا كتاب من تاليف الثعالبي وليس من جمع احد ، والجمع الحاصل بينه وبين كتابه اليواقيت من عمل ابي نصـر المقدسي . وابن عبد ربه الذي ذكره المنجد لا نعرف من هو . وقوله في ايام الملك خوارز مشاه يوهم انه ظرف للجمع الحاصل من ابن عبد ربه ، وليس كذلك فهـو ظرف لتاليف الثعالبي كتابه الظرائف واللطائف هذا . ثم ان كتاب ابي نصر مطبوع بمصر سنة 1307 فالعـرب بالباب كما يقولون .

343) في الصفحة والعمـود نفسيهمـا تعريـف بمدينة ظفار اليمنية ضبط فيه هذا الاسم بضم الظاء وهو بفتحها وبناء ءاخره على الكسر بوزن قطام وحذام .

344 وفيهما ايضا بعنوان ظفر الاماني في مختصـر الجرجاني قال : « كتاب في مصطلح الحديث الفه السيد الشريـف الجرجانـي الخ . وهـذا يوهـم ان كتـاب الجرجاني هو ظفر الاماني مع انه ليـس كذلك ، وقـد سقطت من اسمه كلمة افـد سقوطها المعنى وصوابه ظفر الاماني في شرح مختصر الجرجاني ، وهو للشيخ محمد عبد الحي اللكنهوي الهندي ، شرح به رسالـة السيـد الشريف في اصول الحديث .

طنجة — عبد الله كنـــون

— العقـــول ممـــالـــك —

الحواس مهالك ، والاوهام مسالك ، والعقول ممالك . فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ، ومن قـوي على المسالك اشرف على الممالك ، شرفا اوصله الى المالك .

ابو سليمان المنطقي



واقفت اللجنة الادارية للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو على استخدام اللغة العربية كلغة عامة فى اليونسكو .

وهو خبر ليس من الحق ان يمر من غير تعليق، وهذا التعليق يمكن تركيزه على ثلاث نقط

اولاها : ان اللغة العربية لغة حضارة عريقة ، وكانت فى يوم من الايام هي لغة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية ، ومعالم الحضارة التي ما تزال ناطقة وشاهدة وقائمة تعتبر معالم انبثقت عن وظيفة اللغة العربية ، فالهندسة المعمارية ، والنظريات الطبية والفلكية والجيولوجية التي ما يزال البعض منها جاريا بـه العمل حتى الآن قد اجريت عملياتها وفكت الغازها واكتشفت اسرارها بواسطة اللغة العربية ، هذه اللغة التي وسعت حكمة اليونان وحضارة الفرس ونافست حضارة الرومان ، فهي بذلك ليست لغة مجهولة النسب ولا لقيطة يبحث لها عن الحسب والنسب ، وانما هي اصيلة وعريقة ولها سند متصل معروف البداية والنهاية .

ثانيهما : ان الشعوب العربية والشعوب التي ما تزال اللغة العربية تكون جزءا من معتقداتها والدول العربية التي تمثلها فى المنظمات الدولية تشغل مساحة من ارض المعمور تمتد عبر الشرق الاوسط والادنى وآسيا وافريقيا وذلك بالاضافة الى الجاليات العربية الموزعة على اقطار مختلفة فى اوروبا وامريكا وبعملية حسابية بسيطة يمكن استخراج مئات الملايين ممن يتكلمون العربية او انها تكون جزءا من معتقدهم الديني .

اما النقطة الثالثة فهي تدعونا الى وضع هذا السؤال : ماذا يوخذ عن اللغة العربية حتى تتهم بالقصور فى اداء ماتضطلع به لغات اخرى ، سواء في المنظمات الدولية او خارجها .

ان اللغة العربية لغة عريقة فى الحضارة وهي تتميز عن بقية اللغات بانها كانت تتوفر من اول يوم على عمليات من النحت والاشتقاق والتصريف يمكنها من مسايرة التطور الحضري حذوك النعل بالنعل كما يقول المثل العربي .

الا ان الجهل بما يتوفر عليه من هذه الامكانيات اذا كان يسوغ ويجوز فى حق غير اهلها فانه لايسوغ ولا يجوز فى حق اهلها والناطقين بها وحتى المنتمين اليها .

فآفة اللغة العربية المزمن هو مركب من نقص ادخله الاستعمار مع ما ادخله من مركبات النقص الاخرى الى البلاد العربية واستمر فى توسيع جنباته حتى جعله يمتد الى اللغة العربية حيثما كانت فاعترى هذه اللغة من مركب النقص هذا بعض الفتور الذي كاد ان ينقلب الى مشكل فى مسايرة الركب الحضاري وذلك بالرغم عن توفر الوسائل والامكانيات

واضغاث الاحلام هذه يجب ابرازها عن طريق فرض سلطة اللغة العربية ، وهذا الفرض يتأتى بوسيلة واحدة ؛ هي التحرر من كل استعمار فكري الذي يكون شطرا متمما للاستعمار المادي .

فالسيادة كل لا يتجزأ ، وكما انها تبرز فى جلاء الجيوش وتصفية القواعد الاجنبية ، فانها تبرز اكثر بل وينبغي ان تبرز اكثر فى اجلاء آلات التفكير الاجنبي من الادمغة ، وذلك لان آلات التفكير لايمكن الا ان تكون مصنوعة فى معامل وطنية ، ثم يأتي دور تلقيح ما تنتجه هذه الآلات بانواع الثقافات الاخرى .

واذا كان الصهاينة قد استطاعوا بالاضافة الى اغتصاب وطن الناس آخرين وحولوه الى وطن لهم — أعطاء اللغة العبرية مكانتها فى شؤونهم العامة وجعلوا منها لغة رسمية بالقول وبالعمل كذلك ، فكيف لايمكن اللغة العربية ان تحتل نفس المكانة فى تفكير العرب وشؤونهم العامة .

ونحن لا نتجنى على اللغة العبرية حينما نقول، انها لغة تعتبر فى عداد اللغات الستة ، ومع ذلك فالصهاينة تطاولوا — فيما تطاولوا فيه — لفرضها حيث جعلوا منها لغة شغل ومعاملات وتدريس .

ان الخلط المقصود والمتعمد فى بعض الاحيان فيما بين ثقافة قومية وثقافة عامة ، هو أصل هذا المشكل المصطنع ، فاللغة القومية أساس التثقيف ، بينما اللغات الاخرى تشكل حالة من الاكتمال لذلك التثقيف ؛ خصوصا اذا كانت هذه اللغة مثل العربية ، اسهمت بحظ وافر فى خلق الحضارات وتعزيز جانبها والمحافظة عليها حينا طويلا من الدهر .

والتجارب الجارية فى المعاهد والمؤسسات فى الكثير من البلاد العربية تشهد على ان اللغة العربية قادرة على استيفاء حاجيات العصر كله ، وذلك عن طريق ما تتوفر عليه من عناصر النحت والتصريف بل ان العرب القدماء قد ادخلوا الى اللغة العربية مفردات كثيرة بواسطة النحت والتصريف ، وتوجد فى الخزانات العربية كتب تتحدث باسهاب عن الكلمات الدخيلة التي دعت الحاجة الى ادخالها الى اللغة العربية فى مختلف العلوم والفنون ، وتشير الى كتاب واحد منها فقط هو « شفاء الغليل فيما فى العربية من الدخيل » .

فلا داعي اذن للف ولا الى الدوران ، واذا كانت اللغة العربية ستصبح لغة دولية فى اشغال منظمة اليونسكو فانه من الحق ان تصبح لغة قومية شاملة تتدرج كغيرها من اللغات فى مراحل التطور الحضري الذي تستطيع اللغة العربية ان تنحت لكل مصطلح من مصطلحاته ما يظهر من جديد .

بقي أن يومن بعض الناطقين بالعربية او المنتسبين اليها بهذه الحقيقة .

اذ تلك هي الازمة الحقيقية التي تعانيها اللغة العربية ولا شيء غيرها .

وانا لست فى حاجة بعد هذا كله الى ان اكرر قول الشاعر حافظ ابراهيم : وسعت كتاب الله لفظا وغاية ؛ لان اللغة العربية بالاضافة الى ما أورده حافظ فى قصيدته « البكائية » على اللغة العربية — اصبحت الى جانب ذلك تسع المصطلحات الالكترونية وشؤون الذرة .

وعلى الذين يشكون فى ذلك أن يتحملوا مشقة مطالعة عدد واحد او عددين من مجلة « العلوم » التي تصدر عن دار العلم للملايين ببيروت .

فانهم سيجدون فى مقالاتها ما يسكت السنة الخراصين الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقفون عند ويل للمصلين ، ويسلكون سبيل من جهل شيئا عاداه .

فقرار منظمة اليونسكو باستخدام اللغة العربية انما هو تصليح لوضع فاسد لا اكثر ولا اقل، واذا كان هنالك ابناء عاقون للغة العربية فهنالك ابناؤها البررة وهم كثيرون ولله الحمد .

على ان العقوق يمكن ان يتحول الى برور ، وذلك حينما تعرف اسرار الرضى عند العاقين الذين يأتي عقوقهم فى اكثر الاحيان عن غير قصد مقصود .

الرباط : احمد زياد



عندما زرت لندن صيف 1960 اهتممت بحكم مهنتي التربية أن أتتبع بصفة خاصة ما كتبه الاقوام حول نظم التربية والتعليم في بلادهم وفي بلاد الغير ، وهذا الشيء مما كتبه بعض رجال التربية الانجليز عن تطور نظام التعليم في فرنسا وهو الدكتور نيكولا هانس (Nicholas Hans) (1) الذي كان استاذ التربية المقارنة في جامعة لندن ، واذا كانت الغاية من الاطلاع على انظمة التعليم في بلاد الغير هي – كما ينقل هانس نفسه عن جوليان دوباري « امداد المناهج الوطنية بالتكيفات والتغييرات التي تتطلبها الظروف والاحوال المحلية » فان الغاية التي توخيتها من ترجمة هذا العرض التاريخي لنظام التعليم في فرنسا هي ان يعرف المواطن المغربي المهتم بشؤون التربية والتعليم الى حد تأثر تطور نظام التعليم في المغرب بتطور نظام التعليم في فرنسا ، وكيف تصارعت المذاهب والآراء وتشابهت المشاكل والحلول في الميدان التربوي هنا وهناك من جراء السيطرة التي دامت لفرنسا على هذه البلاد زمنا ليس بالقصير ، وانا لنرجو ان يكون الاعلان الاخير عن نهاية تعريب التعليم الابتدائي في السنة الدراسية الحالية وبداية تعريب التعليم الثانوي في السنة الدراسية المقبلة خاتمة عهد التأرجح بين التعريب والتغرب وبداية عهد الاستقرار والمغربة التامة في سياستنا التعليمية .

المترجم

1) دينيون وعلمانيون

في القرن الثامن عشر كانت فرنسا منقسمة ثقافيا الى قسمين اثنين : القسم الكاثوليكي التقليدي والقسم العلماني الثوري ، وقد تقوى هذا الانشقاق الثقافي في القرن التاسع عشر بتصنيع البلاد وبالتطور الحضري لعموم السكان ، فلقد استمر سكان النواحي الفلاحية شديدي الاعتقاد في التقاليد الكاثوليكية كما كانوا اكثر محافظة في التربية والنظم السياسية ، على حين أن المراكز الصناعية والتمدينية تبنت تقاليد الثورة الفرنسية المتطرفة في معاداة رجال الدين ، وقد دفعت هذه المعاداة في النهاية صفوف الاحزاب الاشتراكية والشيوعية الى أن تقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في القرن العشرين ومع ذلك فقد كانت تجمع كلا من الخصمين خلالجميع فتراتعراكهما التاريخي خصائصهماالفرنسية فالكل كان شاعرا بكل فخر بتراثه المشترك ووطنيته المشتركة ، فسواء منهما الجزويتي والجانسينستي (Jansenist) (2) والبروتستانتي أو اليعقوبي في الماضي أو الكاثوليكي أو الشيوعي في الحاضر، جميعهم كانوا مثقفين فرنسيين اشتركوا في تقاليد ديكارت وبوسييه وفولتير وكندورسيه وفي مجد الملكية العظيمة، وعهد نابليون ، ذلك أن نفس عظمة الرأي ، ونفس المنهج التطبيقي المنطقي ، ونفس الحب الحماسي لفرنسا ، هذه جميعها صنعت الاتجاهين اللذين كانا يتعارضان في أغلب الاحيان الى حد المرارة وهما مع ذلك توأمان لنفس الام، لقد ربي ديكارت في كلية السهم الجزويتية (Collège de la Flèche) وموليير وفولتير وكاميل دي مولان وروبسبير هؤلاء جميعهم كانوا خريجي كلية لويس العظيم الجزويتية ، وبأمثال هؤلاء ثبت ان الانتقال من مذهب الى آخر كان ممكنا ، ذلك ان كلا المذهبين كان فرنسيا ، وعندنا في الوقت الحاضر أمثلة من الزعماء الاشتراكيين الذين ربوا في

---

1) من كتابه Comparative education

2) الذي يعتنق مذهب الجانسنسم الديني الذي ابتدعه الراهب كورنيليس جنسن (1638 – 1585) في بلجيكا **المترجم**

كلية الجزويت . ورهبان ربوا في مدارس المعلمين العليا العلمانية ، وعندما سئل مدير الكلية الجزويتية: كيف استطاع ان يكون صديقا لتلميذه القديم بول بنكور؟ Paul Boncour الذي صار اشتراكيا وعلمانيا اجاب الاخ الجزويتي « انه واحد من المشهورين العظماء المعادين لرجال الدين الذين تخرجوا من مؤسستنا » .

2) نظامان تربويان يتصارعان

ان دراستنا للتربية الفرنسية تلزمنا ان نجعل نصب اعيننا دائما انه يوجد في فرنسا نظامان تربويان ، احدهما مراقب من قبل الحكومة ومستقل عن الكنيسة ، والاخر مراقب من قبل الكنيسة ومستقل عن الحكومة ، على أن كلا النظامين كانت تجمعه مع خصمه الجذور العميقة التي كونت تركيبه المتشابه ، وبكلمة واحدة ان كليهما فرنسي . ان الكفاح المرير الذي دام اكثر من قرن قد وجد حله الحقيقي في القوانين العلمانية التي صدرت سنة 1882م وسنة 1904 ، والتي بها اصبح نظام التعليم العمومي غير خاضع للسيطرة الدينية؛ كما صار نظام التعليم الكاثوليكي حرا مستقلا وغير خاضع لمراقبة الحكومة ، ولقد حاولت الحكومة تحطيم مراقبة الكنيسة للمدارس الحرة بمنعها من الاحتفاظ بسلطاتها الدينية غير ان محاولتها لم تأت بالنتيجة المرجوة ، فلقد أعيد فتح المدارس الكاثوليكية من قبل الافراد وجماعة الاباء ، ولكنها استمرت في الواقع تحت المراقبة الدقيقة للكنيسة ؛ كما ان الكنيسة التي لم ترض بالخضوع لقوانين تجزئة المراقبة على التعليم ، والتي شهرت بنظام التعليم العمومي كنظام ملحد وغير اخلاقي ؛ لم تستطع هي كذلك ان ترجح كفة الميزان لمصلحتها ، فلقد اصبح نظام التعليم الحكومي نظاما وطنيا واتجه اربعة اخماس تلاميذ السن الاجباري للتعليم الى المدارس اللادينية ، وحتى في ميدان التعليم الثانوي فان المؤسسات الكاثوليكية تراجعت الى الوراء بعد انضمام التعليم الثانوي الحر ؛ الليسيات والكليات الى النظام الحكومي سنة 1936 . ولقد جعل اصلاح مجموع هيكل نظام التعليم العمومي تبعا لفكرة المدرسة الموحدة (Ecole unique) الذي كان قد شرع فيه قبل الحرب زيادة مراقبة الحكومة وانتشار التعليم اللاديني امرا لا مفر منه . غير ان الحرب وهزيمة فرنسا سنة 1940 غيرت الحالة بصفة جوهرية في مصلحة النظام الكاثوليكي ، فلقد اصبح الماريشال بيتان بعد الهدنة هو الدكتاتور الفعلي تحت حماية الالمان . ان الماريشال بيتان كان قد تحيز بصراحة الى الحزب الكاثوليكي سنة 1934 وادان بقوة نظام التعليم العمومي اللاديني وتأسف على تصنيع فرنسا وعلى انتشار المذاهب الشيوعية والاشتراكية تبعا لهذا التصنيع ؛ واراد للبلاد ان ترجع الى الطرق التقليدية القديمة للحياة فاتفق مذهبه هذا مع الانظمة الهتليرية لاوروبا الجديدة فعضد الالمان سياسته بالتدابير البوليسية والعسكرية . لقد حاول « بيتان » ان يعكس سير التاريخ الفرنسي وأن يضع مجموع النظام التعليمي تحت مراقبة الكنيسة فادخل النظام الديني كمادة اجبارية في جميع المدارس العمومية ، ورسم المعلمين المسيحيين (School Chaplains) وادى اجورهم من الميزانية العامة كما تسلمت المدارس الكاثوليكية الحرة اعانة من حكومته ، وهكذا تحققت الثنائية التاريخية (Historical dualism) في مصلحة الكنيسة (1) . وبما ان ذلك كان تعديا صريحا على الدستور الفرنسي فقد أثار معارضة قوية من قبل المعلمين والاباء ، ولكن بالرغم عن ذلك فان النفوذ الكاثوليكي على التعليم العمومي اصبح حقيقة معتبرة من قبل الحكومة الجديدة .

3) تسوية مؤقتة

لقد كانت حركة المقاومة عبارة عن تكاتف كل الفرنسيين المحبين لبلادهم شملت الاشتراكيين والكاثوليكيين والشيوعيين ؛ وشكلت الاحزاب الثلاثة بعد التحرير حكومة ائتلافية الغت مشكلة التعليم الديني ، واعطت منحا للمدارس الكاثوليكية من اجل المحافظة على وحدة المقاومة التي كانت مهمة جدا اثناء الفترة الاولى لاعادة البناء ؛ وبطبيعة الحال فقد كان الكاثوليكيون يريدون الاحتفاظ بالفوائد التي اكتسبوها في عهد بيتان ؛ على حين ان العلمانيين طلبوا العودة الى القوانين اللادينية للجمهورية الثالثة ؛ وبالرغم من ان الحكومة اعلنت بصفة رسمية العودة الى نظام التعليم العمومي اللاديني

1) ارتفعت النسبة المئوية للتلاميذ في المدارس الابتدائية الكاثوليكية من 16,5 في سنة 1939 — 1940 ، الى 19,7 في سنة 1941 — 1942 ، ثم تزايدت بعد في الارتفاع .

فان تدابير نظام فيشي ظلت مستمرة في التطبيق ؛ فالمدارس الكاثوليكية استمرت تتسلم الاعانات المعينة لها من قبل « بتان » كما استمر المعلمون المسيحيون يقومون بالتعليم الديني في المدارس العمومية على انه بالرغم من السماح لهؤلاء المعلمين بالتعليم في المدارس العمومية ؛ فان اجورهم كانت معلقة ؛ والتعليم الديني كان يعطى خارج الساعات المدرسية ايام كل خميس ، كما كان التطبيق العام كذلك تحت القانون اللاديني ، وقد كانت هذه الحالة كما كان يعترف بها الجميع تسوية موقتة ؛ فالاحزاب الفرنسية كانت جد مختلفة حول الطريقة التي ينبغي ان يحدد بها النظام الثنائي القديم ، فالاشتراكيون وعلى الخصوص الشيوعيون يفضلون الاستئثار الحكومي بمنع وجود مدارس ملية تحت مراقبة الكنيسة في حين أن الكاثوليكيين يريدون ادماج المدارس الكاثوليكية الحرة في مجموع نظام التعليم الحكومي العام ، مع الاعتراف بالتعليم الديني وبتأثير الكنيسة ، والذي يظهر ان اي حل من هذين الحلين الجوهريين لا يمكن تحقيقه في الحالة الحاضرة ؛ وان الرجوع الى الثنائية القديمة للمنهاج الكاثوليكي والمنهاج اللاديني هو التسوية الممكنة بدون الزج بفرنسا في حرب مدنية علنية .

ومع بقاء هذه المشكلة الرئيسية للتعليم الفرنسي بدون حل فان فرنسا رجعت الى نظامها القديم في الادارة المركزة واعادت الاصلاحات التي عاقتها الحرب.

4) نظام التعليم في فرنسا مثال للتركيز الاداري

ان نظام التعليم العمومي في فرنسا يمكن ان يؤخذ من الناحية الادارية كمثل كلاسيكي للتركيز ترجع اصوله التاريخية الى قوانين سنة 1802 و1808 التي انشأ بها نابليون (جامعة فرنسا) (الملكية في وقته) . لقد سار نابليون بوعي تام على طريقة التنظيم المركز للمجتمع المسيحي ؛ وهو في هذا الشأن يقول : (اني أريد أن أنشىء جماعة ، لا جماعة المسيحيين الذين كانت لهم سيادتهم في روما ، ولكن المسيحيين الذين ليس لهم مطمح ما عدا ان يكونوا نافعين ، وليست لهم مصلحة سوى أن يسعدوا عموم الناس ، ان قصدي من تأسيس الجمعية التربوية هو ان يكون افرادها قادرين على ادارة الرأي الاخلاقي والسياسي) . ومن اجل هذا الغرض الغيت الجامعات القديمة باستقلالها التقليدي واحتضنت الجامعة الملكية الوحيدة مجموع النظام المدرسي الذي انشىء تحت المراقبة المركزة لمدير الجامعة المعين من قبل نابليون . لقد قسمت البلاد كلها الى اكاديميات تحت ادارة واحدة راجعة الى المكتب المركزي في باريز ؛ ولم يغير الاصلاح التابع لهذا التنظيم سوى التوزيع الاقليمي للاكاديميات ؛ كما انه الغي منصب المدير العام الذي حل محله وزير التعليم العمومي او وزير التربية الوطنية في التسمية الجديدة ، أما معالم وروح التنظيم النابوليوني فقد استمرت حية خلال جميع الثورات والثورات المعاكسة الفرنسية ؛ وبحسب هذا النظام النابوليوني فقد كان يقف على راس كل أكاديمية عميدها المعين من قبل رئيس الجمهورية ، والمسؤول مباشرة امام الوزير وقد كان العميد يتمتع بسلطات مطلقة داخل اكاديميته ؛ ويسير جميع الجهاز التعليمي من مدرسة الاطفال الى الجامعة ، وتتضمن ادارته الاشراف على المدارس الحرة ؛ وتحت مراقبته يوجد مفتشو الاكاديمية ، واحد لكل مقاطعة . وبالنسبة للمدارس الابتدائية ، كل قسم من اقسام المقاطعة عنده مفتش ابتدائي تابع لمفتش الاكاديمية ، وبالنسبة للمدارس الاولية يوجد خلفاء مفتشين خاصون ويكونون عادة نساء . ومن اجل الاشراف العام على التعليم من قبل المركز كان هناك مفتشو التربية الوطنية الخاصون معينين لهذا الغرض ، يشرفون على مجموع البلاد في موضوعاتهم الخاصة ، وبهذا النظام كانت هناك وحدة ادارية تامة في الانظمة المدرسية وفي مناهج التعليم ؛ اما السلطات المحلية فلم يكن لديها اي اشتراك في الادارة. وبصفة استثنائية كان لبلدية باريز نوع من التأثير في ميدان التعليم المهني وبتخصيصها لمبالغ اضافية من مداخلها للتعليم ؛ كان نظام الدراسات التكميلية في باريس احسن نظام بالنسبة لمجموع البلاد .

5) اللغة الفرنسية اساس وحدة الثقافة الفرنسية

وفي القرن العشرين تخففت شدة الادارة المركزة الى حد ما بالحركة الاقليمية، وبنتائج البحث السيكلوجي العصري . ففي العشر الاواخر من القرن التاسع عشر احيت الاقاليم التاريخية الفرنسية القديمة باختلافاتها اللغوية اهتمامها بلغتها المحلية وعاداتها الاقليمية . ولم تكن هذه الحركة حركة سياسية ذات نزعات انفصالية ؛ فقد كان البروطونيون والكورسكيون والباسكيون والبرفانسيون مواطنين

متطرفين كجميع الفرنسيين ؛ ولكنهم اصروا على الاصلاح الاداري على أساس اقليمي بادخال اللهجات المحلية كاداة للتعليم في المدارس الابتدائية ، ولكن الوزير ادوموتزي (Domonzie) رفض في سنة 1926 بصفة قطعية ملتمس النواب البروفنسيين للترخيص باستعمال اللهجات ، واصر على اعتبار اللغة الفرنسية كأساس لوحدة الثقافة الفرنسية، وبهذا الرفض اصبح التفكير في اي ترخيص لهذا المطلب مسألة غير ذات بال ، غير أن ادخال العادات والاناشيد المحلية ، والاغاني الشعبية ، الى مناهج التعليم ، قد رخص فيه بعد ، بل قد ازداد الاهتمام بهذه المحليات ، واصبحت اكثر شيوعا تبعا لتجديد مناهج التعليم وتطورها . وقد سمح قبل الحرب الاخيرة باختلاف اقليمي واضح في منطقة الالزاس — لورين التي انضمت الى فرنسا في سنة 1918 . فقد كانت اللغة الالمانية مستعملة في السنتين الاوليين من التعليم الابتدائي ، وكانت المدارس المحلية سواء منها الكاثوليكية والبروتيستانية تتسلم اعانة من الميزانية العامة ، وقد حاول المسيو « بلوم » عند ما كان وزيرا للتعليم ان يقوي قوانين لادينية التعليم في مقاطعة الالزاس ، غير ان محاولته هذه التقت بمعارضة قوية كانت قد تركت من قبل ، وعندما اندمجت الالزاس لورين في الريخ الالماني اثناء الحرب استؤصلت بدون شفقة جميع آثار الثقافة والتقاليد الفرنسية . على ان تحرير المقاطعتين بعد قد انتج رد فعل قوي ضد كل ما هو الماني ، وقد اراد الالزاسيون انفسهم ان تكون شروط الصلح بالنسبة اليهم متساوية لشروط الصلح مع فرنسا . وقد اضاعت مسألة لادينية التعليم بصيرورتها مسألة وطنية أهميتها المحلية ، ومما لا شك فيه ان الحل المقبل سيبحث على اساس وطني لكل مجموع فرنسا، كما أن تأثير البحث السيكولوجي وادخال المناهج التعليمية المركزة حول مصلحة الطفل قد خففت من شدة المركزية كذلك ، ففي الحالة الحاضرة يتمتع المعلمون والمفتشون بحرية الابداع والتنوع المحلي اكثر من ذي قبل ، على ان تقاليد المراقبة المركزة والتوجيه لا تزال جد قوية ، الى حد ان الوزارة لا تزال حتى الان هي التي تقرر في اي المدارس ينبغي ان يكون مسموحا بالخروج عن وحدة النظام العام .

6) ميزانية التعليم بين المركزية والمحلية

وفيما يتعلق بميزانية التعليم فان النظام الفرنسي لا يشكل تلك المركزية الدقيقة التي يشكلها النظام الاداري . ففي ميدان التعليم الثانوي والفني والتعليم العالي الحكومة هي المسؤولة عن اغلب النفقات التعليمية، وليس هناك الا جزء يسير من المخصصات المالية التي يؤتى بها من مصادر محلية او خاصة او من رسوم املاك ، وعلى العكس من ذلك في المدارس الابتدائية والتكميلية ، السلطات المحلية هي التي تساهم بمقدار ثلاثين في المائة او اكثر ، فالمقاطعات والبلديات هي المسؤولة عن الانفاق من اجل تاسيس بنايات المدارس أو شراء الاماكن ، وتدفئة الفصول وانارتها ، كما انها تؤدي زيادة على ذلك واجبات اسكان المعلمين ، وتعد كذلك الاجهزة المدرسية وأدوات التعليم ، ثم ان اي تغيير او اية مصلحة اضافية تضاف من قبل اقليم خاص يجب ان تؤدى مصارفها من الضرائب المحلية . ففي باريس مثلا جميع الخدمات الممتازة من اي نوع كانت ، تؤدى من قبل البلدية . كما ان المقاطعات ملزمة بان تحتفظ ببنايات المدارس في حالتها العادية ، وان تؤدى الاجور الاضافية لمفتشي مدارسها الابتدائية، وتجهز مساكن مديري مدارس المعلمين ، ومفتشي الاكاديميات ، وتمنح الاعانات من اجل التعليم المهني ، والحكومة هي التي تؤدي اجور المعلمين من جميع الدرجات . وجميع موظفي التعليم يعتبرون موظفين مدنيين . وبالرغم من ان النظام المالي الفرنسي يضمن مستوى ادنى قارا لجميع السلطات المحلية ، فان ذلك لايمنع من بعض الاختلافات في التجهيز والتنظيم، فكل المقاطعات والبلديات الغنية عندها بطبيعة الحال خدماتها الممتازة ، ومع ذلك فان هذا الاختلاف محدود بالنسبة للمدارس الابتدائية والمصالح الاضافية ، والتعليم الثانوي عنده نفس التجهيز ونفس الاحوال في كل جزء من مجموع فرنسا .

7) مداخيل المدارس الكاثوليكية الحرة

ومعلوم أن هذه النصوص المالية لم تكن تشمل المدارس الكاثوليكية ، فقد كانت المدارس الابتدائية الكاثوليكية مجانية لان القانون يمنع من طلب رسوم مدرسية فيها ، ولكن الآباء الكاثوليكيين كانوا في الواقع يتبرعون من اجل الانفاق عليها بمجهودات حرة ؛ اما المدارس الكاثوليكية الثانوية فقد كانت تطلب اداء رسوم المدرسة ونفقات الاكل والنوم وعندما صارت المدارس الحكومية الثانوية مجانية بعد سنة 1936 ، صارت المدارس الكاثوليكية المكان الخاص بالطبقات الغنية ، ولقد حاول « [illegible]

اداء الرسوم المدرسية فى ليسيات الحكومة وكلياتها ، ومنح الاعانات للمدارس الكاثوليكية ، ان يسوي الاحوال فى كل من المجموعتين ، وان يوقف انتقال التلاميذ من المدارس الكاثوليكية ذات التكاليف الباهظة الى المدارس الحكومية المجانية ، غير ان التعليم الثانوي الحكومي اعيدت له مجانيته بعد تحرير فرنسا ، وبدات التفرقة الاجتماعية بين كل من نوعي التعليم الحكومي والتعليم الكاثوليكي تتطور اكثر فاكثر بعامل التطور الحتمي للنفقات والرسوم المدرسية فى المدارس الكاثوليكية .

8) فى طريق الاصلاح

ان نظام التعليم الفرنسي يسير فى تجربة اصلاح جوهري ، وعلينا ان نصف فترة ما قبل الحرب وان نصف التنظيم الجديد لكي نفهم صعوبات الانتقال ومشاكله فى الفترة الحاضرة (1) ، وعلينا فى هذا الوصف ان نحصر انفسنا فى نظام التعليم العمومي ؛ ذلك لان نظام التعليم الكاثوليكي يطابق فى مجموعه نظام التعليم العمومي ، ومن ثم فان الدخول فى معلومات تفصيلية لا فائدة منه واذا قطعنا النظر عن فترة التعطل التي صاحبت الحكومة فى عهد « فيشي » فاننا نرى ان نظام التعليم القديم كان يقترب تدريجيا من نظام المدرسة الموحدة منذ سنة 1928 . اما فى الوقت الحاضر (1) فان نظام التعليم الحكومي سائر فى طريق الاصلاح ضمن اساليب جديدة . لقد كان النظام القديم يشكل طريقتين مختلفتين بالنسبة لطبقتين اجتماعيتين من السكان الفرنسيين ، اولاهما: طبقة الاغلبية من اصحاب الحرف الصناعية والفلاحية بما فى ذلك الشغالون اليدويون والتجار والموظفون الصغار . وقد كان نظام المدرسة المجانية الذي يشمل مدارس الامهات والمدرسة الابتدائية ، والمدرسة الابتدائية العليا ، والاقسام التكميلية هو السبيل الوحيد للتعليم الذي يهيىء مباشرة الى نشاط مهني فى الفلاحة والصناعة والتجارة ، وثانية الطبقتين طبقة اصحاب الامتيازات الاقتصادية ، وقد كان نظام التعليم مقابل اداء رسوم مدرسية هو النظام الذي يفتح لاصحاب هذه الطبقة باب الاختيار الواسع . وكان هذا النظام يطبق فى رياض الاطفال (Kindergartens) وفى الاقسام التهييئية المرتبطة بليسيات الحكومة ، وكليات البلديات ، وبليسيات وكليات خاصة ، وبمؤسسات الدراسات العليا المشتملة على الجامعة وعلى ما يسمى بالمدارس العليا، ولقد كان الانتقال من الطور الابتدائي الى الطور الثانوي بقطع النظر عما يلحق به من الصعوبات المالية جد صعب حتى من الوجهة التنظيمية ؛ ذلك ان التقليد الكلاسيكي والنظام الشكلي كانا يتحكمان فى نظام التعليم بالليسيات والكليات حتى سنة 1925 حيث قد ادخل شيء من التجديد ، فحتى الحرب الاخيرة تقريبا كان اختيار التلاميذ الى التعليم الثانوي يقرر بناءعلى القدرة على اداء الرسوم المدرسية واثناء السنوات الاخيرة فقط حيث حذفت الرسوم المدرسية ، واغلقت الاقسام التهييئية اصبح تلاميذ الليسيات يختارون بناء على استعداداتهم الدراسية ، لقد كانت التقاليد المرعية الفرنسية تقضي ان يكون الغرض من التعليم الثانوي هو ان يهيىء الطلبة لمستوى الثقافة العامة التي تميز المثقفين الفرنسيين عن غيرهم ، غير ان الوصول الى الوضوح المنطقي للفكرة والاسلوب كان يتطلب ضحايا بشرية ، فحوالي الثلث من تلاميذ التعليم هو الذي كان يصادفه النجاح فى الامتحان النهائي لشهادة البكالوريا ؛ بقطع النظر عن اولئك الذين كانوا يسقطون فى الطريق ؛ لقد كان التعليم الثانوي الفرنسي مركزا حول مبدا النخبة المثقفة التي كانت بصفة متناقضة تختار على اساس القدرة المالية ، وقد تحسنت الحالة بعض الشيء بعد سنة 1930 ولكن التلاميذ مع ذلك بقوا ضحايا المبدا ، فلقد ظلت اغلبية طلبة التعليم الثانوي معرضة للضياع (Wastage) او على حد التعبير الفرنسي (2) (Déclassées) فلاهم استطاعوا ان يصلوا الى النخبة المثقفة ، ولا هم اعدوا للمهن التجارية والصناعية ، وقد كانت نفس هذه المناهج للانتخاب الثقافي تتابع فى الجامعات والمدارس العليا، وكانت النتيجة ان تكونت اقلية ممتازة من المتخرجين الناجحين الى جانب عدد كبير من الضائعين (Déclassées) ان الابحاث السيكولوجية اثناء السنوات الاخيرة قبل الحرب ، جعلت من الواضح جدا حتى بالنسبة للانصار المتشبثين بالتقاليد القديمة ، ان اصلاحا جوهريا للتعليم الثانوي اصبح ضروريا ولازما،

---

1) يعني فترة ما بعد نهاية الحرب الثانية وتحرير فرنسا « المترجم »

2) كلمة المانية معناها رياض الاطفال اطلقها فروبل 1837 فى مدينة « بلانكبرك » فى المانيا لتربية الاطفال من سن الرابعة الى سن السادسة (المترجم) سنة 1840 على مؤسسته التي انشاها سنة

كما أن انتشار التصنيع في فرنسا واحداث مناهج جديدة في الانتاج الصناعي والفلاحي قد استلزما من جهة اخرى تدريب عدد كبير من الفنيين الذين فشل النظام القديم في اعدادهم ، وهكذا ابتدات وزارة التعليم الفرنسية في سنة 1936 تقوم بتجربة في خمسين مدينة فرنسية تشتمل على ما يقرب من مائتي فصل . حيث قبل جميع الاطفال من سن الثانية عشرة الذين نجحوا من امتحان شهادة الدروس الابتدائية في الدخول الى ما سمي بالفصول التوجيهية (Orientation classes) حيث قسم المنهج الى ثلاثة فروع ذات اصل مشترك ، زيادة على فرع تدرس فيه اللغة اللاتينية وحدها بدون اضافة لغة عصرية اليها ، وآخر تدرس فيه لغة عصرية بدون لاتينية ، والثالث لا تدرس فيه اية لغة اجنبية بالمرة وانما فيه ترجيح للناحية الفنية التطبيقية ، فبعد فترة قصيرة يقضيها التلاميذ تحت الملاحظة ينقلون الى واحد من الفروع لمدة سنة ثم ينقلون بعد الى فرع آخر اذا اقتضت الضرورة ذلك ووافق الاباء ، اذا لم يكن الانتقال اجباريا ، وانما كان يشار على الاباء بما يوافق مصلحة ابنائهم ، وقد كانت نتائج هذه التجربة ناجحة جدا ، غير أن الحرب وحكومة فيشي قد اوقفتاها اثناء وجودهما ، ومع ذلك فقد بقيت التهييئات للاصلاح مستمرة في كل من الجزائر بعد تحريرها من قبل الحكومة الفرنسية الحرة في فرنسا من قبل اعضاء المقاومة ، وقد كان الفريقان يعملان معا على خطوط متشابهة .

9) لجنة الدراسات وتنظيماتها الجديدة

وعندما تحررت فرنسا في شهر غشت 1944 اتحد الفريقان في (لجنة الدراسات)
(Commission d'études)
تحت رئاسة السيد (بول لانجوفان)
(M. Paul Langevin)
وقد كان كل من السيد هنري بييرو (Henri Piéron)
والسيد هنري فالون (Henri Wallon)
خليفتي الرئيس في هذه اللجنة ، وكل من هؤلاء الثلاثة كانوا اساتذة مشهورين في الكوليج دوفرانس (Collège de France) ؛ كان السيد لانجوفان انسانيا بارزا ، وكان كل من السيد هنري بييرو وهنري فالون مشهورين في علم النفس ، كما كانوا جميعهم من الناحية السياسية ينتسبون الى اليسار ، وكان السيد لانجوفان عضوا في الحزب الشيوعي ، هذا وقد تأسست داخل وزراء التربية الفرنسية مؤسسة وطنية للابحاث العلمية ، واعيد تنظيم المجلس الاعلى للتعليم العمومي لضمان تمثيل جميع هيئات المعلمين من اتحادات وجماعات مهنية ، وقد شرع في هذه التنظيمات الجديدة باقصى ما يمكن من السرعة ؛ وفي سنة 1946 حضر مشروع للاصلاح غير بصفة جوهرية التقليد الفرنسي القديم للتدريب الذهني من اجل الثقافة العامة ، فلقد اعترف المصلحون بخطر التعلق بالشكليات والتقسيم الاجتماعي الذي ادى الى شيخوخة مبكرة للروح الفرنسية ، والى انقسام الطبقات الاجتماعية ، وكما قال السيد جان بابيت (Jean Bayet)
المدير العام للتعليم الوطني في شتنبر 1945 فان هذا النظام الشكلي قد اظهر : « علامات الشيخوخة وخمول الروح بين الاطفال ، وهذا شيء خطير جدا على فرنسا ، اذ انه يكون سببا في خلق صفات متفاوتة وقدرات مختلفة ، وانقسام ترهبي . وفي النهاية فرار من الحياة ؛ اننا من جهة قد انتهينا الى النظام الشكلي الجامد في المدارس العليا ، والى نقص في التعليم الفني من جهة اخرى وذلك هو السبب — لا اعتبارات سياسية — الذي من أجله أنا متضايق من حكوماتنا التي جعلت الشعب يعتقد أن الصناعات الميكانيكية لا فائدة لها ، وتركت الاباء الفرنسيين يعتقدون ان الباكالوريا هي المثل الاعلى ، وانه من الممكن ان نحيى خارج الحياة الواقعية بدون تطبيق الروح على المادة » . ولقد اشار هذا النقد الى خطتين اثنين للبداية في المشروع الجديد أولا ، تغيير المناهج ، وذلك بانشاء تعليم مركز على مصلحة الطفل ، ومؤسس على اعتبار الافراد الاحياء بحيث توضع فيه المناهج مطابقة لنتائج الابحاث السيكولوجية ، وثانيا ادخال الاعمال اليدوية ، والموضوعات الفنية كتعبير مقابل للمنهج الاكاديمي المبني على تعليم اللغات الكلاسيكية . واذا اعتبرنا الظروف الفرنسية فاننا نرى أن هذا التغيير ينتهي الى ثورة حقيقية في التعليم ، كما انه قد تقرر من قبل الزعماء الفرنسيين انفسهم، وقد دخل هذا الاصلاح في حيز التطبيق بانشاء مائة وتسعين (190) فصلا جديدا للسنة الاولى من التعليم الثانوي في تسعين من المدن والمقاطعات الفرنسية في سنة 1945 ، وقد اشتغلت هذه الفصول الجديدة التي دعيت (السوادس الجديدة) (Les sixièmes nouvelles) طيلة السنة كلها على خطوط جديدة ، وقد نجحت نجاحا باهرا الى حد أن المعارضة الاولية لكثير من المعلمين والاباء وصلت الى حد الحماس العام ؛

وفي شتنبر سنة 1946 ارتقت المائة والتسعون فصلا الأساسية على اعتبار انها اصبحت (الخوامس الجديدة) (Les cinquièmes nouvelles) على حين قد انشئت من جديد مائتان وستون (260) فصلا من فصول السنة السادسة ، ومع هذا فقد التقى هذا الاصلاح بمعارضة قوية لكثير من مديري المدارس الثانوية ومن الكاثوليكيين ، وبعد وصول هذا الاصلاح الى نهايته في سنة 1951 . حيث اصبحت فصوله الجديدة ثمانمائة (800) فصل اوقف من قبل الوزارة ، ولم يسمح بالاستمرار في التجربة الا خمس ليسيات (Lycées Pilot)

على انه بالرغم من ايقاف هذا الاصلاح العام فان تجربة (الفصول الجديدة) اثرت في جميع مدارس التعليم الثانوي ، وغيرت مناهجها ذات الطراز العتيق ، وفي الوقت نفسه فان رفع المدارس الابتدائية العليا القديمة الى ثانويات عصرية حذفت منها اللاتينية قد غيرت مجموع هيكل التعليم الثانوي الفرنسي ، ولقد كان اصلاح مرحلة التعليم الثانوي هو الجزء الاهم من المشروع الذي تناول مجموع نظام التعليم من مدرسة الاطفال الى الجامعات والمدارس العليا . ان السنوات الاولى من حياة الطفل تمضي عادة في البيت ولكن بانتشار استخدام النساء في المهن الصناعية انشيء عدد كبير من المثاوي (Crèches) في مراكز صناعية كجزء من نظام التعليم الوطني .

10) الامتحانات

اما الامتحانات كما هي عليه في الوقت الحاضر فقد تضمن مشروع الاصلاح الغاءها،ولكنها مع ذلك ظلت تستعمل اثناء فترة الانتقال مع شيء من التعديل . لقد كانت الشهادة الابتدائية القديمة منقسمة الى قسمين ، الاول يجري على التلاميذ الذين تبلغ سنهم الحادية عشرة للسماح لهم بالانتقال الى المرحلة الثانوية ، والثاني يجرى على التلاميذ الذين تبلغ سنهم الرابعة عشرة ، وهم الذين لم ينجحوا في امتحان الدخول الى المرحلة الثانوية ، وقد اقتضى مشروع الاصلاح ان ينقل جميع التلاميذ الذين تبلغ سنهم الحادية عشرة الى مرحلة التعليم الثانوي ، وان تصبح الشهادة الابتدائية القديمة لا معنى لها . اما التلاميذ الذين تبلغ سنهم الخامسة عشرة فما فوق ، ولا يستمرون في متابعة تعليمهم في المدارس الثانوية فيتقدمون لامتحان الشهادة الثانوية الاولية ، الذي هو الامتحان القديم للمدارس الابتدائية العليا ، وعندما ينهي التلاميذ دراستهم في احدى الليسيات أو المدارس الثانوية فانهم يتقدمون الى ذلك الامتحان المرعب من اجل الحصول على شهادة الباكالوريا ، فبعد انتهاء السنوات الست من التعليم الثانوي يتقدمون الى امتحان شهادة الباكالوريا الاولى الذي يخول لهم الالتحاق بالقسم النهائي (Terminal class) الذي هو اما قسم الفلسفة أو قسم الرياضيات ، ثم يتقدمون الى امتحان الباكالوريا الثانية ، ويكون ذلك عادة فيما بين 18ـ19 سنة من اعمار الطلبة، ويخول لهم النجاح في هذا الامتحان الدخول الى الجامعات ، اما اذا ارادوا الدخول الى المدارس العليا، فان عليهم ان يمروا بامتحان اضافي في شكل مباراة يحتاج الى تكوين خاص ، وفي سنة 1946 احدثت البكالوريا التقنية التي تقدم اليها نحو من 2200 مرشحا ، وقد قضت هذه الشهادة على الدراسات الكلاسيكية التي كانت تعتبر في القرون القديمة الطريق الوحيد للتعليم العالي ، ويقتضي مشروع الاصلاح تعويض شهادة الباكالوريا بشهادة (ديبلوم دراسات المرحلة الثانوية) لجميع الفروع النظرية (تقنية ، كلاسيكية ، عصرية ، فنية) ، وتخول هذه الشهادة الانتقال الى المرحلة الاولى من التعليم العالي ، وبتطبيق هذا المقترح ينتهي الى الابد ذلك البرنامج الثقافي القاسي المعروف في فرنسا ب«البكلرة» (Bachotage) والذي اضاع كثيرا من حياة الشباب الذي ينتظر منه القيام بالانقاذ العام للاجيال المقبلة ، .

11) مؤسسات ما قبل المدرسة

اما المؤسسات الفرنسية لما قبل المدرسة (Pre-school) فان عندها تاريخا طويلا ، وهي الجزء الذي ناله التجديد اكثر من غيره في الجهاز التعليمي الفرنسي ، وقد شرع فيها في الثلاثين الاولى من القرن التاسع عشر تحت اسم (قاعات ايواء الاطفال) (Salles d'Asile) ولقد اخذت الحكومة تقدم لها الاعانات في سنة 1837 فاصبحت تنتشر في البلاد بسرعة . ففي سنة 1836 لم يكن موجودا من هذه المدارس الا 24 قاعة ، وفي سنة 1837 ارتفع عددها الى 262 ثم الى 5830 في سنة 1883 ، وقد وصل عدد تلاميذها الى 679.085 وقد اعطي لها اسم (مدارس الامهات) (Ecoles maternelles) سنة 1881 ، واصبحت من يومئذ جزءا داخلا في جهاز

التعليم العمومي ؛ وبالاعتبار التاريخي فقد كان يوجد نوعان من مؤسسات ما قبل المدرسة في فرنسا .

1) نوع مدارس الامومة الخاص ؛ وقد كان هذا النوع عبارة عن مؤسسات مستقلة تحت مراقبة مفتشين خاصين .

2) نوع مدارس الاطفال (Classes enfantines) وقد كان هذا النوع عبارة عن (رياض الاطفال) (Kindergartens) مرتبطة بالمدارس الابتدائية، أو بالفصول التهييئية الثانوية أو الكليات ، وفي الوقت الذي حذفت فيه الفصول التهييئية من التعليم الثانوي حذفت معها مدارس الاطفال المرتبطة بها . وحتى ما قبل الحرب ومدارس الاطفال التابعة للمدارس الابتدائية لا يقع عليها ذلك الاقبال الذي يقع على مدارس الامهات الخاصة التي يقصدها في الوقت الحاضر ما يقرب من 60٪ من الاطفال الفرنسيين من سن الثالثة الى سن السادسة ، ومن ثم فقد اقترح مشروع الاصلاح ان توضع لها مادتها الكاملة في قوانين التعليم الفرنسي ، وان ترفع السن الى سبع سنوات بحيث تصبح مشمولة داخل تشريع التعليم الاجباري ، وقد استطاعت مدارس الامهات في فرنسا من حيث مناهجها وتجهيزها ان تنافس احسن المؤسسات العصرية في بلاد اخرى.

12) المدارس الابتدائية

لقد كانت المدارس الابتدائية القديمة تخدم غرضين مختلفين تمام الاختلاف ، فبالنسبة الى الاغلبية العظمى من تلاميذها كانت الملجا الوحيد لاعدادهم لحياة الرشد والمواطنة ، وقد كان ضروريا ان تشتمل على حد ادنى للتعليم العام والتدريب المدني (Civic training) كما عملت على ان يحرز التلاميذ على قسط من التعليم السليم عند نهاية الرابعة عشرة من اعمارهم . وبالاصلاحات التي وقعت اثناء فترة الحرب اصبحت المدرسة الابتدائية خطوة تمهيدية للتعليم الثانوي ، غير ان اقلية قليلة من التلاميذ هي التي كان يساعدها الحظ في الانتقال الى مرحلة التعليم الثانوي ؛ لقد كان من اللازم ان تهيا هذه الاقلية لامتحان استحقاق الانتقال الى التعليم الثانوي في سن الثانية عشرة على حين ان الاغلبية من التلاميذ كان عليها ان تستمر سنتين اخريين في قسم اعلى ، وقد كان من الصعب ان يجتمع الغرضان في نفس الفترة الدراسية ، كذلك كانت المدرسة الابتدائية منهوكة من انعدام الوحدة في المناهج ، وقصور برامج التعليم التي لم تستطع ان تؤدي الغرضين في وقت واحد كذلك ، ويفرض الاصلاح الجديد ان تلغى ثنائية الغرضين هذه ، وان تجعل المدرسة مرحلة تدريب عامة لوسائل المعرفة من اجل جميع الاطفال ، كما يقضي ان ينقل جميع الاطفال من سن الحادية عشرة فما فوق الى الطور الاول للملاحظة ، ولقد كانت المدارس الابتدائية العليا والاقسام التكميلية حتى قبل الحرب تجتمع في نفس البناية مع الثانويات ، وقد اصبح الكل في واقع الامر اجزاء للتعليم الثانوي غير ان هذه الاجزاء المختلفة سائرة الان في طريق الاختفاء والاندماج في الطور الاول من المرحلة الثانوية .

13) الليسيات والثانويات

اما الليسيات والثانويات فستستمر كاقسام نظرية للطور الثاني من التعليم الثانوي ، غير ان تركيبها الداخلي سيتبدل وستصبح موادها الاربعة الاولية هي الطور التوجيهي العام ، وستضم جميع الاطفال بقطع النظر عن قدراتهم ومراكزهم الاجتماعية وستفقد موادها الثلاث العليا صفتها الاكادمية بصفة دقيقة ، وستتكون من اربعة اقسام هي : الكلاسيكي ، العصري ، التقني ، الفني ، والاثنان الاخيران لم يضافا الا اخيرا ، والليسيات ربما كانت اعظم المؤسسات الفرنسية ، وتاريخها يرجع الى التشريع النابوليوني عندما الغى الامبراطور المدارس المركزية الجمهورية بصبغتها الفنية ، واحدث المدارس الثانوية الكلاسيكية تحت اسم الليسيات ، ومن يومئذ احتفظت هذه ، وبكل تشبث ، بصبغتها الاصلية بالرغم من جميع التقلبات السياسية في القرن التاسع عشر ، والليسيات هي المؤسسات الوطنية التي تؤدى جميع نفقاتها من خزينة الدولة ؛ اما المدارس الثانوية التي اسست من قبل المجالس البلدية ، فانها لا تتمتع بنفس المركز الذي تتمتع به الليسيات ؛ والمجالس البلدية هي التي تتولى الانفاق عليها مع اعانة من الحكومة ؛ والاساتذة الذين يتولون التدريس في الليسيات اكثر دربة واهلية ، من اولئك الذين يتولون التدريس في المدارس الثانوية ؛ فهم في الليسيات اما حاملو شهادات التبريز او شهادات عالية غيرها ؛ على حين انهم في المدارس الثانوية ليسوا الا من حاملي شهادة الليسانس او من الشباب المتدربين ذوي الشهادات الاقل اهمية ؛ وقد ينقل

احسن المعلمين الى الليسيات بعد انهاء فترات تدريبية في المدارس الثانوية ، وعلى عكس الليسيات التي لها مركزها الثابت وبرنامجها القار ، فان المدارس الثانوية توجد بينها اختلافات محلية وتظهر فيها بعض الصور والسحنات الغريبة التي تخلومنها الليسيات ، ومنذ سنة 1881 تجددت تسمية مدارس البنات واخذت تتكيف شيئا فشيئا على اساليب الليسيات وازداد عددها باستمرار ، ولكن لا يوجد حتى الان من هذه الانواع من مدارس البنات الا 200 مدرسة الى جانب 360 مدرسة من مدارس البنين ، وفي المدن الصغرى التي لا تملك مدارس خاصة بالبنات تقبل البنات في مدارس البنين ، ولكنفرنسا عادة لا تفضل المدارس المختلطة ، وقد اخذت الفروق التاريخية بين الثانويات والليسيات تختفي شيئا فشيئا منذ ان حذفت الرسوم المدرسية والغيت الفصول التهييئية ، وسوف تختفي هذه الفروق نهائيا بتطبيق المنهج الجديد ، فسيغير التقسيم المحدد للتعليم الثانوي الى السلك الاول ذي السنوات الاربع ، والسلك الثاني ذي السنوات الثلاث النظام القديم للثانويات والليسيات تغييرا جوهريا وبما ان السلك الاول سيصير عاما واجباريا برفع السن الى خمس عشرة سنة (الحدود الحالية لسن التعليم الاجباري هي من ست سنوات الى اربع عشرة سنة) فان آلاف الفصول الجديدة ستفتح بدون ان يكون لها سلك ثان ، ومن ثم فسيحتفظ بالتنظيم القديم للثانويات والليسيات في مواده الثلاث العليا فقط ، وحتى هنا فان احداث فصول جديدة وموضوعات مختارة سوف يغير الجو التقليدي . ان الليسيات والثانويات باعتبارها منشئات فرنسية للتجربة التربوية من نوع خاص قد اتمت ظيفتها التاريخية ، واصبح عليها ان تمحي في مدارس ثانوية اكثر ملاءمة للديمقراطية العصرية وللحاجة المتزايدة للتدريب الفني .

14) التعليم التقني

ان التعليم التقني والمهني هو احدث فرع في نظام التعليم الفرنسي ، فقد ادخلت المدارس المركزية المؤسسة في سنة 1794 تحت تاثير (Condorcet) كوندورسيالرسم والموضوعاتالعلميةمعميل الىالتقنية، وعملت عملا تمهيديا اثناء عشر سنوات ولكن في سنة 1804 اغلقها نابليون واسس الليسيات التقليدية عوضا عنها ، وبذلك اضاعت فرنسا حظها في قيادة اروبا في التعليم التقني في المرحلة الثانوية ، لقد كانت ادى فرنسا بعض مؤسسات من الدرجة الاولى ، ولكن التعليم التقني لتكوين فنيين من الطبقة الوسطى كالقادة العماليين ورجال الادارة ، كان غير كاف بالنسبة للحاجات العصرية . وحتى ما قبل الحرب العالمية الاولى بقليل كانت فرنسا تملك فقط ست (6) مدارس للفنون والصناعات ، وست (6) مدارس مهنية متوسطة وستا وثمانين (86) مدرسة مهنية اولية ، يتعلم فيها ما يقرب من 15.000 من البنين والبنات ، وفي سنة 1919 فقط الغي قانون استير (Astier) الذي اعطى للتعليم التقني صفته الرسمية حين ذاك ، وفي بضع سنوات اصبحت فرنسا معمورة بالمدارس التقنية المهنية ، سواء منها التي تشتغل طول النهار او تشتغل بعض جزء من النهار على الطريقة الالمانية : (Bruishulen) ، واثناء السنوات الاخيرة قبل الحرب اخذ التعليم التقني بعد المرحلة الابتدائية مكانته بجانب التعليم الاكاديمي في الليسيات والثانويات ، وفي عدة مدن كانت الدروس المهنية والاكاديمية منظمة على خطوط متشابهة في نفس البنايات المدرسية ، وطبقا للنظام الجديد فان هذا الجمع بين التعليم التقني والاكاديمي سيكون الصبغة العامة لنظام التعليم الثانوي الفرنسي . وفي السلك الاول الثانوي من السنة الحادية عشرة الى نهاية الفترة الدراسية الاجبارية في الخامسة عشرة ستكون الاشغال اليدوية والتدريب المهني الاول بنوع اعم المساعدين للتلميذ على ايجاد مهنته او اختيار فرع من فروع المنهج النظري ، وفي السلك الثاني النهائي من السنة الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة اما ان يدخل الشاب الذي ناهز البلوغ الى فرع تجريبي من اجل التدريب على الفلاحة او الصناعة او التجارة ، او الى الفرع النظري الذي يجمع قسما تقنيا جنبا الى جنب مع قسم كلاسيكي عصري او فني ، وبعد نهاية السنة الثامنة عشرة يدخل المتخرجون في الاقسام النظرية الى المؤسسات العليا ، المدارس التقنية الخاصة او المعاهد التقنية العليا ، وهكذا في داخل جيل غيرت فرنسا بصفة جوهرية موقفها تجاه التعليم التقني من اهمال سابق الى اعتراف تام لمساواته للتعليم التقليدي الثانوي ، وقد وضع انشاء شهادة البكالوريا التقنية في سنة 1946 طابعا قانونيا نهائيا على هذا التغيير ، ولقد تاثر التعليم العالي هو ايضا بمشروع لجنة لانجوفان .

15) التعليم الجامعي

ان جامعات القرون الوسطى الفرنسية بحياتها الطويلة واستقلالها الاكاديمي قد الغتها الثورة الفرنسية ، واسس نابليون جامعة واحدة لمجموع القطر الفرنسي هي الجامعة الملكية ، مع مراقبة مركزية مضبوطة . واسست في باريز وغيرها من المدن الاقليمية الكبرى كليات مختلفة كمؤسسات عليا خاصة ، واثناء قرن كامل لم يبق هناك اي وجود للجامعات القديمة سواء بمعنى جماعات الاساتذة والطلاب ، او بمعنى جميع فروع التعليم الاكاديمي ، وفي سنة 1896 فقط اتحدت الكليات المختلفة من جديد داخل جامعة واحدة مع استقلال ذاتي محدد ، وهكذا اعيدت وحدة استقلال البحث العلمي ، غير ان عمداء الجامعات وهم في نفس الوقت عمداء الاكاديميات لا يزالون مع ذلك يعينون من قبل وزير التعليم ولا ينتخبون من قبل الاساتذة ، والاساتذة انفسهم يعينون كذلك من قبل الوزير بطلب من الكليات وجميع الجامعات الفرنسية لها كلياتها التقليدية الاربع ، كلية الادب ، وكلية العلوم ، وكلية الحقوق ، وكلية الطب ، وجامعة ستراسبورك (Strasbourg) بصفة خاصة لها كلية اللاهوت .

16) المدارس العليا

وجميع الفروع التطبيقية والتقنية تعطى في مؤسسات خاصة تعرف بالمدارس العليا ، التي تكون عادة تحت رقابة وزارتها المختصة ، فوزارة البحرية مثلا تراقب مدرسة المهندسين البحريين ، ومدرسة الفلاحة ، ومدرسة التجارة البحرية . ووزارة الدفاع تراقب مدرسة البوليتكنيك ، ووزارة المستعمرات تراقب مدرسة تكوين الفنيين الاستعماريين ، وتراقب وزارة التربية الوطنية مدرسة واحدة من بين هذه المجموعات المدرسية ، هي المدرسة العليا لتكوين المعلمين ، وامتحانات الدخول الى هذه المؤسسات تكون في شكل مباريات على مستوى عال ، وتحتاج عادة الى سنة اضافية تهييئية من بعد البكالوريا ، والمدارس العليا هذه فريدة من نوعها في العالم من حيث ارتفاع مستويات النخبة المختارة من طلابها واساتذتها ، وهي تزود فرنسا بالنخبة الممتازة من رجال الادارة اللامعين والقادة المثقفين الماهرين ، ومن اجل هذا ، يكون دور مدارس المعلمين العليا ذات اهمية خاصة ، وبالرغم من تسمية هذه المدارس بمدارس المعلمين فانها ليست مدرسة للدراسات البداغوجية العليا ، بل انها مربي للثقافة العامة والروح الفرنسية التي يفخر بهما رجال فرنسا ، فعندما زرت فرنسا في سنة 1947 زرت مكتبة هذه المدرسة الشهيرة فرايت فيها آلاف المجلدات لمؤلفين يونانيين ولاتين ، آلاف المجلدات في الادب والتاريخ ، والرياضيات والعلوم ولاحظت فقط مجلدا واحدا في التربية ، ومن غريب الاتفاق انه كان باللغة الانجليزية ومهدى من مدرسة ثانوية انجليزية ، ومع ذلك فان المتخرجين من هذه المدرسة يكونون النخبة الممتازة لمهنة التعليم ، ويزودون البلاد بعدد كثير من القادة الوطنيين في جميع فروع الفكر والعمل . ان الشذ الثقافي القاسي ، وفترة التهييء الطويل اللذين يستلزمهما الدخول الى الجامعة كلاهما قد اديا الى انتخاب اجتماعي من العائلات المثقفة الغنية ، فمن بين 100.466 طالبا في جويي سنة 1948 ، 18٪ كانوا ابناء وبنات لاعضاء من المهن التعليمية ، و16٪ من العائلات التجارية والصناعية ، و72٪ من ابناء المستخدمين المدنيين ، و10٪ من ابناء الكتاب في الدور التجارية والقائمين بالبيع ، و15٪ فقط من ابناء العمال الصناعيين و5٪ من ابناء الفلاحين . ومن بين البلاد الاربعة ، فرنسا ، وانكلترا ، وامريكا ، وروسيا ، فرنسا هي البلد الاقل ديموقراطية في طلبتها ، والزعماء الفرنسيون شاعرون بهذه الحقيقة ، ومشروع الاصلاح الجديد لا يحاول فقط ان يصلح هيكل التعليم العالي ولكنه يحاول كذلك ان يجعله مفتوحا لدوائر أوسع من السكان، واصلاح التعليم الثانوي والبكالوريا سوف يزود الجامعات بمجموعة من الطلاب منحدرة من طبقات اجتماعية محرومة حتى الان من التعليم العالي .

17) النظام الجديد والتعليم العالي

ان النظام الجديد يقسم التعليم العالي الى ثلاثة مراحل : المرحلة الاولى (من سنة 18 الى 20) مرحلة الدراسات التمهيدية التي تهيىء للمهن التي يحتاج فيها الى تدريب خاص ، وهي تشمل مدارس المعلمين والمدارس التقنية التي يتخرج من كل منها معلمون وتقنيون من الدرجات المتوسطة . المرحلة الثانية من سن (20 الى 22) وهي تتكون من الكليات التي تهيىء لشهادة الليسانس في الفنون والعلوم والطب والقانون والعلوم التقنية . المرحلة الثالثة وهي مرحلة المدارس التطبيقية العليا التي تهيىء لشهادة التبريز وللقيام بالبحوث العلمية ، وهكذا نرى ان المدارس العليا ستشكل المرحلة الثالثة للتعليم العالي،

وستقبل فقط الطلبة الذين يحرزون على شهادة الليسانس ؛ وان شهادة التبريز التي كانت الى حد الآن امتحانا حكوميا خاصا من اجل خريجي الجامعات ستدخل في الطور الجامعي كمرحلة ثالثة ، وسيحرز خريجو المرحلة الثالثة على دبلوم المدارس العليا ؛ والديبلوم الخاص للدراسات العليا او للبحث ، وبهذه المناسبة يكون من المهم ان نلاحظ أن فرنسا كانت من زمن بعيد تملك مؤسسة قديمة للبحث العلمي هي (Collège de France) التي تحتل مركزا خاصا ؛ وهي مؤسسة حكومية تراقبها وتنفق عليها وزارة التعليم .

18) اساتذة التعليم العالي

وجميع الاساتذة فيها يعينون من قبل الوزير؛ ويكونون من اصحاب الدرجات العالية التي تمثل جميع الخصائص الاكاديمية ، ولكن بالرغم من أن امر تعيين الاساتذة موكول الى الوزير فان كل استاذ حر تماما في أن يقوم بأي مشروع للبحث وفي اي موضوع يختاره، وهو ليس مجبورا على ان يدفع محاضراته أو يعلن نتائج بحثه ، غير انه في واقع الامر يقوم بكلا الامرين والمحاضرات العمومية التي يقوم بها مختلف الاساتذة تكون عادة من مستوى عال يحمل جميع افراد النخبة المثقفة البارزية على الانصات اليها ، ولا توجد هناك امتحانات ولا شهادات ترتبط بهذه المحاضرات بل انها حرة عمومية ، وكرامة الاساتذة وسمعتهم العلمية ؛ واعمالهم الممتازة ؛ هي جد عالية الى حد أن الحكومة عند ما تريد نصيحة من نوع خاص تلتفت الى الكوليج دي فرانس . وبالرغم من أنها تقع جنبا الى جنب مع السوربون ، ولها معها علائق ودية ، فانها مستقلة تماما عن جامعة باريز ، ان هذا الجمع بين المراقبة المركزة وبين الحرية المطلقة ليس له أي نظير في بلاد اخرى .

19) تكوين المعلمين

ولقد كان النظام القديم لتكوين المعلمين في فرنسا ينقسم الى قسمين ليس بينهما اي صفة من صفات الجمع . وكان هذا التقسيم الصارم ينعكس على حالة التعليم الابتدائي والثانوي القديمين ، فمعلمو المدارس الابتدائية كانوا يكونون في مدارس المعلمين التي كانت عادة تقبل التلاميذ من المدارس الابتدائية العليا بعد ان يكونوا قد احرزوا على شهادة الثانوية الاولية ويكونون قد بلغوا سن السادسة عشرة تقريبا ، وبعد امضاء ثلاث سنين في التكوين النظري والعملي يحرزون على الشهادة الثانوية العليا ، التي تؤهلهم للاحراز على وظيفة مؤقتة كمعلمين في المدارس الابتدائية ، وبعد قضاء فترة من التدريب يعينون في وظائف دائمة ؛ اما معلمو المدارس الثانوية فانهم يكونون تكوينا يختلف تمام الاختلاف ، ولمدة اكثر بالنسبة الى معلمي المدارس الابتدائية ، فهم ملزمون بان يكونوا من حاملي شهادة البكالوريا ، وان يدرسوا من اجل الاحراز على شهادة الليسانس في الجامعات ، والذي يحرز على شهادة ليسانس المعلمين من احدى الجامعات يستطيع ان يعين استاذا في احدى المدارس الثانوية لتدريس المادة التي تخصص فيها ؛ اما استاذية الليسيات فانها تستلزم دراسة ابعد ، وجدارة زائدة بالاحراز على شهادة التبريز التي كانت امتحانا حكوميا في شكل مباراة صعبة تقابل الشهادة الجامعية التي هي الليسانس ، ولم يكن يسمح من قبل الحكومة بالاحراز على شهادة التبريز الا لعدد محدود بناء على الاماكن الشاغرة في الليسيات والادارات، وقد كانت مجموعتا معلمي الابتدائي والثانوي تشكلان طبقتين تتباينان في كلتا الناحيتين الاجتماعية والثقافية بحيث كان من المستحيل ان يكون بينهما اي تبادل للفائدة . وباحداث المدرسة الموحدة أصبح من الضروري الاحراز على مهنة تعليمية موحدة مؤسسة على تقاليد مشتركة وتكوين مشترك ، ومن اجل هذا الغرض اقترحت لجنة لانجوفان ان تلحق مدارس المعلمين بالجامعات كجزء من الطور الاول مع ادخال بعض المواد التي يشملها برنامج البكالوريا ، اما معلمو المدارس الثانوية فينبغي أن يلحقوا بالطور الثاني للاحراز على شهادة الليسانس ، وتلحق النخبة المختارة منهم بالطور الثالث للاحراز على شهادة التبريز ، وبهذه الطريقة يتمكن جميع المعلمين من الاحراز على تعلم جامعي ، ويكون نقلهم من مجموعة الى اخرى سهلا .

20) التربية الشعبية

وعندما تحررت فرنسا انشىء في وزارة التربية الوطنية قسم للتربية الشعبية والاعتناء بالشباب ، وكانت مهمة هذا القسم تاسيس مراكز ثقافية في جميع المدن الكبرى لتعميم الثقافة بين جميع البالغين ، وانشاء مؤسسات ومراكز ثقافية تكون تحت تصرف حركات الشباب ، وفي عهد حكومة « فيشي » اصبحت كل مؤسسات الشبيبة والرياضة

تحت اشراف وزارة الشؤون الخارجية ، وانشئت مراكز التكوين الوطني والتدريب العسكري الاولي ، ولكن محاولة « فيشي » التي عرقلت حركات الشباب باءت بالفشل ، فلم ينخرط في سلك هذه المنظمات الا حوالي 7 / من الشباب الفرنسي ، وقد كانت المنظمات الحكومية تحت مراقبة الجماعات الفاشيستية والكاثوليكية ، وعلى العكس من ذلك تطورت حركة الشباب في عهد التحرير بسرعة كبيرة ، وروعيت من قبل الكاثوليكيين والاشتراكيين والشيوعيين في وقت واحد .

21) فرنسا متمسكة بقيم ميراثها التاريخي .

أن فرنسا تتطلع الى المستقبل بثقة تامة ، وتعمل على تاسيس قواعد تربوية مبنية على اساس تكافؤ الفرص ، وعلى العكس مما يجري به العمل في ميدان التربية في امريكا وروسيا ترى ان الفرنسيين يرغبون في التمسك بالصفات العليا لتربيتهم المبنية على التقاليد الانسانية فلا الانتفاعية الامريكية (Pragmatism) ولا الماركسية الروسية كان لها الحظ في أن تزعزع اركان قواعد الثقافة العامة لكل من جماعة الكاثوليكيين والعلمانيين على السواء، وبهذا الاعتبار يمكن أن تتقارن فرنسا وبريطانيا في ادخال اصلاحات جوهرية دون رفض لقيم الميراث التاريخي .

البيضاء — محمد الحمداوي

اوادم ... يحملون عقول البقر

اختلف اثنان في غباوة الجماهير ، وسذاجة عقولهم ، وسرعة تأثرهم ، وتصديقهم لما يقال ، فاراد احدهما ان يبرهن لصاحبه على صحة هذا المذهب مستشهدا بالبيت المعروف :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور — تسعة اعشار من ترى بقر ..

وحمل « بنديرا » وذهب مع صاحبه الى ساحة عمومية ، فدق على بنديره عدة نقرات حتى تجمع الناس حوله ، ثم تحدث اليهم عن الاخرة وعن الموت وعن العمل الصالح والجنة وروى لهم ما زعم انه حديث نبوي ، فقال : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من اخرج لسانه ولمس به ارنبة انفه دخل الجنة .. »

فلما سمعه الناس اخذ كل منهم يجرب تطبيق هذه الوسيلة التي ظن او ايقن انها تدخله الجنة . والتفت الرجل الى صاحبه وقال له : انظر اليهم كيف يتشبهون بالبقر ويخرجون السنتهم ليدخلوا الجنة ، هل صدقتني بان هؤلاء اوادم يحملون عقول البقر .

رجل احبه المغرب واهتدى بمناره

العلامة الامام رشيد رضا 1865/1935

بقلم الاستاذ أنور الجندي

يمثل السيد رشيد رضا نموذجا لمجموعة من الموسوعيين في مجال الصحافة والفكر العربي المعاصر : هؤلاء الذين اتاحت لهم فسحة العمر انشاء صحف شهرية عاشت السنوات الطوال وحوت عصارة العصر كله . واصبحت من بعد ذلك مرجعا اساسيا لكل باحث لا يستغني عنها : فالمنار الذي انشاه الشيخ رشيد رضا عام 1899 قد عاش الى وفاته «37 سنة» وشأنه في هذا شأن الهلال الذي اصدره جرجي زيدان ، والمقتطف الذي انشاه الدكتور صروف ، والعرفان التي اصدرها احمد عارف الزين، والمشرق الذي حرره الاب لويس شيخو ، فهذه اعمال فردية ضخمة عاشت طويلا واصبحت مراجع هامة للباحثين تمثل قطاعا ولونا وطابعا في حياة الفكر العربي المعاصر .

اما « المنار » فقد اصدره الشيخ رشيد في ظل الاستاذ الشيخ محمد عبده لسانا للاصلاح الاسلامي الذي كان يدعو اليه وعلامة على ذلك الطريق من العمل لتجديد الاسلام وفتح باب الاجتهاد والربط بين الدراسات الاسلامية وبين معالجة قضايا العالم الاسلامي السياسية .

ذلك ان الشيخ رشيد كان قد قدم من الشام فالتصق بالشيخ عبده وتتلمذ عليه واصدر المنار في مجال خدمة الدعوة التي يحمل لواءها المفتي ، والتي كان لها طابع بعد الثورة العرابية والاحتلال البريطاني لمصر ، وكان الامام قد بدأ برنامجا جديدا للتجديد الاسلامي تتصل في مجال تطوير اللغة العربية والدفاع عن الاسلام وتفسير القرآن تفسيرا عصريا يربط بين الاسلام وبين الحضارة .

وفي خلال السنوات الست « 1899–1905 » التي عاشها رشيد رضا في ظل الامام ، استطاع ان يرسم صورة واضحة لمفاهيم الفكر العربي الاسلامي في خطواته نحو اليقظة والتجديد . وكان الشيخ رشيد في هذه الفترة ملتزما بمنهج الشيخ محمد عبده ، مواليا له ، معتنقا آراءه ، ومرتبطا باوليائه وخصومه على السواء ، ومن هنا كان موقف الشيخ رشيد والمنار ، هو موقف الترفق بالاحتلال البريطاني ، ومن القضايا التي ترتبط به مسا خفيفا ، وكانت كذلك خصومته لمصطفى كامل والحزب الوطني ، وخصومته ايضا للخديوي ، وكان هذا التيار هو بؤرة المفاهيم التي حملها لطفي السيد في « الجريدة » وحزب الامة من بعد .

غير ان هذه المرحلة تنتهي في حياة الشيخ رشيد رضا بوفاة الشيخ محمد عبده لتبدأ مرحلة جديدة مع تطور الاحداث يبدو منها طابع القومية العربية مرتبطا بالاسلام في ظل الحركة التي انبعثت في الشام للتحرر من النفوذ العثماني . ومن هنا وجدت المنار طريقها الى المشاركة في هذا القطاع والتبريز فيه ، حتى ليمكن ان يكون هو المرحلة الثانية لتطوره الفكري ؛ فما ان صدر الدستور العثماني سنة 1908 وسقط السلطان عبد الحميد سنة 1919 حتى بدا الشيخ رشيد رضا وله موقف عثماني عربي مصري ، هو موقف الدعاة الى اللامركزية واصحاب فكرة المؤتمر العربي الاول سنة 1913 الذي عقد في باريس .

وقد انتهى هذا الموقف بموالاة الثورة العربية التي اعلنها العرب بقيادة الشريف حسين لم كان عضوا في الحكومة العربية السورية الاولى التي

اقامها فيصل بعد اعلان الهدنة للحرب العالمية الاولى. فلما سقطت هذه الحكومة واستولى الفرنسيون على سوريا ، عاد الشيخ رشيد رضا الى مصر واعاد اصدار المنار الذي كان قد توقف ثمة ، حيث بدات مرحلة جديدة من حياة الشيخ رشيد وحياة المنار . اما هذه المرحلة فتتمثل فى تعليق الامال بالدعوة الوهابية وحكومة مكة وخلفاء الشريف حسين فى الجزيرة العربية ، وقد امتدت هذه المرحلة الى نهاية حياة صاحب المنار .

وقد كان الشيخ رشيد يجمع بين العمل فى ميدان الفكر الاسلامي والقضايا السياسية فى العالم الاسلامي فهو يفسر القرآن ويكمله مراحل بعد وفاة الشيخ محمد عبده ويسير على منهجه وان خالفه فى بعض آرائه ، فهو وان كان امتدادا له فى النظرة العامة غير انه كان له طابعه الاستقلالي الواضح ، ذلك ان الشيخ رشيد رضا لم يكن من خريجي الازهر اصلا ، ولا مصري الجنس ، فهو ليس مشغولا باصلاح الازهر، ولا بالقضية المصرية الوطنية ، ثم هو واضح الاهتمام بالحكومات العربية ، وقضايا العالم الاسلامي ، وهو فى مجال الدراسات الاسلامية له طابعه الذي يختلف عن طابع الشيخ محمد عبده ، فهو اعمق منه فى مجالات قضايا الفقه والتشريع ، ومراجعات المذاهب والاقضية ودقائق المسائل والفتاوي والعلل ، فهو فقيه متبحر ، قرا اختلافات الائمة والفقهاء ومساجلاتهم ووجوه النظر المختلفة بين المذاهب الاربعة وغيرها من المذاهب ومن هنا جاءت نظرته اعمق من نظرة الشيخ عبده الذي كان يعالج القضايا الكلية ويلجا الى المنطق والنظرة الفلسفية الشاملة باعتباره مصلحا اسلاميا يواجه قضية اساسية : هي « قدرة الاسلام على مواجهة العصر والحضارة دون التخلف عنها » اما السيد رشيد فقد تحول عن هذه النظرية الكلية ثمة ، واغرم بدقائق المسائل ومراجعة التفصيلات .

ومن هنا بدا الشيخ عبده اوسع افقا ، بينما بدا الشيخ رشيد اعمق نظرة ويرجع هذا الى الطابع النفسي والفكري لكل منهما ، غير ان دعوة الشيخ محمد عبده الى تجديد الاسلام وفتح باب الاجتهاد قد وجدت صدى بعيد المدى فى مختلف اقطار العالم الاسلامي ، فى كل قطر من يحمل لواءها ويرفع شعاراتها ، غير ان الذي اعطى هذه الحركة اتساعها وعمقها واستمرارها ، انما كان هو الشيخ رشيد ومجلة المنار التي تعتبر مدرسة هذه الدعوة وبؤرتها ، وقد امتدت بعد وفاة الشيخ عبده بثلاثين عاما كاملة . ومن هنا كان للشيخ رشيد تلك المكانة المرموقة والتقدير الاوفى .

وليس لهذا فقط تالق اسم الشيخ رشيد رضا ، وانما كان هو فى جوهر شخصيته ، وطابع فكره ، عالما ممتازا ، موسوعيا ، فقد احاط بالتراث الاسلامي احاطة ضخمة ، وعميقة ، مستوعبة ، واستطاع ان يهضم هذا التراث وتمثيله ، وكانت له همة ضخمة ، وعزيمة حية ، وجلد لا حد له على العمل، وصبر لا حد له فى احتمال المتاعب من اجل استمرار مجلته ، فهو يستدين ، ويواجه الصدمات والعقبات ، فلا يزال يواجهها بصمود عجيب ، حتى لا يتوقف ، وهو صاحب اسلوب بليغ سمح ، له طابعه ودلالاته ، وله قدرة قوية على الافاضة والتوسع وتقليب الراي ، وتعدد الجوانب ، وعمق النظرة ، فكانت كتاباته مستفيضة ، ولم يكن يقف نشاطه الى حد اصدار مجلة المنار ، بل لقد خلفت الصحف اليومية بكتاباته فى مختلف المناسبات والقضايا والمواقف ، فهو حي دائما ، متحرك دائما ، يخطب ويحاضر ، ويناقش خصومه ، ويقترع المساجلات ويدخل المناظرات ، وله باع واسع فى الجدل والمصاولة ، وقدرة على كسب الرأ يالعام الى صفه ، وله سمت انيق رقيق ، ومواقف ، ومجاملات تخلق له جو الصداقة ، حتى كانت الصحف التي تختلف معه فى الراي ، تكتب عنه وتجامله ، وتذكره ، وكان هو الى طابعه الاسلامي العربي ، لا يتوقع فى الافاق الضيقة ، بل يكتب فى الاهرام ، وتهتم به صحف دار الهلال ، ويشارك فى احتفالات المقتطف ، وقد كان للصحافة السورية فى مصر تقدير متبادل مهما اختلفت وجهات نظرها .

ومن هنا عاش رشيد رضا مرموق المكانة فى عالم الدراسات الاسلامية ، والقضايا العربية والاسلامية ، وكانت دار المنار حافلة بالمطبوعات ، والاعلام ، الذين يقدمون من كل مكان .

ولقد ارخ السيد رشيد لنفسه ورسم مطالع حياته فقال انه فطر على حب الاصلاح، وانه كان سريع الفهم قوي الحفظ للمعاني والمعقولات . وقد طلب العلم فى اول حياته بمطالعة كتب الادب وكتب النصوص ، وكان احبها اليه « احياء علوم الدين » للامام الغزالي .

يقول : « فهو الذي طالعته وكنت اكثر مراجعة وقراءة بعض ابوابه عودا على بدء ، ثم صرت اقرأه للناس ، فكان له اكبر التاثير فى ديني واخلاقي وعلمي،

وعملي ، ثم صرت اتأثر به تأثير صالح نافع في اكثره ، ضار في اقله وقد عالجت الضار منه بعد العلم به ، فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث .

وقد نظم الشعر واشتهر به في مطالع حياته ، وكانت له سليقة في اللغة وتعلم على الشيخ حسين الجسر ، عالم الشام اذ ذاك ، والذي كان له المام واسع بالعلوم العصرية .

ويرى للامام الغزالي فضل عليه « فانه كان قد علق بنفسي من كلامه في شرح عجائب القلب ما ضرب به من المثل للفرق بين العلم الذي يصل الى القلب او النفس من طريق الحواس ، والعلم الذي يتفجر منه بتطهيره من الصفات المذمومة والافكار الرديئة حتى يكون كالمرآة الصقيلة . بان مثل الاول كالماء الذي يجري من السواقي المحفورة الى حفرة او بئر يجتمع فيه مع ما يحمله في طريقه من الغثاء والوحل ، ومثل الثاني كماء الينبوع الذي يتفجر من الصخر » .

وقد اشار الشيخ رشيد الى انه طلب العلم ليكون معلما ومرشدا ، وانه من اجل ذلك لم يقصد به مالا او شهرة ، وانه قصد الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يعتقد انه الحق ، وقد اهتدى الى غايته بعد الغزالي بالعروة الوثقى واساتذته هم : حسين الجسر ، جمال الدين الافغاني ، محمد عبده .

ثم عزم على لقاء جمال الدين الافغاني « لتكميل نفسه بالحكمة والجهاد في خدمة الملة » الذي توفي عام 1893 قبل ان يلقاه فاستقر فعزم على الهجرة الى مصر ، والاتصال بالشيخ محمد عبده ، لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم .

وقد حقق امله فوصل الى مصر عام 1898 والتقى بالامام في القاهرة بعد وصوله فكان ذلك فاتحة حياته الفكرية في انطلاقها الى الافاق التي كان يتطلع اليها وكان في سن الثالثة والثلاثين ، اذ ذاك .

وفي ضحوة اليوم التالي « لوصوله الى القاهرة » ذهب لزيارة الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية واستشارته في انشاء الصحيفة التي كان يرغب في تحريرها وذكر عدة اسماء لها فاختار لها الاستاذ الامام اسم «المنار» .

يقول : فكتبت فاتحة العدد الاول بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي «مارس1898» وعرضتها عليه فارتضى ما كتبته الا كلمة واحدة وهي تعريف الامة بحقوق الامام والامام بحقوق الامة فقال ما معناه ان المسلمين اليوم لا امام لهم الا القرآن ، واقترحت عليه تفسير القرآن ، بنفخ فيه من روحه ، فاعتذر . وظل يوالي دعوته ، حتى اقتنع وبدأ دروس التفسير في « 10 المحرم 1317» وانتهى منه في منتصف «المحرم 1323» عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطا » الاية 36 من سورة النساء ، وكان قرا زهاء خمسة اجزاء في ست سنين ثم توفى الامام، فشرع رشيد رضا في محرم 1318 يكمل التفسير وفي راي بعض الباحثين انه فاق استاذه .

ويرى الشيخ محمد احمد شاكر : ان الشيخ محمد عبده كان حكيما عظيما ، وروحا وثابا ولكنه لم يكن مطلعا على السنة النبوية اطلاعا كافيا ، ولا يكون المفسر للقرآن مفسرا حقا الا بالتوسع في دراسة الحديث النبوي ، والتشبع منه » وقد اتم الشيخ رشيد تفسير « 12 جزءا » من اجزاء القرآن ونشر بعض آيات من اول الجزء الثالث عشر ، ويرى بعض الباحثين : «1» « انه التفسير الاوحد الذي بين للناس اوجه الاهتداء بهدي القرآن.. ، وان الشيخ رشيد اوتي من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها ، وتمييز الصحيح من الضعيف ما يجعله حجة وثقة في هذا المقام ، وما ارشده الى فهم القرآن حق فهمه ، في الرد على الشبهات ، واقوال الماديين ومسائل العمران والايات الكونية » ويرى الاستاذ محمد مصطفى المراغي : ان رشيد رضا كان محيطا بعلوم القرآن وقد رزقه الله عقلا راجحا في فهمه ، ومعرفة اسراره وحكمه ، واسع الاطلاع على السنة واقضية الصحابة ، وآراء العلماء ، عارفا باحوال المجتمع والادوار التي مر بها التاريخ الاسلامي ، وكان شديد الاحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه ، خبيرا باحوال المسلمين في الاقطار الاسلامية ، ملما بما في العالم من بحوث جديدة ، وبما يحدث من المعارك بين العلماء واهل الاديان . وبذلك كان اكبر المدافعين عن قواعد الاسلام . واشدهم غيرة عليها . ولم يكن له مبدأ جديد في الاسلام حتى يصح ان يقال انه له مذهبا ينسب اليه ، بل كان مبدؤه جميع علماء السلف ، وهو التحاكم الى الله ورسوله » .

«1» مجلة المقتطف : اكتوبر 1935 احمد محمد شاكر .

وقد اتخذ الشيخ رشيد رضا من مجلة المنار سجلا لاحداث عصره ووقائع حياته ، وهي حياة خصبة عريضة ، تعرف فيها باعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي الاسلامي كله وخدم قضايا الحرية في المغرب والجزائر وسوريا والهند، وقد اتاحت له رحلاته خبرة وتجربة ، فقد رحل خمس رحلات الى اوربا والاستانة والحجاز «مرتين» والهند وكتب عن هذه الرحلات صفحات تدخل في باب دراسة الادب وفن الرحلات ، فقد سجل انطباعاته وآراءه ومشاهداته بتوسع ويمكن ان يقال ان تراثه يتمثل في ثلاث قطاعات :

1 ـ « مؤلفاته ، وفي مقدمتها » تفسير المنار » و « الوحي المحمدي » و « نداء للجنس اللطيف » ، و « تاريخ الاستاذ الامام » ؛ وله مؤلفات عن الوحدة الاسلامية والخلافة والسنة والشيعة ، ومناسك الحج وحقيقة الربا .

وله منظومة شعرية طويلة اطلق عليها « المقصورة الرشيدية » .

2 ـ مجلدات جريدة المنار : وهي 33 مجلدا « 1899 ـ 1935 » وتضم اكثر من 160 الف صفحة.

3 ـ رسائله الى اصفيائه واصدقائه في مختلف انحاء العالم العربي ، وقد استطاع الاستاذ احمد الشرباصي ان يقدم منها مجموعة كبيرة في دراسته عن « رشيد رضا » ولديه مجموعة اخرى ستنقلها دراسته الضخمة عنه .

❊ ❊ ❊

ويسود الامير شكيب ارسلان مقدرة رشيد رضا وصبره على كتابة الرسائل فيقول : « لم اكن ارى في عصرنا هذا اصبر على الكتابة واجلد على الشغل واسيل قلما واسرع خاطرا من الشيخ رشيد فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتبا لاصاب كل منهم قسطا يجدر ان يجعله في صف المؤلفين العاملين ، وهو لا يضيع دقيقة واحدة من وقته ، وانه يتلقى اكثر من الفي مكتوب على دور السنة فيجيب عليها كلها ، ويكتب زيادة عليها مائتين الى مائتين وخمسين مقال في دور السنة وينشر من التاليف بضعة الاف من الصفحات المطبوعة تاليفا ؛ فلست اذا لاغبط احدا من الخلق على شاو بعيد في الجد ولا محصول غزير من ثمرات الاقلام ، ولا ادعي مجاراة السيد رشيد في هذا الشاو ، فقد كان يكتب جميع ما يكتبه بخط انامله ، ومما ادهشني ان كتابه الاخير الذي كتبه قبل وفاته بايام قلائل ، وكان يشكو الي فيه المرض، وهو ايضا بخطه » .

القاهرة ـ انور الجندي

على قدر الهوى ....

وكل الناس مجنون ، ولكن
على قدر الهوى اختلف الجنون

لماذا نقرأ الشعر ؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

- 3 -

ان من خطل الرأي الادعاء بامكان الاحاطة بجميع البواعث التي تجعل الناس يعشقون الشعر ، ذلك ان الاستجابة الخاصة بكل قارىء ، لها دخل كبير فيما يعنيه الشعر بالنسبة اليه ، فللشعر من المرونة والطواعية ما يجعله انعكاسا لمجموعة كبيرة من الناس ، في الوقت الذي يجيء فيه انعكاسا لانسان معين ، هو قائل الشعر فالعمل الشعري الواحد يبكي قوما ويسر اخرين ، مع اختلاف دواعي البكاء والسرور وملابساتهما النفسية لذلك فمهما بذلنا من جهد قصد محاولة البحث عن بواعثنا كعشاق للشعر ، لا نستطيع ان ندعي الاحاطة بها اذ دائما تبقى هناك بواعث اخرى ، لا تقوى تجربتنا المحدودة على استيعابها جملة وتفصيلا ولكن هل يكون معنى ذلك اني اتحدث عن وجهة نظر خاصة لا علاقة لها بوجهات النظر الاخرى في هذا الموضوع ؟ اذن كان يجدر بي الا اتجاوز (الانا) الى (النحن) في سياق هذا الحديث

والواقع ان البواعث الادبية الاصيلة مائة في المائة لا توجد بالمرة ، وذلك لما تقتضيه الاجهزة النفسية الاساسية للانسان ، وما تستدعيه المعاصرة ، والتأثر بظروف مشتركة من تشابه الناس في العواطف والاحساسات ، وعلى هذا فانا اذ اتحدث عن بواعث قراءة الشعر ، فانما اندفع من حدود مشاعر واحساسات ، يشاركني اياها مجموعة من الناس ، بقطع النظر عما يكون من تفاوت بين استجابتي واستجاباتهم ، لا ينفي ما بيننا من بواعث مشتركة ، تصدر عنها احكام مشتركة .

واننا نجادل في ان من بواعث تعشق الشعر ، هيامنا بانفسنا وافتتاننا بهواجسها وشكوكها ووساوسها ؟ وما ذا نبغي من وراء قراءتنا لقصيدة الشاعر سوى البحث عن ملامح نفوسنا في كلماته واصدائه ، اذا عثرنا عليها لم تسعنا الدنيا فرحا وحبورا ، واذا لم نتبينها عدنا من القصيدة بخيبة مريرة ، قد يزول اثرها اذا نحن عاودنا قراءتها في ظروف نفسية اخرى ؟ والشعر نفسه انانية مهذبة ، والشاعر نفسه كائن اناني ، يهيم بنفسه ، ما يلبث يجس نبضها ، ويتغنى خواطرها وانطباعاتها عن هذا العالم ونحن قراء الشعر لا نقل انانية عن الشاعر ، نتغنى انفسنا على لسانه ، ونبحث عن اسرارنا بين سطوره وخلال كلماته ومن ثم يكون اقرب الشعراء الينا ذلك الذي نقرأ كلامه او نسمعه ، فنخاله صادرا عنا تتمثل فيه ذاتيتنا وملابساتنا النفسية ، فاذا نحن الفينا انفسنا ازاء شاعر غريب عنا في تصوراته وجوه العاطفي ، فقد نزور عنه اذا لم يكن عندنا نصيب كبير من الروية وسعة الصدر ، والصبر على نزوات نفوس الاخرين

وهذا التفاني من الانسان خالقا للشعر وقارئا له ، في البحث عن نفسه والتغني بمشاعرها ، هو في الحقيقة سر هذا الكلف الشديد بالفن الشعري وكذا بقية الفنون الجميلة وهو يعتبر دليلا على القوة وعلى الضعف بالنسبة الى الانسان في وقت واحد فهو دليل ضعف ، لان الانسان يقف من نفسه موقف الخادم ، يتلقف كل ما يصدر عنها من هاجس او خاطر او احساس ، ويذهب يصنع منه آيات الفن والجمال ، وهو دليل قوة ، لانه وسيلة الانسان لتأكيد وجوده في هذا العالم ، وفرضه شخصيته على كل ما يحيطه من مظاهر الحياة والطبيعة فانت اذ تتملى ايات الفنون الجميلة ، تجد الانسان عملاقا يمتد طولا وعرضا في افاق الايام والسنين ، جاعلا

جميع الكائنات الاخرى تدور في فلكه ، وتجري في ركابه

ونحن نعشق نفوسنا منعكسة على اعمال الشعراء ، مهما كانت نقائصها وعيوبها ، بالقياس الى مزاياها وحسناتها . وكيف يمكننا ان نفعل غير ذلك ، اذ لا نملك قوة الانفصال عنها شبرا واحدا لننظر اليها بشيء من الموضوعية ؟ قد نعرف ان لنفوسنا نواحي ضعف ، وقد لا تروقنا بعض حالاتها ، ونود لو استطعنا التخلص منها ، ولكن العجب كل العجب ، اننا تأخذنا النشوة عند ما نعثر على ضعفنا نفسه في كلمات شاعر ، بعامل المشاركة الوجدانية التي لا تترك الانسان يشعر بأنه وحيد في بأسائه ، وبعامل الصياغة الفنية التي تستمد من الضعف قوة ، فنستشف منه هذا الجمال الفني الذي يجعلنا ننظر الى نقائصنا نظرة فيها قليل او كثير من الشاعرية . اهي احدى حيل الطبيعة ، تعوض الانسان عما فاته من وسائل القوة ؟ ام هي احدى حالات زوال الفوارق بين القوة والضعف في حياة الانسان النفسية ؟ لست ادري ، ولا المنجم يدري . ولكن الذي نستطيع ان نحققه ونطمئن اليه ، هو انه لا يمتعنا شيء كما يمتعنا ان نجد نفوسنا بحسناتها وسيئاتها ، فيما نقرأ من الوان الادب والشعر .

ولكن لما ذا هذا التعشق للنفس ، في آيات الفنون ؟ لعله راجع الى غريزة اثبات الذات ، الكامنة في نفس الانسان ، يتجلى ذلك منذ طفولتنا الاولى ، ويتدرج معنا في مراحل العمر المختلفة ، تزيده التجربة والخبرة بالحياة متانة ورسوخا واحتيالا وتفننا في التماس الوسائل الكفيلة باثبات الشخصية

بيد اننا عند ما نقرأ الشعر ، لا نجد نفوسنا وحدها وانما نجد ايضا نفوسا اخرى تتفق معنا في اشياء ، وتختلف عنا في اشياء اخرى ، ومع ذلك نحرص اشد الحرص — متى كنا قارئين جادين — على معرفة هذا الذي نختلف فيه ، كما عرفنا ما اتفقنا فيه ، وذلك لنزداد ادراكا لنفوسنا ، عند مقارنتها بغيرها ، ولنتبين المنازع الكامنة في عقلنا الباطن ، اذ يكشف النقاب عنها ما يواجهنا في نصوص الشعر من الطبائع والملامح النفسية غير المألوفة لدينا ، ودائما يؤدي اصطدام الطبائع المتنافرة والتحامها الى اثارة زواياها البعيدة لتقذف بما فيها من اسرار كامنة ، تنتظر الفرص المواتية لظهورها على مسرح الحياة النفسية في وضوح

فانت مثلا قد تكون عفيفا تقيا ورعا فتقرأ شعر عمر ابن ابي ربيعة الفاجر ، فتلقى نفسك ازاء نفس اباحية فاجرة ، ولكنك قد تكتشف اخيرا ان هذه الاباحية لها اصول في اعماقك ، تتجاهلها تحت تأثير التربية والراي العام والجو الاجتماعي وارث السنين من النصائح والوصايا والمواعظ . وقس على ذلك . افلا يكون الشعر — على هذا الاساس — يزيدنا معرفة بنفوسنا ، وتتوفر لنا فرص ذلك ، كلما اقبلنا على الشعر نقرأه في نصوصه المتنوعة ، الممثلة لشتى الاتجاهات والميول؟ ولكن اية معرفة هذه ؟ وما وسائلها وطرائقها ؟ في الحقيقة هناك اختلاف كبير بين قراء الشعر في هذه القضية ، فهناك القارىء الهاوي ، الذي لا يقف عند نصوص الشعر ليدرسها بأدوات الباحث المدقق ، وانما هو يأخذها كيفما اتفق ، ويترك نفسه تحت سلطانها السحري ، يتلقى ما يصدر عنها من مشاعر واحساسات وحسبه هذا الانتشاء اللذيذ الذي يحصل له حينئذ ، وهو في هذه الحالة لا يعرف نفسه في نصوص الشعر معرفة تحمل ادوات المعرفة ووسائلها ، فان هي الا معرفة استبطان ذاتي ، تجري في غموض وابهام . وهناك من يقرأ الشعر حاملا ادوات المعرفة الدقيقة ، فكل شيء عنده بأصول ومقاييس ، واكثر قراء الشعر من القبيل الاول ، وذلك لان وسائل البحث الجاد عسيرة وثقيلة التكاليف ، ولان جل قراء الشعر ما زالوا يعتقدون ان قراءته انما هي مسألة متعة روحية خالصة لا تصحبها مصاعب الدرس الشاقة ، ولان الشعر نفسه يذهب رواؤه وجماله الفني ، عند ما تقطع اوصاله استجابة لطرق البحث الدقيقة . ولكن سواء قرأنا الشعر على النهج الاول والثاني ، فدائما نجد عنده شيئا من انفسنا ، نعرفه معرفة دراسة وبحث ، او معرفة تلقي واستجابة

واهمية الشعر لا تقف عند هذا الحد من معرفة النفس ، وانما تمتد الى طبيعة اتصالها بمظاهر البيئة الطبيعية والاجتماعية ، فهذه المظاهر التي تحيط بنا وتتصل بحياتنا وتؤثر فينا تأثيرات مختلفة ، قد نقضي في صحبتها سنين عديدة من حياتنا ونحن في غفلة عن اسلوب تأثرنا بها ، واستجابتنا لمعطياتها ، وعن ابعادها

ومفارقتها وما يكمن فيها من اسرار الجمال ، الى ان يجيء الشاعر المبدع ، ليرفع الحجب عن هذا كله . ويجعلنا نشعر بالصداقة لما حولنا ، تأنس به ، ونستوحي منه ، ونستمد عناصر تكويننا الفني ، وقد يستطيع ان يجعلنا ننظر الى تلك المظاهر ، وكأننا نراها للمرة الاولى ، وهكذا يمكننا الشعر من تجديد اتصالنا بالحياة والاشياء .

نعم ، ان للعلم فضلا كبيرا في الكشف عن صلة الانسان بالعالم المحيط به ، ولكن طريقة العلم لدقتها تستطيع ان تقنع العقل وتملأ الذهن ، ولا تستطيع ان ان تؤثر في المشاعر وتملا القلب ، ونحن نود ان نجد نفوسنا وتمثلها تملا شاعريا في موقفها من الاشياء ، وتأثير الاشياء فيها ، علاوة على توفرنا على دراستها بطرق العلم وقواعده الدقيقة . ان العلم لا يستطيع ان يهبنا من نتائجه في هذا المجال الا ما حققه ووضع له قواعد صارمة تثبت امام التجربة والجدل والبحث ، ولكن الشعر قادر على ان يهبنا نتائج ابعد من ذلك ، لكونه يعبر عن عوالم وافاق انسانية بعيدة المدى ، عميقة الاغوار ، ما زال العلم لم يخضعها بعد لسلطانه ، وقادر على ان يتنبأ ويشوق الى المجهول ، ويحملنا على ان ننظر من خلال قلوب كبيرة واخيلة جبارة الى ما فوق المحسوس وما هو ابعد من مجال العقل والادراك . فالشعر مكتشف كبير ، ورائد لا يجارى ، وجريء في اقتحام الطرق التي لا يعلم احد الى اين تؤدي ، ولاية غاية تنهي ، حتى ليكون احيانا ، وعلى يد كبار الشعراء نبوءة في عصر كافر بالنبوءات كعصرنا هذا . ودائما كان الشعر يتقدم العلم في التعبير عن الطاقة الانسانية ، ومدى قدرتها على الابداع . وكثير من الحقائق العلمية المفروغ منها اليوم ، كانت في زمن ما احلاما تداعب اخيلة الشعراء ، واطيافا جميلة تهز وجدانهم . الشعر تساؤل وحيرة وشوق الى شيء ما ، وتجاوز للمشهود الى ما وراء المشهود ، ونداء حار يهز اعماق القلوب ، ودعوة للتفوق على الذات ، على حين ان العلم لشدة كلفه بالاصول والقواعد ، يضحي بالهدف البعيد الذي تعوز وسائل الوصول اليه ، في سبيل الهدف القريب الذي تيسرت وسائله ، هو لا يحلم ، ولا يجري مبهور الانفاس ، ولا يتخطى الدروب والافاق ، من اجل شعاع يلمع في افق بعيد ، وانما هو الرزانة والاناة وهدوء الحركة ، على حين ان الشعر هو النقيض من ذلك ، هو طفل كلف باقتحام المخاطر ، مفتون بالتجربة يقتحمها مهما كانت العواقب . فلا غرو بعد هذا اذا كنا نجد في الشعر ما لا نجده في العلم من ارضاء الاشواق الروحيه ، وتفوق على الذات ، وحنين الى الابدية .

ونحن عشاق الشعر لا نكتفي بان نجد نفوسنا في نصوصه الممتازة ، بل نتجاوز ذلك لنجد فيه علاجا لبعض ما ينتابنا من الام واحزان في هذه الحياة المليئة بالورود والاشواك ، وكم كانت الام الانسان سببا في ازوراره عن الحياة وكفره بها وتمنيه الانعتاق من نيرها الثقيل ،وهنا يتقدم الشعر الينا بترياق للسموم السارية في نفوسنا ، وبلسما للجراح الدامية في اكبادنا وقلوبنا ، فقصص الابطال الاشقياء ، وما سي المعذبين المحرومين ، والام الحائرين الضالين ، كما يرويها الشعر ، من شأنها ان تؤنس كل معذب وشقي وحائر ، وتخفف عنه من هول المصاب ، اذ بواسطتها ينفث صدره ما يمزقه من الم مبرح ، ورب كلمة شعرية ردت الروح الى الميت ، والامل الى اليائس ، والثقة الى الضال ، والهداية الى الحائر . وليس الشعر الباسم وحده هو الذي يفيدنا في التغلب على همومنا البشرية ، فحتى الشعر العابس قد يستطيع ذلك ، طالما كان في تكاتف البؤساء والاشقياء وسيلة لاعادة الابتسام الى وجوههم المكفهرة ، وتخفيف لعبئهم الثقيل . ومن اكبر وسائل سعادة الانسان ان يسكن الى من يشاكلونه في الطبع والمزاج ، ويقاسمونه مصيره سنة النفس الانسانية ، حيث تجد في اسباب سعادتها اسباب شقائها ، والعكس بالعكس ، فكم نتألم ونحن في اوج فرحنا ، وكم نتلذذ ونحن في اسوء حالاتنا ، وما الضحك نفسه الا حيلة من الطبيعة للتخفيف من مضاعفات الاحساس بالالم عند الانسان، ومن ثم كان هذا الاختلاط بين عوامل البكاء وعوامل الضحك، حتى ليصعب التفريق بينهما احيانا كثيرة .

وكما ان الشعر يخفف عنا بعض همومنا ، فربما خلق لنا هموما جديدة ، بل لا خير في الشعر اذا هو لم يخلق لنا هذه الهموم الجديدة ، وقد يعتبر هذا من غريب المفارقات ، ولكن متى كان الانسان خاليا من الهموم ؟ فهو لا يكاد يودع هموما حتى تستبد به هموم

اخرى ، ذلك ان نفس الانسان لا ترتاح لحظة واحدة في صراعها مع ظروفها والحياة ، همومها يتولد بعضها من بعض ، ويستدعي بعضها بعضا ، ويجلو منها شيء ليحل محله شيء جديد ، وهكذا نستطيع ان نفهم كيف يمكن ان يسلينا الشعر من جهة ، ليثقل كاهلنا بحمل جديد قد نعاني منه زمنا . وقد قلت انه لا خير في الشعر اذا هو لم يحملنا هموما جديدة ، وعلى ان اقيم الدليل على هذا الزعم ، والمسألة في منتهى البساطة . فالشعر الصحيح تطلع الى المجهول ، وكشف عن اسرار الاشياء الجميلة ، وتشوف الى المستقبل الغامض ، واستبطان لاعماق الانسان . وتعبير عن ازمات الروح والضمير ، ودعوة الى تعشق الكمال ، ونفور من البشاعة في شكلها المادي ، او في وجودها المعنوي . وفي اشعار قارىء الشعر بعض هذا لا بهذا كله ، مدعاة الى اخراجه من جو الراحة النفسية ، ورمية بين ملتقى رياح اربع . لا خير في العمل الشعري الذي تنتهي منه لتستسلم للنوم ، او تحملق في الفضاء كالابله ، ما دام الشعر تفجيرا للطاقة الانسانية ، واثارة للمعاني القوية .

قد يتصدى معترض للرد على هذا الكلام فيقول : ان الحياة في سيرها العادي كفيلة بان تغرق الانسان في بحر من الهموم التي لا تنتهي ، فما حاجته الى الشعر يلتمس فيه هموما ان هي الا انعكاس لهموم الحياة اليومية ؟ وهي مغالطة لا تثبت امام البحث . حقيقة ان هموم الشعر من هموم الحياة ، ولكن الفرق بينها وهي ضمن الواقع ، وبينها وهي في نصوص الشعر ، هو الفرق بين الطبيعة باعتبارها شجرة او جبلا او بحرا ، وبينها وهي مصورة في نصوص الشعر الجيد ، العمل الشعري اذ يتناول الشيء في النفس او الطبيعة ، يعطينا نموذجه المثالي ويستفيد من خصائصه ومميزاته لابرازها في ادق نواحيها ، هذا بالاضافة الى ما تضفيه عليها روح الشاعر من طابع خاص ، يجليها في شكل طريف . ومن هموم الحياة ما يعيشه الناس فعلا ، ولكنهم لا يفطنون اليه ، ولا يشكل (ازمة) بالنسبة اليهم ، تحملهم على النظر في شؤونهم نظرة الناقد ، حتى يجيء الشعر فيمكنهم من ذلك .

وبين سلوتنا عن هموم ، وامتلائنا بهموم قصة طويلة من التوجس وكذب الظنون ، وخداع الاماني ، ووساوس الاحلام ، وانتظار المفاجات ، وما الى ذلك من الحالات النفسية التي تتبدل باندفاعنا وراء الكلمات الشاعرة ، نجس نبضها ، ونحياها ملء كياننا كله .

والهموم الشعرية ليست ـ كما قد يتبادر الى الذهن ـ نوعا من الترف الذهني والنفسي ، بحيث تعتبر تطرفا فنيا وعرضا من اعراض الذهنية الخاملة وسلبية الارادة ، وانما هي تعبير عن النزوع الى الحرية والانعتاق من طغيان المادة ، وجبروت الآلة ، وارتفاع بمستوى المشاغل الفكرية والروحية الى مستواها الرفيع هي رفض الانسان لحيوانيته ، وامتداد لافقه الانساني .

ومن حسنات الطبيعة انها لم تعمم هذه الهموم على جميع البشر ، وانما اوقفتها على طائفة محدودة من الناس ، ولو عممتها لكنا نعيش في عالم مجنون ، لا يعرف شيئا من الاستقرار والتوازن ، ولا يكون فيه مجال للحقائق الصغيرة البسيطة ، التي تشغل حيزا كبيرا من حياة الناس ، وبوجودها تنتظم الحياة في سيرها العادي بل لو عممتها لما كان لها هذا السحر ، وهذا الرونق الذي تبدو عليه ، في عالم يتسع لصغار الاشياء وتوافه الامور ، مما ساعد هذه الهموم على الاستبداد بطائفة من الناس ، ملت ما جريات الحياة العادية ، فحنت الى جو الايحاء والاشراق الروحي ، جو الشعر والشعراء . تعادلية الحياة بين المتناقضات والمفارقات ، بين المادة والروح ، والجوهر والصورة ، والحرية والعبودية الخ هي السر في استمرار الحياة بشكلها المعهود ، لذلك ما احس احدنا بهموم شعرية فرضت سلطانها عليه ، منتجا للشعر او قارئا له ، الا وشعر بشيء من الغربة في العالم المحيط به ، اذ بقدر ما تشف تأملاته وخواطره وتطلعاته الروحية الى الكامل والسامي والامثل ، بقدر ما تظهر بشاعة الحقائق الصغيرة التي يجري الناس من ورائها لاهثين متزاحمين بالمناكب ، في كل زاوية ودرب ومنعطف . وهو حينئذ اما ان يعترف بمنطق الحياة ويحاول التوفيق بين نفسه والجو الاجتماعي المحيط به ، واما ان يستسلم لنوع من البوهيمية اللامبالية ، التي تحمل اليه فيما تحمل : الملل والقنوط والسخط على كل قيد او نظام ، وهو شيء وقع فيه الكثيرون من منتجي الشعر وعشاقه على السواء .

والشعراء الذين عاشوا في صلح مع الحياة ، اقل بكثير من الشعراء الذين عاشوا في صراع معها . اذ كلما كان الشاعر اقوى شعورا بذاتيته ، كلما ازداد خلافه مع العالم المحيط به ، ولو وكل الامر الى جل الشعراء ، لقلبوا الدنيا رأسا على عقب ، وغيروا كثيرا من انظمة الحياة ، بل لفعل ذلك كل واحد على شاكلته الخاصة ، واذن لكان هناك عوالم مختلفة لا عالم واحد ، تتعدد بتعدد منازع الشعراء وامزجتهم

واذا كان الشعراء عاجزين عن تغيير نظام الحياة ، فهم يغيرون ويبدلون منها في دنياهم الخاصة ، يخلقون انواع الفراديس ، وانواع الجحيم ، ويبدعون في تجسيم المثل والقيم التي يؤمنون بها ، ويبحثون عنها في الواقع المشهود فلا يجدونها ، ويتفننون في رسم الحياة المثالية كما يتصورونها وتهفو نحوها قلوبهم . ونحن قراء الشعر تسبينا عدوى هذا الذي يشغلهم ، فنحلم احلامهم ونعيش همومهم ونشاركهم عملية الخلق والابداع ، ونقاسمهم عاقبة المصير ، دون ان نعتبره مصيرا فرديا يهم الشاعر وحده ، ولا مصيرا انتهى امره ودخل في ذمة التاريخ ، وانما نعتبره مصيرا يتجدد وينتظر وتتسع الحياة لعودته مرات ومرات ، كلما وجدت اسبابه ومبرراته . فمشاغل الشعراء وهمومهم ، ان هي الا مشاغل وهموم انسانية عامة ، بمعنى ان الشعراء يحملون ثقل الهموم الكونية كلها ، وينطلقون مجنونين بالكلمة ، لان هناك عددا كبيرا من الناس ، لا يحسنون استعمالها فيما يجدون من شؤون القلب والعاطفة ، فكأن الطبيعة اذ تحرم هؤلاء الناس الموهبة القادرة على استعمال الكلمة استعمالا شعريا ، تلقي العبء كله على الشاعر الذي يظهر بينهم

لقد انتهينا الآن الى نقطة من هذا الحديث ، ظهر لنا الشعر خلالها ضروريا ضرورة الماء والشمس والهواء، ولا غنى لنا عنه ما دمنا نتنفس ونضطرب في هذه الحياة. ولكن ما زالت هناك بواعث اخرى كثيرة تدفعنا الى تعشق الشعر ، ومنها قصور الانسان عن تحقيق جميع آماله ومتمنياته في هذه الحياة . وانها لعجيبة هذه الطبيعة التي خلق الانسان عليها ، اذ ركبت فيها عناصر الضعف الى جانب عناصر القوة ، الامر الذي خلق في الانسان صراعا حادا بين نواحيه القوية ونواحيه الضعيفة لا يهدأ الا برحيله الى العالم الاخر ، فهو يجاهد ويجاهد، فلا يحقق من امانيه الا الشيء اليسير ، بالقياس الى الاماني التي يعجز عن تحقيقها ، ولذلك فهي تبقى حلما يلازمه في مختلف حالاته ، وتتولد عنه ضروب من الاثار النفسية المختلفة ، تؤثر على اقواله وافعاله ، ملتمسة وسيلة للتعبير عن نفسها ، فاذا كان صاحبها ذا نزوع فني ، اتخذت من الفن مجالا لظهورها ، ومن هنا كان الشعر – سواء من ناحية منتجه او قارئه – تعويضا عما يصيب الانسان الفنان من خيبة في آماله العذاب .

واعتقد ان لو رزق الانسان قدرة فائقة على ان يقول للشيء : كن فيكون ، لما وجد من نفسه وازعا يدفعه الى قول الشعر او قراءته ، ذلك ان الشعر تعبير عن الجانب المثالي في الانسان ، هذا الجانب الذي لم يستطع الانسان تحويله الى حقيقة واقعة ، بالرغم من جهود المصلحين والفلاسفة وكبار الشعراء والادباء ، فدائما يصطدم عالم الواقع بعالم المثال ، واخيرا ينهزم الثاني امام الاول ، ليعيش بين الحروف ، وفي تضاعيف الكلمات الشعرية الجميلة . فتحقيق جميع الاماني معناه الشعور بالاكتفاء ، وانتفاء لذة الاشواق ، ومتعة الانتظار ، ومعناه ايضا خمول النفس ، واضمحلال القوى المبدعة ، وانعدام عنصر الصراع بين الانسان وظروفه ، وبينه وبين نفسه ، هذا الصراع الخالق المبدع ، الذي تتولد عنه كثير من العقد النفسية ، ملهمة العباقرة والفنانين . هل كان للعقاد ان يملأ الدنيا بروائعه وآياته ، لولا هذه العقدة التي الحت عليه كثيرا ، وهي انه لا يحمل شهادات عليا ، تضع له مكانة بين ابناء جيله فجاهد بقلمه ليفرض شخصيته ، لا عن طريق الالقاب العلمية ، وانما عن طريق البيان والابداع ؟ وهل كان في مقدور المتنبي ان يملأ الدنيا ويشغل الناس ، لولا صراعه مع الظروف المعاكسة التي احاطت به ؟ وهل كان في وسع ابن الرومي وابي حيان التوحيدي ان يبدعا لولا خيبتهما المريرة القاسية ؟ قد يعترض معترض . فيقول: واين تركت عمر بن ابي ربيعة الشاعر المحظوظ، وامرء القيس ربيب العز ، وشوقي شاعر القصور ، واضرابهم من الشعراء الذين نالوا من متاع الدنيا قسطا وافرا ؟ ولكن هل خلت حياة هؤلاء من نوع من الصراع ؟ ومن يستطيع ان يثبت لنا ان آمال هؤلاء قد تحققت جميعها ، بحيث لم تترك لهم مجالا للتمني ؟ والا

فلما ذا نجد عمر بن ابي ربيعة تبع نساء ، يضفي عليهن من شعره حللا قشيبة يتباهين بها بين رحاب الادب العربي ؟ فهو ما ان يتبع احداهن وصفا وغزلا ، حتى تلوح له اخرى تسكره باللفظ واللحظ ، فيحيطها بهالة وضاءة من عذب الشعر وجمال الفن ، ثم ترنو اليه اخرى فيترك صاحبته ويهرع اليها ، يحوم حولها ولسانه ينفث روائع القصيد. فهذا الجري من امرأة الى اخرى ، ان هو الا برهان على ان عمر تتجدد اماله ، وتمتنع عن التحقيق الكامل ، فتكون هبة ذلك هذا الحر من الكلام الذي اتحفنا به. وقل مثل هذا بالنسبة لبقية الشعراء الذين يلوح لنا انهم لم يعرفوا شيئا من الصراع ، فانت لا بد واجد عندهم وفي خلال اعمالهم الفنية دليلا على انبثاق شعرهم من الشعور بان هناك امالا لم تتحقق ، وليست الامال المعلقة مقصورة على الاغراض الدنيوية ، بل هي قد تكون امالا فنية صرفا ، هي امال منتسج الفن في الوصول الى الكمال ، والتربع على القمة

وعدم تحقق بعض الامال كما يكون دافعا الى قول الشعر لاستغراقها وتحقيقها عن طريق الحكم الشعري ، فهو كذلك بالنسبة الى قارىء الشعر ، يلتمس فيه اشباع نفسه الطموح ، وتحقيق اماله الضائعة ، فعاشق الشعر هو شاعر اخرس ، وقد لا تقل تجربته عمقا واصالة عن تجربة الشاعر وهو يقرأ اعماله. ولا ابالغ اذا قلت انها قد تفوقها ، متى كان القارىء اقوى حيوية واستجابة من الشاعر المبتكر.

ومن بواعث قراءة الشعر ، هذا الغموض الذي نحسه في كثير من نواحي الحياة وآفاقها. فكم من معاني تجول في خواطرنا ، او مشاعر تهتز لها قلوبنا ، او اصداء كونية تاخذ اسماعنا من هنا او هناك ، ولكننا لا ندرك كنهها ، ولا نتبين طبيعتها ، ومن ثم ينبعث فينا شيء من الفضول الفكري ، والشوق العاطفي ، لاماطة الكلام عن هذا الذي غمض علينا ، فنجد اشياء نستطيع اخضاعها للعقل الفاحص ولكن قد تصادفنا اشياء وشؤون اخرى تأبى هذا الخضوع ، اذ هي بطبيعتها غامضة حرة لا تريد ان تنزل النقاب عن وجهها ، فنحتال عليها بلغة الشعر الساحرة ، نهمس لها بها ، ونضع لها الفخاخ بكلماتها ، وكلما اشتدت غموضا كلما اقبلنا عليها متلطفين ، نحوم حولها كما يحوم الطائر الصادي حول الماء العذب النمير. الغموض هو احدى حيل الطبيعة لتفجير الطاقة الشعرية في الانسان. اذ معه يوجد الشوق ، واللهفة ، والفضول ، والتطلع ، والتساؤل ، والشعور بالتحدي. ولا شيء اعدى للشعر من الوضوح الكامل ، الذي لا يترك افقا غامضا ، ولا زاوية غارقة في الظلال ، ولا سرا يكمن وراء ستار ، ولا خاطرا يحيط به جو الابهام ، او معاني تتردد في الصدر ، ولا تتضح للذهن. والا فبأي شيء نعلل كلف الشعراء بالطرافة وارتياد الافق البكر ، واصطياد الخواطر والمعاني الغريبة التي لم تبتذل بشدة الشيوع ؟ ولما ذا نجد قارىء الشعر الممتاز ، يعرض عن الشعراء المجترين ، وينصرف الى الشعراء المبدعين ؟ قد يقول قائل : ما بال شعراء العرب في الجاهلية اجادوا في فن القول ، مع انهم كانوا يعيشون في بيئة كل ما فيها واضح ، من الرمال الى الصخور ، الى الحيوان ، الى السماء المكشوفة والفضاء الواسع الذي لا يعترضه حاجز ؟ ولكن هل الغموض لا يشمل الا البيئة الخارجية وحدها ؟ واين تركنا نفس الشاعر في طبيعة اتصالها بالدنيا من حولها ؟ اذ ليس من المفروض ان تكون واضحة في كل انطباعاتها عن البيئة الواضحة ، ذلك ان النفس الانسانية معمل للتجارب النفسية ، تتلقى مؤثرات الحياة الخارجية واصداءها ، فتولد منها عالما من المشاعر والخواطر التي منها الواضح ، ومنها الغامض. وما اعتذاريات النابغة الذبياني الا صدى لاحساس الشاعر بالغموض الطارىء على علاقته بالنعمان ، وعدم ثوقه بان مكانته عند الملك لم تتغير. ولنستمع الى امرء القيس يقول هذين البيتين :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وايقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فها هنا نجد صاحب الشاعر يشعر بغموض المصير الذي ينتظرهما وهما في طريقهما الى قيصر الروم ، والشاعر نفسه يشعر بهذا الغموض ، ولا يعلم عاقبة المغامرة التي يقوم بها ، ولكنه يغالب مصاعب الموقف ، ويثبت صاحبه ويعيد اليه الثقة بالنفس. وقس على ذلك

الشيء الواضح اذا رأيته او سمعته او استحضرته لذهنك ، يمكنك ادراكه بكل وضوح ودقة . ومن ثم تراه شيئا مفروغا منه ، لا يستدعي فضولا فكريا ولا لهفة عاطفية ، ويمكن لمجموعة من الناس ان تراه او تسمعه او تستحضره معك ، ثم تنصرف عنه لانها ادركت كل شيء فيه ، ولكن الشيء الغامض يبعث شيئا من الحيرة ، ويجعل الناس يذهبون مذاهب مختلفة في تمثله وفهمه والاستجابة له ، فتكثر الظنون ، وتتنوع الفروض والتخمينات ، وهذا هو المجال الحيوي بالنسبة للشعر ، اذ يصدر عن هذا الغموض ، الذي يحرك مواهب الشعراء . وبتعدد الشعراء تتعدد اساليبهم في استيعاب الشيء الغامض ، الذي يساعده غموضه على الايحاء والالهام ، وفتح ابواب الظنون الشعرية ، لتجد مرتعها الخصب . ومن ثم لا وجود في الشعر للمعنى او الخاطر المقطوع به او المفروغ منه ابدا ، وانما كل معاني الشعراء وخواطرهم نسبية موقتة ، تتبدل بتبدل الظروف المؤثرة ، والنفوس المتاثرة . وقارىء الشعر هو ايضا يخوض تجارب الشعراء ، ويتعرض لما يعرض لهم من احوال متباينة ، والاعيب الظنون .

ونحن عند ما نقبل على الشعر نقرأه ، نريد ان نستشعر المغازي الكامنة في مظاهر الحياة من حولنا ، والتي طالما وقفنا ازاءها حائرين ، نحس نحوها بشيء من الحب او شيء من البغض ، نتأملها محملقين ، ثم نرتد عنها لا نحمل لها الاصدى مبهما ، فاذا بالشاعر المبدع ياخذ بيدنا الى قدس اقداسها وبعيد اعماقها ، دون ان يفسد علينا متعة الاستمتاع بتلك الغلالة الشفافة التي تكتسيها معاني الاشياء ، لتكون بعيدة كالقريبة . قريبة كالبعيدة ، فابغض الشعراء الينا ذلك الذي يتناول مظاهر الحياة بالاسلوب المباشر الذي لا يدع للقارىء فرصة استعمال الذكاء ، لملء الفجوات ، وقراءة ما بين السطـــور .

ونحن نقرأ الشعر لنكون اغنياء بالفاظنا ، تنبعث عنها الوان من الاشعاع الروحي ، وتكشف عن صور من الحياة ، وتكون بالنسبة الينا كائنات حية ، لها كل خصائص الكائن الحي ، من الحركة والنمو والتطور ، ومن ثم لا تبقى عندنا مجرد اداة لتبادل الرأي والدلالة على المعاني ، وانما تستحيل الى عالم فني قائم بذاته ، يوحي ويلهم ، ويروق بكيانه الذاتي الجميل . فعند ما تجري الكلمة على الشفتا او تطرق اسماعنا ، او تتمثل لخاطرنا ، تغمرنا بظلالها والوانها ومفاتنها ، تحمل الينا ذكريات من الماضي ، واطيافا من المستقبل ، وتنشق عن كنوز من ذخائر النفوس الشاعرة . ولا شيء اقدر من الشعر نقرأه ليهب الفاظنا هذه الثروة وهذا الغنى الفني ، اذ فيه تعيش كلمات اللغة ، تتنفس وتضطرب ، وتتعاطف ، وتهمس ، وتبتسم وتعبس ، وكلما انتقلت من شاعر الى اخر ، تضخمت حمولتها من المشاعر وتدفقت بواعث الحياة فيها . وعند ما ياخذها القارىء في نصوصها الجميلة المتنوعة ، تفيض عليه بكل هاتيك المآتي ، التي هي تركة ماضي حافل بالامجاد ولم تتخايل مدلولات الالفاظ وظلالها ومعطياتها كما تخايلت للشاعر المبدع ، الذي يسلمها الينا طريفة ممتعة ، وكأنها بنت ساعتها

ونحن نريد ان نكون اغنياء بالفاظنا لنوسع على انفسنا من دروب الحياة وآفاقها ، ولنتعيض عن قصر اعمارنا في هذه الحياة ، بامتداد حيزنا المعنوي الى ما لا نهاية ، ولتتجمع بين ايدينا جهود الانسانية في نضالها الطويل المضني من اجل السمو بروح الانسان ، ولتنقل الينا الكلمات اصداء الكون ، من حيث لا نحتمل الازاوية صغيرة من هذا الكون . ففي الكلمات الشعرية شيء من خرير الماء ، وهدير البحر ، وحرارة الصحراء ، واريج الزهر ، واشعة الضوء ، وصليل السيوف ، وهمسات المحبين ، وانين المعذبين ، وما الى ذلك من اصوات الحياة المختلفة . فاذا نحن استعملنا كلمات اللغة في اخص شؤوننا ، فاضت علينا بكل ذلك ، تشي بما تحمله في طبيعتها من عناصر انسانية كثيرة ، ومن ثم تصبح مستودعا لاسرارنا ، تحملها خفقات قلوبنا ، ومناجاة انفسنا ، وسوانح احلامنا ، دون ان تشكو ورما او ضيقا ، لانها تستمد سعتها من مدى ما ترمز اليه من انواع الدلالة عندنا ، وهو مدى واسع سعة نفوسنا المترامية الا فـــاق .

فـــاس ـــ عبد العلي الوزانـــي



للأستاذ: محمد السرغيني

1 — ان القوة الابداعية تمتنع على كل تسمية . فهي عند اي تحليل مهما كان ، ليست غير سحر لا يوصف . ولكنه ليس شيئا لا يقبل ، ولا يقوى على تحريكنا من العمق . اننا محملون بهذه القوة الى آخر ذرة من صلبنا . فنحن لا نقدر على تفهم حقيقتها ، ولكننا نستطيع ان نقترب من ينبوعها بطرق مختلفة . وعلى كل حال . يجب علينا ان نسبر غورها ، ونجلوها عمليا . كما تتجلى هي فينا .

ومن المحتمل ان تكون هذه القوة مادة ، او شكل مادة لا تلتقطها نفس الحواس ، كما تلتقط الانواع الاخرى المألوفة . ان هذه المادة . ينبغي أن تعرف بمادة معروفة . وان تعمل وهي غير مجسمة في نفسها . ولكي تتوحد في مادة اخرى ، يجب ان تتجسد وان تتحول الى شكل والى واقع .

2 — ان التكوين كحركة شكلية ، يكون جوهر العمل الفني . وفي البداية يكون السبب ادماج الطاقة . هو النطفة .

العمل الفني كانتاج شكلي بمعنى مادي : مؤنث بالاصالة . والعمل الفني كحتمية نطفية شكلية : مذكر بالاصالة . (ان رسومي تنبع من عالم المذكر) .

وفي هذا الصدد ، يجب تحديد مجال الوسائل التشكيلية بالمعنى الفكري ، والالحاح على الاقتصاد الاكبر في استخدامها . ان النظام العقلي يتأكد فيها اكثر مما يتأكد في وفرة الوسائل . فيجب تجنب الاستعمال الكلي للمعطيات المادية ، (كالخشب والمعدن والزجاج) لصلحة المعطيات الفكرية (كالخط والنبرة واللون . وغيرها من الاشياء اللاملموسة) .

ومن المؤكد ان الوسائل الفكرية ليست خالية من اية مادة ، والا فاننا لا نستطيع « الكتابة » . فعندما نكتب كلمة : خمر بالحبر ، فان الحبر هذا ، لا يلعب الدور الرئيسي ، ولكنه يسمح بتأكيد دائم لفكرة الخمر . وهكذا يهدف الحبر الى ان يؤمن لنا الخمر بصورة دائمة ، وعليه ، (فالكتابة والرسم) حقيقيان في عمقهما .

ان انتاج الشكل بالمعنى التناسلي ، متخفف بصورة قوية ، اذا قورن بحتمية (فكرة) الشكل .

فآخر نتيجة لنوعي التشكيل (من العلة الفاعلة والعلة المادية) هما الشكل . فمن بداية الطريق الى الوصول الى الهدف ، ومن بداية ما ينجز الى وقت انجازه ، ومن الحياة (في شكلها الساذج) الى التقنين ، فان الشكل بالمعنى الحي (حسب مفهوم جستالت) شكل مع وظائف تحتية : وبتعبير آخر ، فهو وظيفة الوظائف .

ففي البداية ، تكون الملكية المذكرة لوثبة الطاقة وبعد ذلك ، يكون النمو الجسدي للبيضة ، او يكون برقا لامعا ثم سحابة ماطرة . ولا يكون العقل شيئا مضمونا الا في البداية .

3 — ومن وجهة النظر الخلقية Cosmique فان الحركة بطبيعة الحال معطية مطلقة مسبقا ، ولا تطلب وهي قوة لا نهائية اية وثبة طاقوية خاصة . ان جمود الاشياء في محيط الارض ليس الا كتلة مادية للمعطى الحركي الاساسي . وانه لمن الخداع ان تؤخذ هذه الثبوتية كقاعدة .

فالعمل الفني اول شيء تكوين ، اما تاريخه ، فيمكن ان يبدو بسرعة كشرارة سحرية نابعة من حيث لا نعرف . انه يلهب العقل ويحرك اليد ، وينتقل كحركة الى المادة ، فيكتمل عملا فنيا . فكلمتا الاثارة والتحريض لا تدلان على كل شيء في هذا الصدد ، فكرة التحريض تدل على ما قبل تاريخ عملية الخلق ، وعلى تناقضات ما قبل تاريخ الكون المتوالد المتبخر ، وعلى اتصال البداية بالماقبلية الزمنية ، « بالوراء » .

ان امكانات العاطفة من اجل تجاوز اية بداية ، متضمنة هي الاخرى في فكرة اللانهائي ، تلك التي تمددها الى « الامام » وان تصور اللانهائي لا يتعلق فقط بالبداية ، ولكنه يشد هذه الى النهاية ، ويذهب بنا الى فكرة الدور والتخطي ، والى الدورية مع الحركة كقاعدة تبعد مسالة البداية .

وحينما نوخذ انفسنا بالحركة العادية ، فاننا نشعر في اعماقنا باستيقاظ وضعية خلاقة . فنحن معبأون ونعبىء بدورنا .

ان الخطوات الرئيسية لمجموع المسيرة الخلاقة تكون كما يلي : الحركة المسبقة فينا ، الحركة تعمل ، وتنشط ، وتتجه نحو العمل الفني ، وفي النهاية يكون تمام الانتقال الى الآخرين ، الى المشاهدين ، اي انتقال الحركة المودعة في العمل الفني .

ان ما قبل الخلق خلق واعادة خلق . وحينما نترك عملا فنيا بسيطا وبدائيا يتطور شيئا فشيئا بهذا الشكل ، فان في امكاننا ان نلاحظ شيئين هامين :

اولا . ظاهرة التشكيل في ازدواجية علاقته بالفورة الاولية ، وبالوضعية الحياتية . وثانيا ، التشكيل كبسط للاستحثاث السحري في مطابقته للهدف المقصود .

ان هذه الظاهرة كانت مدركة في النشاط الحركي في بدايتها المغرقة في الاولية ، وذلك ، عندما بدا الشكل في التكوين بصورة (بنيات) صغيرة جدا . وهذه العلاقة الاساسية التي تبتدىء من التشكيل وتنتهي الى الشكل ، اذا لوحظت على مستوى بنيوي Structural « خلوي Cellulaire » نسيجي « Tissulaire » فانها تحتفظ بكل مدلولها في اطار ما بعديتها ، وبتدقيق فهي تعرف كقاعدة .

ان هذا المدلول يمكن ان يبدو هكذا : ان السير نحو الشكل الذي مراحله يجب أن تمليها بعض ضرورات داخلية او خارجية ، يفضل الهدف النهائي ، اي يفضل انهاء المسافة . فهو يحدد خواص العمل الفني المنتهي . اما التشكيل فهو يحدد الشكل ويطبعه بطابعه .

الشكل ليس اصلا نتيجة يتوصل اليها ، انه خلاصة كاملة ، بل يجب تصوره كتكوين ، او كحركة . فكينونته هي الصيرورة . اما الشكل كمظهر ، فهو ليس الا ظهورا خداعا ، او شبحيا خطيرا . انه جميل كحركة ، او كفعل ، جميل كحدث ، ولكنه قبيح اذا كان جمودا مغلقا او توقفا انتهائيا ، او يكتسب كما لو كان واجبا يؤدى . ان الشكل نهاية وموت ، والتشكيل حياة .

كل هذا يدرك عند نمو اي عمل فني كثير البدائية . فالنمو البعدي لهذا العضو ، يسمح لنا ان ندخل في تصور آخر :

ان المسيرة الخلاقة التي تلتزم السير في طريق واسع جدا ، تجعلنا ننتبه انفسنا الى انها انتقال موحد الشكل وغير موافق: فكيف نشرح بسير مغلق اذا كانت الطريق هي الجوهر الوحيد للعمل الفني !

وجب اذن ان يتعقد هذا الطريق ويتفرع بشكل متير ، ان يصعد وينزل ، ويحدث فجوات ، ان يتدفق او يمتزج ، ان يتمدد او يتقلص ، ان يخف او يثقل .

ان الامر يتعلق باهتمامنا بها ، حيث نضعها بين مختلف اقسام هذه المسيرة ، حتى تشكل انسجاما ، وبمعنى آخر ، يمكن أن يعانق امتدادها كما لو كان عضوا فرديا . ولكن انسجام العمل الفني يسهل تعريف الانتاج ، وتطور تنفيذه (العمل الفني لا ينفصل عن تاريخه) يتكون من نسب اولية ، تربط بين الاجزاء نفسها وبين المجموع . ان كل تنفيذ للعمل الفني هو علاقة للخاص بالعام (1) .

---

1) وباعتبار الحسابية Calculabilité التي تظهر في العلاقة بين مختلف الاجزاء فيما بينها ، فان الاعمال الفنية المعمارية ليست بالنسبة الى المبتدىء اكثر سرعة من اللوحات او « الطبيعة » . واذا فهمت الخاصة العددية اللازمة للفكرة العضوية ، فان دراسة الطبيعة يمكن أن تتم بسهولة كبيرة وفهم جيد . نعم ، ان خصوبتها تتحقق كثيرا وبعطاء كبير ، حسب تعقيدها اللامنتهي .
اننا نبدا بحياد عن اتجاهها ، لاننا لا نرى الا تفرعها الوحيد ، من غير ان نتوصل الى الغصون والجذوع . واذا ادركناه ، فاننا نكتشف فيها تكرار الناموس العام ، وذلك الى آخر ورقة صغيرة فيها . ان الفائدة التي نحصل عليها ، لا علاقة لها بالتشكيل الحسابي . (اليوميات 1903) «بول كلي»

وهكذا يصير العمل الفنـي مقسما الى قسمين : ما ورائيتـه ، وهو نفسه .

فلنتصور اذن شكل « طبيعة ميتة » اقل مـن تصورنا للتشكيل . ولنأخذ الطريق بقوة ، ولنتعلق بدون انقطاع فى الانبثاق الفكري الاولي .

هذا هو الطريق المنتج ، فالجوهر ، والصيرورة ، هما الطريـق الذي يبقى فوق الكائـن .

ان الخلق يحيا كتكوين تحت المساحة المنظورة ، تحت غلاف العمل الفني ، ومن هنا ما تراه الطبيعـة العقلية فى الماضي . ولكنها حين تتوسـع ، لا ترى فى المستقبل الا الطبيعة الخلاقة . واخيـرا ، فان كـل شيء الى هلاك ، اما ما يبقى من الماضي ، من الحياة، فهو العقل . والعقلي فى الفن ، هو اقوى ما فيه مـن فنية . ان ضرورة وجود المطلق فى الفن ، هي نفسهـا التي توجد فى كل اتجاهات العمل الفني (1) .

بـول كلـي

ترجمها بتصرف : محمـد السرغينـي

---

(1) هذا فصل ترجمته من كتاب : « نظرية الفن المعاصر » لبول كلي نفسه Paul Klee

ولد بول كلي الالماني München Buchrie قريبا من بيرن سنة 1869 ومات فى Murafto قريبا من Locano بالسكتة القلبية ، سنة 1940 . كان مهتما بالموسيقى كابيه ، وكان يعزف علـى الكمان ، وبعد حصوله على الباكالوريا تحول الى اكاديميـة ميونيخ لدراسة الرسم ، حيث بقي فيهـا من 1898 الى 1901 . وبعد سفره الى ايطاليا سنة 1902 تخصص فى النقش . وكانت أول اقامة له بباريس سنـة 1905 وانتقل بعدها الـى ميونيخ سنة 1911 حيث التقى بكاندينسكي وشارك فى معارض Blane Reiter . ووقع تحت تأثير التكعيبية حينما كان فى باريس سنة 1912 . وفى 1914 سافر الى تونس ، فكان ذلك نقطة تحول فى اسلوبه ، ولقد كان القيروان اهم ما اثار انتباهه. وعين استاذا فى Bauhaus فى مدينة ويمير ، 1921 وبقي فيها الى ان نقلت الى مدينة ديسو سنة 1926 . فى هذا الوقت كان موزعا بين انصـار التجريد الخالص والسوريالية . وفى 1931 عيـن استاذا فى اكاديمية دوسلدورف . وحينما اندلعت شرارات النازية ، التجأ الـى بيرن ، وشـارك فى معرض ميونيخ المسمى L'art dégénéré سنة 1937 . ومات فى 29 يونيو 1940 . ونقش على قبره ما كان قد كتبه فى مذكـرتـه :

ليس هناك فى العالم ، ما يشدنـي
لاني كما أقيم بين الاموات
كذلك ، اقيم بين الذين لما يولدوا بعد .
قريبا من قلب الابـداع الذي لا يبلـى
ومع ذلك ، فانـا منـه بعيـد .

Bauhaus مؤسسة للتعليم المعماري والفنون التطبيقيـة ، اسست فى ويمير على يد كوربيوس سنـة 1919 وانتقلت الى ديسو الى سنة 1932. وعند قيام النازية التجأ اغلب اساتذتها الى اميريكـا حيث اسس واحد منهم : موهولي ناجي بوهوس فى شيكاغو New Bauhaus التي تحولت الى: Institut of Design

المراجع : Théorie de l'art moderne, Paul Klee
La peinture contemporaine, Robert Genaille
Grand Larousse

المؤتمر التاسع والعشرون للتربية والتعليم

للأستاذ: عبد اللطيف خالص

كان للتطور العظيم الذي طرا على العلاقات الدولية منذ اواخر القرن الماضي اطيب الاثر فى نفوس ابناء هذا العالم واجمل العواقب على الانسانية فى هذا القرن العشرين ويتجلى هذا الاثر الطيب كما تتجلى هذه العواقب الجميلة فى تقوية الاتصالات بين بني الانسان وفى تعزيز الروابط بين سكان المعمور الذين اصبحوا يتصلون ويتعارفون رغم بعد الديار وتباين الاقطار واختلاف القارات ، وقد نتج عن تعدد هذه الاتصالات وتحقيق هذا التعارف والترابط تعاون متين بين جميع ابناء البشر وتبادل المساعدات فى مختلف ميادين الحياة سواء كان الامر يتعلق بالاقتصاد والاجتماع او كان الشان يتصل بالسياسة او الثقافة .

وقد تعدى هذا التعارف طور الاتصالات الثنائية الى طور الاجتماعات العالمية حتى ان الاتفاق الذي تعقده دولتان لم يعد الا جزءا ثنائيا من معاهدة دولية او تنفيذا لتوصية وافق عليها مؤتمر من المؤتمرات الدولية او طبقا لملتمس صادقت عليه ، فى المرحلة الاولى احدى المنظمات العالمية .

ويتمثل هذا الاحتكاك بين الامم والالتحام بين الدول فى المناظرات الدولية التي تعقد فى هذه البلاد او تلك وفى المنظمات الدولية العديدة التي تدخل فى اطار هيئة الامم المتحدة او فى المجالس والمنظمات المتفرعة عنها كما يتمثل هذا التواطؤ بين الشعوب فى الاجتماعات الاقليمية التي تنظمها مجموعة من الدول فى احدى القارات او داخل اقليم من الاقاليم الجغرافية او السياسية المعلومة .

وهكذا اصبح عالم القرن الرابع عشر الهجري يزخر بعدد من المؤتمرات الدولية التي لا تحصى ويتدفق بالاجتماعات العالمية التي لا تستقصى حتى صار من العزيز على بعض الدول المساهمة فى كل هذه المهرجانات الاممية نظرا لوفرتها .

واذا افتخرت السياسة الدولية بمهرجاناتها المتعددة التي يتجلى نموذجها الاعلى فى الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة التي تنعقد دوراتها فى مطلع فصل كل خريف وتاهت الثقافة والفنون والمعارف بمؤتمراتها الزاخرة التي تأخذ قوتها الاولى من المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو) التي تعقد جلساتها العادية فى شهري نونبر ودجنبر من كل سنة واعتزت الشؤون الاقتصادية والمالية باجتماعاتها التي لا حصر لها ولا عد والتي ينفخ فيها الروح صندوق النقد الدولي فان للتربية والتعليم فى الندوات الخاصة بدراسة قضاياهما منبع فخار لا ينضب ومعين اعتزاز لا يغيض الشيء الذي يدل على ان التربية والتعليم اصبحا محل اهتمام مختلف الامم والشعوب . وكيف لا يكون الامر كذلك وقد اضحت مشاكل التربية جزءا من النمو الاجتماعي والتطور الاقتصادي فى مختلف الاقطار المتقدمة منها والنامية ؟ وكيف لا يكون الامر كذلك ومصير العالم وقف على ازدهار الفكر البشري وتطور العقل الانساني الذي لا يمكن ان يتحقق الا بواسطة تعليم يتمشى وروح العصر والا عن طريق تربية تعد الانسان لمواجهة الحياة فى المستقبل بكل تطوراتها وتقلباتها ومغامراتها واكتشافاتها العلمية ؟ وكيف لا يكون الامر كذلك وقد غدت التربية والتعليم فى هذا القرن عبارة عن استثمار راسمال بشري يوازي مختلف انواع الاستثمارات الاخرى ان لم يفقها ويتجاوز اطارها ؟

اجل ، ان للتربية والتعليم مهرجاناتهما الدوريه وندواتهما السنوية ومناظراتهما الموسمية ، ولعل اروع

هذه المؤتمرات والاجتماعات المهرجان العالمي للتربية الذي ينظم في مطلع كل صيف بمركز المكتب الدولي للتربية في مدينة جنيف والذي يحضره رجال التعليم والتربية من مختلف انحاء العالم وتدرس اثناءه قضايا تربوية صميمة في جو من الصراحة والتفهم وبنوع من الخبرة والحنكة قلما يتحققان في مؤتمرات عالمية اخرى والذي يعتمد في مناقشاته على التجارب العديدة التي عرفتها بعض الشعوب .

وكما جرت العادة منذ ما يزيد على ربع قرن ، انعقد في مطلع الصيف الماضي المؤتمر الدولي التاسع والعشرون للتعليم العمومي بمشاركة مندوبين يمثلون تسعين دولة وكان جدول اعمال هذه الدوة يحتوي على ثلاث نقط اساسية هي :

1) تنظيم البحث التربوي .

2) رجال التعليم في الخارج .

3) الحركة التربوية في العالم خلال السنة الدراسية 1965 — 1966 .

وقد مثل بلادنا في هذه الدورة ، نظرا لاهمية المواضيع المدرجة في جدول اعمالها ، وفد تركب من السادة :

الناصر الفاسي — عبد القادر العراقي — جمال الدين الكراوي — وكاتب هذه السطور .

والحقيقة أن هذا المؤتمر التربوي كان فرصة سمحت لبلادنا بالوقوف على ما يجري في العالم من تجارب تربوية جليلة وما توصلت اليه دول كثيرة من حلول وطرق لمواجهة عدد من الصعوبات التي تقترب ، في كثير من الوجوه ، مما يعترضنا من مشاكل عويصة في ميدان نشر التعليم وتطور اساليبه وتحسين مناهجه والاستفادة من الطرق التربوية الحديثة وتحوير بعض البرامج .

واذا كان المغرب قد استفاد من التجارب التي عرفتها بعض الدول والطرق التي اختارتها بعض الشعوب من مختلف أرجاء العالم فان المغرب قد اغتنم هذه الفرصة كذلك ليقدم للمشاركين في هذا المهرجان الدولي عرضا ضافيا عن المنجزات التربوية التي حققها خلال السنة الدراسية 1965 — 1966 فقد قام الوفد المغربي بتوزيع تقرير مطبوع يحتوي على نشاط بلادنا التعليمي تعززه احصاءات دقيقة عن عدد الاطفال الذين تم قبولهم بالمدارس العمومية وعدد المعلمات والمعلمين والاساتذة الجدد وعدد البنايات المدرسية الحديثة ومبلغ الاعتمادات التي تخصصها الدولة للتعليم وشؤون التربية والآفاق التي يمكن أن يتطور في اطارها التعليم الوطني في بلادنا .

وقد اعجبت الوفود المشاركة في المهرجان التربوي بهذا التقرير المغربي وأولته المزيد من العناية والاهتمام يدل على ذلك الاسئلة التي وجهها بعض رجال التعليم والتربية ، كتابة ، وشفاهيا الى الوفد المغربي كممثلي الجزائر الشقيقة وفرنسا والكامبودج ومدغشقر وكوبا، وقد تكفل الوفد المغربي بالجواب عن هذه الاسئلة التي حصرها في ثلاث نقط هي :

1) تنظيم وزارة التربية الوطنية بصفة عامة ووظيفة اجهزة التنسيق الادارية .

2) توجيه الطلبة والعلاقات بين التخطيط التربوي والتكوين المهني .

3) تكوين الاطارات الفلاحية .

ويمكن تلخيص الاجوبة التي كانت ردا على جواب المندوب الفرنسي حول تنظيم الوزارة من الوجهة الادارية ووجود لجنة للتنسيق بين مصالح التعليم العالي وادارة النشاط الجامعي بأنه لا توجد لجنة يعهد اليها بالتنسيق بين الادارتين المذكورتين وان دور التنسيق يرجع الى الكتابة العامة بوزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة والشبيبة والرياضة هذه الكتابة العامة التي تخضع لها جميع اجهزة التنسيق التي تعمل داخل الوزارة .

وبعد أن شرح الوفد المغربي العلاقات بين مختلف الادارات التي تسهر على سير التعليم في بلادنا انتقل الى الحديث عن النقطة الثانية المتعلقة بالتوجيه المدرسي والتي اثارها مندوب الجزائر الشقيقة والعلاقات بين التخطيط التربوي التكوين المهني التي استفسر الوفد المغربي في موضوعها مندوبا مدغشقر والكامبودج فتكلم عن مختلف مراحل التوجيه التي يجدها المتعلم المغربي في طريقه المدرسية منذ دخوله الى السنة الاولى من التعليم الثانوي الى دخوله الى الطور الثاني من هذا التعليم والتي تنتهي بمرحلة ثالثة عندما يلج الطالب ابواب التعليم العالي .

وتعتبر هذه المرحلة اهم المراحل في توجيه الطلبة لانها تتعلق بحاجيات المغرب الى الاطارات العليا وافتقاره الى الاختصاصيين في مختلف ضروب المعرفة النظرية والعملية ، ولعل هذا ما جعل التوجيه في هذه المرحلة يكتسي اهمية كبيرة حيث تشرف عليه لجنة تتركب من ممثلين عن وزارة التربية الوطنية وسائر الوزارات الاخرى ، وتلعب نيابة كتابة الدولة في تكوين الاطارات دورا خطيرا في هذا التوجيه اذ يعتمد عليها في احصاء حاجيات البلاد الى مختلف الاطارات والفنيين .

والحقيقة ان اهمية العلاقات بين التخطيط التربوي والتكوين المهني تتجلى بوضوح في هذه المرحلة اذ كيف يعقل وضع تخطيط للتعليم دون الوقوف على حاجيات مختلف القطاعات الرسمية والحرة التي يتوقف على حسن سيرها وقيمة انتاجها نهوض بلادنا وخروجها من وهدة التخلف الاقتصادي والانحطاط الاجتماعي وعروجها الى مدارج الرقي الانساني والازدهار العمراني والواقع ان التفكير في انشاء نيابة كتابة الدولة في التكوين المهني لم يتحقق الا للوصول لهذه الغاية السامية التي تتلخص في تحديد حاجيات البلاد واحصاء الوظائف الفنية والتقنية التي يتوقف عليها نموها وازدهارها حتى يتمكن المسؤولون عن التعليم من تكييف التعليم حسب هذه الحاجيات ومسايرته لما تفتقر اليه البلاد لان التطور العلمي الذي يعرفه العالم في هذه الايام يفرض على التعليم والتربية الاستجابة لهدف عملي والخضوع لغاية تطبيقية ومسايرة الازدهار الاجتماعي والتطور الاقتصادي في اية امة من الامم . وهكذا يتعين على كل امة تسعى لتحقيق اكتفائها الذاتي من حيث الاطارات وتوازنها الاقتصادي والاجتماعي وذاتيتها الثقافية والمهنية ان تعمل على تكوين الاطارات التي تفتقر اليها قطاعاتها الاقتصادية والفلاحية والسياحية والتربوية وغيرها حتى تضمن لها توجيها وطنيا سليما ينأى بها عن التأثر السياسي والتوجيهات الاجنبية التي يمكن ان توحي بها افكار المساعدين الاجانب فالامة المستقلة ، حقا ، هي التي توجه اقتصادها كما تشاء وتعطي لتعليمها الاتجاه الذي ترضاه وتنفخ في مشاريعها الاقتصادية والاجتماعية الروح التي تريد أن تسري في اعماقها وتتغلغل في احشائها . ولن تستطيع اية امة مهما طال باعها واشتد ساعد ابنائها وتوفرت على امكانيات مادية وبشرية زاخرة أن تحترز من الغزو الفكري الاجنبي وتتحرر من التوجيه اللا وطني الا اذا كان القابضون على زمام حياتها الاقتصادية والاجتماعية والتربوية لا ينتمون لشعوب غريبة عنها في الوجه واليد واللسان .

وقد شعر المغرب بهذه الحقيقة الصارخة منذ الاستقلال فاخذ يعمل على استرجاع هذه القطاعات ، الواحد تلو الآخر ، من الايادي الاجنبية . فقد شرع ، بادىء ذي بدء ، في تحرير ترابه الوطني من الاحتلال الاجنبي ثم واصل عمله بجلاء القوات الاجنبية عنه واسترداد القواعد العسكرية ثم اخذ يستولي شيئا فشيئا على القطاعات الحيوية من تعليم وقضاء وطب واقتصاد وسياحة وفلاحة . وبما ان غالبية انتاجنا الوطني من الفلاحة فقد اتجه المغرب اليوم الى تحرير هذا القطاع والقيام باصلاح زراعي يرد للمواطنين اراضيهم ويعطي لبعض الفلاحين الفقراء قطعا ارضية يستثمرونها لصالحهم ، اولا ، ولصالح الوطن وبقية المواطنين ثانيا ولكن اصلاحا عاما من هذا النوع لا يمكنه ان يعطي النتائج المرجوة الا اذا كانت الايدي الوطنية التي تخلف الايادي الاجنبية عليمة بالطرق الفلاحية الحديثة خبيرة بالشؤون المتعلقة بهذا القطاع الحيوي الهام . ولعل هذا ما يفسر الاهتمام الذي توليه الحكومة المغربية الى التعليم الفلاحي الذي يوجه اليه بعض التلاميذ عند نهاية الطور الاول من التعليم الثانوي والذي يحتوي على اربع ثانويات كبيرة تضم ما يقرب من الفي تلميذ وتتخرج منها اطارات متوسطة يمكن ان يعهد اليها بمساعدة الفلاحين الذين يشملهم الاصلاح الزراعي واذا كان الطور الثاني من التعليم الثانوي يعرف هذه الثانويات الاربع التي يمنح المتخرج منها شهادة التقني الفلاحي فان المغرب يتوفر كذلك على مدرسة وطنية فلاحية كبرى يتدرج في سلك التعليم بها الطلبة الحاصلون على شهادة البكالوريا في الرياضيات او في العلوم التجريبية حيث يحصلون في نهاية الدراسة بها ، على شهادة مهندس فلاحي تمكنهم من العمل على توجيه النشاط الفلاحي في بلادنا ودفع عجلة هذا الاصلاح الزراعي الى الامام وجعله يحصل في نهاية الامر على النتائج المثمرة المنشودة ويحقق الامال الكبيرة المعقودة عليه وهي تحرير الفلاحين ورفع مستواهم والزيادة في الانتاج الوطني .

لقد حقق المغرب مشاريع عظيمة في ميدان تطوره الاقتصادي ونموه الاجتماعي . وقد كان في امكان هذه المشاريع أن تظهر نتائجها على مجموع المواطنين ولكن تخلفنا المؤلم في هذا الميدان وفي غيره والتوسع الديمغرافي المهول يقفان حجر عثرة في طريق كل نمو ويغطيان الوجه الحقيقي لكل مشروع وكل

نتيجة الشيء الذي يجعلنا لا نشعر الا قليلا بالتطورات الحسنة التي تطرأ ، بكيفية حثيثة على حياتنا اليومية ان محاربة التخلف الاجتماعي لا تتم بالمشاريع الاقتصادية وحدها مهما عظمت هذه المشاريع ولكنها تتطلب تجنيد المواطنين داخل حركة اجتماعية تعمل على بث الوعي الوطني في النفوس وتغرس في نفوس المواطنين بذور اصلاح اجتماعي يشمل مختلف الميادين الخلقية والتربوية والجنسية وفي مقدمتها الشعور بتكاثر النسل وفساد التربية ومحاربة اللا مبالاة وغزو العقول الآفنة والقضاء على التفكير الرجعي الذي يتشبث بالعادات الاجتماعية التي عفى عليها الزمان وقضا عليها تطور بني الانسان .

لقد كان المؤتمر العالمي التاسع والعشرون للتعليم العمومي فرصة وقف العالم كله اثناءها على مجهودات بلادنا في ميدان التربية والتعليم والتكوين المهني كما كان هذا المهرجان الدولي الذي استغرق عشرة أيام مناسبة كريمة مكنت المغرب من معرفة التجارب الحديثة التي تقوم بها كثير من الاقطار في الميدان التربوي . وقد كان هذا المؤتمر بعد هذا وذاك ملتقى لمناقشات عديدة مفيدة حول قضايا تربوية مهمة كالبحث التربوي ورجال التعليم في الخارج ، فما هو هذا البحث التربوي ؟ وما هي النتائج التي توصل اليها المؤتمر في هذا المضمار ؟ وكيف تعرض المؤتمر لقضية رجال التعليم وحاجة اقطار كثيرة اليهم ؟ وهل اعتبر المؤتمر مصالح هؤلاء الجنود المجهولين او مصالح الدول التي تبعث بهم أو مصالح الدول التي تستقبلهم وتتمتع بخدماتهم الجليلة ؟

تلك اهم الاسئلة التي يمكن أن تخطر ببال كل من حاول الاطلاع على ما حققه هذا المؤتمر ، وقد أرجأت الكلام عنها الى حلقات مقبلة نظرا لصبغتها الفنية من جهة ونظرا لكوني خصصت هذه الحصة للكلام عن المؤتمر بصفة عامة وعن بعض المشاعر والارتسامات المتعلقة به بصفة خاصة .

الرباط : **عبد اللطيف احمد خالص**

فلسفة في البخل

روى (الجاحظ) في (كتاب البخلاء) : ان بعضهم قعد في بيته وامر مملوكه قائلا :

— احضر الطعام ، واغلق الباب !

فقال له المملوك (وكان عارفا باخلاق سيده وشدة بخله) :

— لا يا سيدي ان ترتيب العمل على هذا الوجه يؤدي الى ما تكره من دخول زائر او طارق مفاجىء وبين يديك الطعام .. فالوجه الصحيح انني اغلق الباب أولا لنأمن تلك المفاجئات ثم ناتي بالطعام بعد ذلك فتاكله هنيئا مريئا ..

فلما سمع الرجل تلك الكلمات من خادمه عرف فيها راس الحكمة وعين السداد ، فابتسم له وقال :

— لله درك ايها الغلام .. اذهب فانت حر لوجه الله واعتقه جزاء فلسفته في البخل !



بقلم: عبد اللطيف بالمختار

انا وانت والآخر يكون كل واحد منا فردا من المجتمع ...

المجتمع هو مجموعة من الناس ، مجموعة من الاسر ، بعاداتها وتقاليدها ، بأفكارها ومطالبها ، بمعاملاتها الصغيرة والكبيرة ، بتبادل المصالح على جميع مستوياتها ... ...

المجتمع هو مجموعة من الناس تأخذ وتعطي ، احيانا تأخذ اكثر مما تعطي ، واحيانا تعطي اكثر مما تأخذ ، وفي كلتا الحالتين فان ذلك لا يتعدى اطار المجتمع الذي خط لنفسه قوانين وعادات ومصالح ...

فالسفسطائيون من فلاسفة الاغريق كانوا يقولون بأن المجتمع شيء ليس من صنع الطبيعة ، ولكنه من اصطناع الانسان ... ...

الانسان هو الذي يعطي للمجتمع ، وهو الذي يأخذ منه .

والفيلسوف الانجليزي هوبز كان يرى أن المجتمع يتضمن عقدا غير مكتوب بين افراد المجتمع ، فأنا وانت والآخر لابد لنا من معاملات ، ومعاملاتنا هذه — وكيفما كانت — لا تتم الا مع الآخرين .. ان بيني وبينك وبين الآخرين عقدا غير مكتوب ... يسمى المجتمع .

اما الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت فكان يرى ومعه الفيلسوف الانجليزي اسبنسر والفيلسوف الالماني هيجل ، ان المجتمع كجسم الانسان والافراد خلاياه ، وراح فلاسفة آخرون يبحثون عن مخ واعصاب ...

ولن ندخل هنا في تفاصيل جزئية لا يتسع المقام لسردها ، ولكن يكفي اننا عرفنا أن الانسان يكون فردا من المجتمع وانه خلية من خلايا جسم لا يفنى ابدا ، ولكنه ينمو باستمرار ويتطور ...

واذا كان علم الاجتماع قد اصبح علما قائما بذاته فان من مواده الاولى دراسة التطورات المجتمعية التي حصلت ابتداء من ظهور الانسان ...

وهذه التطورات تقترن في غالب الاحوال بوسائل الانتاج التي كان يطمح الى تحقيقها الانسان حتى يطور اسلوب حياته ومعيشته ، وحتى يحقق الرغبات والمطامح التي تتوق اليها نفسه ، وحاول جاهدا ان يصل اليها ...



ونظرة على الاسلوب الحياتي الذي كان يعيشه الانسان من قبل ، وعلى الوسائل التي كان يعمل بها هذا الانسان ، نرى الفرق الواضح والشاسع الذي افاد منه المجتمع والانسان معا ...

ولا بأس ان انقل هنا لوحة تبين الخطوط الكبرى لتطور القوى المنتجة ، وتبرز في آن واحد الخبرات الكبيرة التي حصل عليها الانسان منذ اقدم الازمان ... ...

والشيء الملاحظ ونحن نستعرض خطوط هذه — اللوحة — ان الانسان يفضل ان يرتقي بمداركه الى اعلى ، وهو عندما يفعل فلان ذلك ناتج عن رغبة طبيعية يعمل على نهجها وتحقيقها لنفسه وللمجتمع ... ...

تقول اللوحة :

« انتقل الانسان من الادوات الحجرية الغليظة الى القوس والسهام ، وبالتالي من الصيد الى استخدام

الحيوانات وتربية المواشي بشكل ابتدائي ، ثم انتقل من الادوات الحجرية الى الادوات المعدنية ، الفأس الحديدية ، المحراث المجهز بسكة مصنوعة من حديد ... الخ .

ثم انتقل الانسان بعد ذلك الى غرس النباتات الى الزراعة ... وهنا عمل على اجراء تحسين جديد فى الادوات المعدنية لاجل صنع مختلف المواد ، وظهور الكور ذي المنفاخ ، وصناعة الاواني الفخارية وبالتالى تطور الحرف ، وانفصالها عن الزراعة فيما بعد ، وتطور الحرف المستقلة اولا ثم المانيفاكتوره ثانيا .

ثم انتقل الانسان بعد ذلك من ادوات الانتاج الحرفي الآلة ، وتحويل الانتاج وظهور الصناعة الميكانيكية الكبرى ...

هذه — اللوحة — السريعة والعابرة حرصت على ان انقل اهم ما فيها حتى ابرز للقارىء ان من اهم صفات المجتمع التطور الدائم ، الذي لا يقف عند اي مرحلة ابدا ...

وما دام الانسان يتوق الى تحقيق هذا التطور فان المجتمعات فى كل مكان ستبقى تشهد تغييرات جذرية وشاملة ...

ان المجتمع الذي يستقر عند حال واحد مجتمع ميت ... ...

والمجتمع الذي يطمح الى التبديل والتغيير او بصفة عامة يطمح الى التطور ، هذا المجتمع يحقق حياته ، لا تهمنا نوعية هذه الحياة ولكن يكفي أن تكون من بين عناصرها الاستمرار والخلود، والمجتمع المستقر او الميت لا يمكن ان تشم منه سوى رائحة الموت، وهذه الاخيرة لا تتوفر على عناصر يمكن ان تضيفها اليها ...

ولذلك لا ياخذنا العجب عندما نرى بعض المجتمعات اليوم لا تستقر على تطور واحد معين ولكنها تعمل على اضافة تطورات أخرى جديدة ... انها ترغب فى أن تجدد حياتها وكيانها ، انها تسير على منهج طبيعي خلقته سنة الكون ابتداء من المشاعية الابتدائية ...

❋

واذا كان الانسان قد فكر ابتداء من ظهوره على هذه البسيطة فى وسائل للانتاج تعينه على تحقيق مطالبه ورغباته ومطامعه ايضا ، فان هذه الوسائل الانتاجية وحدها لا تكفي .. لان الانسان اذا اتفقنا عليه مسبقا وفى اول هذا الكلام انه يكون عضوا من اسرة ، والاسرة فى مجموعها تكون افرادا من جماعة، والجماعة هي الخلية التي يتكون منها المجتمع ادركنا ان كل انسان يدخل فى محاورات بيع وشراء وتبادل مع الآخرين فى هذا الانتاج ...

انا اكتب مثلا ليقرا لي الناس ...

انت تصنع حذاء ليلبسه الآخر ...

هو فتح عيادة طبية لاعرض نفسي عليه اذا ما اشتكيت من مرض ! وهكذا .. عمليات ومصالح متبادلة ، كل فى دائرة اختصاصه ... والمجتمع الحي هو الذي يفتح لابنائه جميع هذه الاختصاصات ...

والمجتمع الحي ايضا هو الذي ينتفع بكل هذه — الاختصاصات — او العمليات ايضا ...

واذا كان الانسان فيما سبق من الازمان يكتفي بمعاملات محدودة على مستوى الافراد ثم على مستوى القبيلة من بعد ، فان هذه المعاملات قد اتسع نطاقها اليوم واصبحت بالاضافة الى كونها تتم على مستوى الافراد فانها تتم ايضا على مستوى الامم ، بعد ان تدخلت الدولة فى توجيه مجتمعاتها .

وبعد ان كان التطور الطبيعي لسنة الحياة سببا من اسباب هذا التدخل الحتمي ... فازدياد سكان مجتمع ما ، معنى ذلك ازدياد مشاكل واتعاب ومطالب ومتمنيات هذا المجتمع ...

ولذلك ... كان لابد من تدخل ..
او بلغة تعبير احسن كان لابد من توجيه ...
لابد من نظام ...

❋

لا اريد هنا ان اتحدث عن تطورات المجتمع السابقة ابتداء من المشاعية الابتدائية الى نظام الرق ... وهنا اقف وقفة لاقول ان فى ذلك الوقت اصبح نظام الرق اساس كل انتاج وعلم الاجتماع يقول ان عدد العبيد فى ذلك الوقت فاق عدد السكان الاحرار اضعافاعدة ...

وهنا لا بأس ايضا من ذكر بعض الارقام .

فى اثينا كان يوجد بها 365 الف عبد مقابل 90 الف حر ... وفى كاربثيا 460 الف عبد مقابل 46 الف من الاحرار ، او بعبارة ثانية اغنياء وفقراء ، مستثمرون ومستثمرون — لفظان يلتقيان فى الكتابة ولا يلتقيان فى

المعنى — اناس لهم كل الحقوق ، واناس ليس لهم اي حق ...

والتاريخ يحكي لنا ان سبارتاكوس (Spartacus) قام متمردا ضد هذا الاستثمار من سنة 73 الى سنة 81 قبل الميلاد ، وكان مصيره الفشل ... ...

وبعد نظام الرق او استثمار العبيد شهد المجتمع بصفة عامة نظام الاقطاع في الشرق والغرب وقد كان قائما على استنزاف خيرات الفلاحين واضطهادهم .

وتشهد المجتمعات اليوم نظما بين راسمالية واشتراكية ... ولن ادخل في هذه العجالة في الحديث عن كل واحد منهما لانه حديث متشعب ويحتاج الى حديث وربما الى احاديث مستقلة ...

وهنا لا اخفي شيئا وهو ان كثيرا من المجتمعات اعتنقت المبادىء الاشتراكية فمن بعض طريقها تأمل في تحقيق تطور كبير وشامل ...

والمجتمعات المتخلفة اليوم كانت سباقة في نهج واتباع هذه المبادىء ..

ولن ادخل هنا ايضا في اسباب نجاحها او فشلها لانه ليس هنا مقام ذلك ..

*

وكل واحد يكتب عن المجتمع لا ينسى ابدا القرن الثامن عشر ...

ففي هذه الفترة اصبحت فرنسا مهد الفكر ، وتبادل الآراء وخصوصا منها السياسية .

وادرك الانسان ان حياته يجب ان تأخذ طريقا جديدا او اتجاها واضحا ، فكان ذلك بداية لزوال النظام الاقطاعي و — بالتدريج — في أوروبا .

وبعبارة أخرى فقد تبلورت مقاصد وافكار الانسان في ذلك الوقت وحقق المجتمع خطوة كبرى في ميدان التقدم واستعادة الحقوق ...

*

ان امام كل مجتمع اليوم عدة مشاكل

انا هنا لا استثني المجتمعات لان كل واحد منها يتوفر على مشاكل من نوع خاص ... ولكن في امكاننا ان نقول ان كل المجتمعات تسير في حلقة التسابق .

واذا كانت المجتمعات المتخلفة تشتكي وفي النصف الثاني من القرن العشرين من الجوع كما يحدث اليوم في الهند ، وبعض الدول الاخرى التي يكثر فيها النسل فان مجتمعات أخرى تشتكي من التخمة !!!

ولن يهدأ بال المجتمعات التي تشتكي من التخمة الا بعد ان تعرف كيف تصرف خيراتها الزائدة وتعوضها بأخرى تنفعها ...

عمليات متبادلة بدأت على اصغر نطاق في المجتمعات البدائية ، واتسع نطاقها حتى وصل الى ما نشهده عليه الان ..

ان من طبيعة اي مجتمع انه يتطور ... ...

الرباط — **عبد اللطيف مختار**

بقي بين الدور ... والابواب !!

أسخطت اخواني ، واخفق مطمعي
فبقيت بين الدور والابواب !

ابن الرومي

نظرات في معضلة الترجمة

بقلم كلود ايلسون
تعريب الأستاذ عبد الرحمان بنعبد الله

... فى السطور التالية حلقة ثانية تضيف جديدا الى ما تضمنته الحلقة الاولى وتلقي بعض الضوء على معضلة الترجمة من الوجهة الفنية والدياليكتيكية ، كما تقترح من الحلول ما تمس اليه الحاجة فى الظروف الحاضرة ، حفاظا على سمعة الترجمة وروح الانتاج المنقول ...

المعرب

تشمل حركة النقل الى الفرنسية ، فى كل سنة الفي كتاب اجنبي معظمها آثار أدبية . وقد شملت القصة فيها الى عهد قريب حيزا كبيرا ، قبل ان ينصرف القراء عن هذا اللون من الادب الى غيره من الآداب الواقعية ، مما يسميه الناطقون باللغة الانجليزية ادب الواقع او الادب الذي يبتعد عن الخيال. وغدت اللغة الفرنسية غنية بما ينقل اليها كل يوم من آثار العبقريات الاجنبية حتى انك لا تكاد تجد كاتبا من نوابغ المفكرين الاجانب لم تترجم كتاباته الى هذه اللغة بيد أننا نلاحظ بمزيد الاستغراب والاسف ، أن عمل الترجمة والنقل ، بما يعتوره من مصاعب وعراقيل على الصعيد الفني والادبي ، يستوجب حلولا جدية ناجعة لم يفكر احد فى البحث عنها لاسباب نود ان نعرض لها بالتحليل فى السطور اللاحقة .

لا جدال فى ان مهنة الناقل كمهنة الكاتب ، وأن ترجمة المقال أو الكتاب تفرض على الناقل كتابة النص من جديد بصورة يسهم فيها مع الكاتب فى خلق الانتاج ، وفى نظرنا أن احاطة الناقل باللغة التى ينقل اليها أمر حيوي قد يفوق فى اهميته احاطة الناقل باللغة التي ينقل منها ، ومن سمات الترجمة الصحيحة سلامة النص من العجمة والركاكة ، فهناك من « المترجمات » ما يكتبه النقلة بلغات دخيلة لا تمت الى الاصالة بأدنى صلة ، وليست هي باللغة الفرنسية او الانجليزية او العربية او غيرها من اللغات « المحترمة » . وقد ألمعنا فى مقال سابق الى أن الترجمة التي تكتب بأسلوب شبيه بأساليب الافلام المترجمة كالمعزوفة التي تؤدى بطريقة يمجها الذوق ، كلتاهما تقتل الانتاج . ذلك أن النقل يتضمن جانبا من التحويل والتهذيب والتطويع يقتضي المام الناقل بصناعة القلم .

ليس الوفاء لمبادىء الترجمة الحق أن يتقيد الناقل بكلمات النص كاملة غير منقوصة . فكثير من امهات الكتب غدت ، بعد ترجمتها ، غفلا من اي مدلول ، لانها نقلت الى لغة أخرى بصورة حرفية .. ونحن اذ نسلم بأن لكل لغة معطيات وتعابير خاصة ، نرى ان من الاخلال البين بأسلوب اللغة اللجوء الى الترجمة الحرفية ، فليس الغرض الرئيسي من الترجمة نقل الكلمات والعبارات بقدر ما هو تحويل للافكار ، بكل مفاهيمها ، الى لغة ثانية أما الكلمات فلا تعدو أن تكون « وسيلة » من وسائل التعبير والافصاح . وأمثل الطرائق فى نظرنا أن يسائل الناقل نفسه عن الكيفية التي كان يصوغ بها الكاتب أفكاره لو تصدى لانتاجه باللغة المنقول اليها . ونحن لا نعرف أن هناك كاتبا واحدا أنكر على ناقله تحويرا نسبيا موقوتا بفرضه الحفاظ على روح الانتاج .

رب قائل : ان هذه بديهيات لا يختلف فيها اثنان . على أن الذي يحز في النفس ايمان جمهرة الناشرين بأن دور الناقل ثانوي ، لا يفوق في اهميتــه دور الناسخ أو آلة الاستنساخ بدعوى ان الكتب التي نقلت بصــورة مرتجلة قد لاقت رواجا كبيرا واعيد طبعها مرات عديدة . ولعل اغرب ما في الامر أن يعرض الناشرون هــذه المسودات على بعض المصححين لاعادة النظر فيــها وتصويب اخطائها .. وتحسين اسلوبها ! وبديهـــي ان الناشرين يستهدفون الكسب المادي قبل غيره ، فلو كانوا يتوخون اليسر فيما يقصدون لراجعوا مواقفــهم وعهدوا بمهمة النقل الى من هم اقدر عليها من النقلة. وفي اعتقادنا انه عمل لن يكلفهم اكثر مما ينفقون على انصاف المترجمين .

صحيح أن النقلة المقتدرين قليلون ... وقد يــزول العجب اذا علمنا أن الناقل الذي ينفق شهرين او ثلاثة اشهر في ترجمة نص يقع في ثلاثمائة صفحة ، قــد لا يكسب من عمله هذا اكثر مما تمنحه مجلات الاعــلام السنوية لصاحب خبر مثير ينشر في هذا الصنف من المجلات ، هذا بالاضافة الى أن المترجم الادبي لا يتأتى له ان ينقل اكثر من ثلاثة كتب في السنة ، الا اذا صرف كل اوقاته في هذا الضرب من النشاط ، وهو شيء مرهق عديم الربح ، والجدير بالذكر ان الاجر الذي يتقاضاه الناقل عن ترجمة امريكية او انجليزية لكتاب فرنســي يساوي اربعة اضعاف ما يدفع للناقل الذي يتولــى ترجمة كتاب امريكي او انجليزي الى الفرنسية ، اما في اليابان فيتقاضى النقلة اجورا مماثلة لاجور المؤلفين قد تبلغ 10 ٪ من ثمن بيع الكتاب ، وفي الاتحاد السوفياتي يخصص للناقل مبلغ يساوي معدل الاجر الشهري للعامل العادي مضروبا في عشرين ...

اما في بلادنا بصرف النظر عن المكاسب التــي حققتها الجمعيات المختصة منذ سنين ، فان المترجم لا يتقاضى اكثر من 3.000 الى 3.500 فرنك عن ترجمة كتاب يقع في ثلاثمائة صفحة !

ونتيجة لذلك ، فان المترجمين ــ بالمعنى الصحيح قليلون ، في الوقت الذي اصبحت فيه الحاجة ماسة الى نقلة مقتدرين ، لترجمة مئات الآثار الاجنبية التي تنزل الى الاسواق في بلادنا كل سنة . ونحن نلحظ بمزيــد الاسف ان الذين يلمون ــ ولو المامة خاطفة ــ بلغــة اجنبية الى جانب ما يتقنونه ، وهو ضئيل ، في اللغة المنقول اليها ــ يتصدون لنقل الآثار الاجنبية دون اعتبار لمبادىء هذا الفن وقواعده . وكم من قارىء يقتني عشرة كتب مترجمة فلا يكاد يفهم منها اكثر من اربعة او خمسة. ولعل الامر ليس كذلك الا لان الكتب العشرة قد تناولتها ابدي « المصححين » قبل نشرها بالتحوير والتصويب !..

على أن الذي يحز في النفس حقا ان عددا من الم الآثار تتعرض لكثير من المسخ والتشويه عند نقلها من لغة الى اخرى ، وتلك جناية لا تغتفر في حق الادب والادباء.

في مقال لي بعنوان « لاجواز للشعراء » تساءلت عــن الحــدود التــي تقف عندهــا الترجمة في الشعر واشرت الى ان بعض القصائد تستعصي على كبــار النقلة حتى ليصح ان نقول : ان جهودهم تكاد تنحصر في تطويع القصيدة المترجمة الى اللغة المنقولة اليها .. ولعله سؤال اثــار نقعا كبيرا ولا زالت للمعركة التي قامت حوله اصداء في اواسط النقلة والنقاد وعامــة القــراء .

والواقع ان الشعر ، كما يقول « بول فاليري » باقة من الكلمات وليس مجموعة من الافكار ، ودلالــة الشعر وثيقة الصلة باسلوبه ، والشيء الذي يــدل عليه او يوحي به رهين بالطريقة التي سلكها الشاعر في صياغته ، وغني عن القول هنا ان الذي ينقل الشعــر بصورة حرفية كالذي يؤدي بالبيان ــ مثلا ــ معزوفة موسيقية اعدت للكمان . ومثــار الاستغراب في ذلك ، الضجة التي قامت حول السؤال المطروح رغم توفــر الادلة على وجود الشعر الذي لا يقبل النقل الا على اساس التحوير والتطويع ، وانا اتحدى اكثر النقلــة لباقة واقتــدارا في بريطانيــا او المانيــا او ايطاليا او روسيــا او الصيــن ان ياتوا بترجمــة مرضية لاحدى قصائد فرلين او بودليــر او ابولينيــر . .

هل نستخلص مما سبق أن من الشعر ما يجــب العدول عن ترجمته ؟ اقول نعم ، ان كــان في ذلــك ما يصونه من الاسفاف والوضاعــة .. وانا اربا بنتــاج كبار الشعراء ان تتناولــه معاول الهــدم والتحطيم ، بدعــوى اشراك الجمهور وعامة القراء في تــذوق الآثار الادبيــة ، او غير ذلــك مــن المزاعم التي لا تقوم على سنــد صحيح .

في اعتقادنا ان النقد يجب أن يكون اكثر صرامة في تقييم الآثار المنقولة وأن من واجبات الجمهور أن ينبــذ المترجمات الرديئة ويندد بالارتجال الذي تتسم به ، فقد يكون في ذلك ما يحفز الناشرين بدورهم ، الى توخي الجدية والرصانة فيما ينشرون ، وقد يكون في ذلــك ايضا ــ ولعله امر بديهي ــ ما يعلو بأجور النقلة عن الحضيض الذي وصلت اليه .

كلود ايلــون (عن « كتاب باريس »)

تعريب : **عبد الرحمان بنعبد الله**

(1) المصحح : Reviseur بالفرنسية و Rewriter بالانجليزية



للأستاذ : حسن الوراكلي

-5-

السؤال المثار ، اللحظة ، هو : الى اي حد يمكن اعتبار روبن داريو اسبانيا علما بانه نيكاراكوي المولد والنشاة ؟

ونحن نرى ان الالتفات الى هذا السؤال ومحاولة معالجة الجواب عنه وبسط القول فيه يعطي لفن هذه الشخصية شيئا غير قليل من المميزات والخصائص التي تفردها عن غيرها .

ذهب النقاد مذاهب شتى عند دراستهم وتحليلهم لعطاءات روبن ، شعرا ونثرا — وكل نقاد من امثال باركاس فيلا وكولد برك وغيرهما معروفون بأحكامهم النقدية الدقيقة ، فهم ليسوا يخدعون المنشيء ولا المتذوق على حد سواء — فلقد زعم بعضهم بانه كان يقتات من موائد الشعراء الفرنسيين على اختلاف مدارسهم من رمزية وروومنطيقية وبارنسية ، وذهب بعضهم الآخر الى انه — اي روبن — كان فيما كتب ، يملأ سلاله بثمار اينعت في تربة اغريقية او رومانية ، ولا يكتم خيرا ردو دييكو دهشته في مقدمة كتابه « الشعر الاسباني المعاصر » اذ يذكر روبن داريو ، هذا النيكاراكوي الذي أشرق من هناك ، من امريكا ، قويا ، ورائعا كالشمس ، ليجدد وليبدع وليكون رائدا لاجيال شعرية في تاريخ الادب الاسباني الحديث ، اما كاتب المقدمة التمهيدية التي صدر بها كتاب داريو « ازرق » فانه يبدي دهشته مما ذهب اليه النقاد من ان روبن متفرنس أو يوناني لم يستطع ان يتخلص من امريكيته المترسبة في ذرات نفسه ولم يقولوا قط بأنه كان بالدرجة الاولى شاعرا اسبانيا .. ومن ثم يستطرد ليوضح «تأسيس» روبن وليزعم بانه كان اسبانيا ، بوحيه والهامه بعملية التعبير واسلوب استعراض الخيال الشعري .. باعتزازه بالتقاليد والموروثات الاجتماعية الاسبانية .. بكرمه البياني وعطائه البلاغي وجوده الفني ، وكل هذا يضفي على أعماله من الروح الاسبانية الخالصة ما لا يترك منفذا للطعن في « تأسينه » لحما ودما .

والحق ان هنالك اكثر من دليل يقدم على صحة وجهة نظر القائلين بتاسين روبن من خلال اعماله الادبية ، ولقد سلفت الاشارة الى ان ما كتبه روبن قبل ظهور « أزرق » ليس في معظمه الا اجترارا لما فاضت به قرائح شعراء اسبانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بصفة خاصة ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يكون من السهل على كل مشتغل بالشعر الاسباني المعاصر بعد قراءته لآثار روبن قبل صدور « ازرق » خاصة ، أن يعلن عن اسم المقلد — بفتح اللام — صاحب المائدة « الشهية » التي كان روبن يختلف اليها بين الفينة والاخرى ، وليس من ريب في ان كاميو امور وبيكير ونونييث دي ارثي وغيرهم كانوا اصحاب موائد « شهية » « ياخذ » منها روبن ، على ان الذي يجب ان نعيد ذكره هنا هو ان روبن ما لبث ، بعد ان نضج وتعملق ، ان اصبح ، هو بدوره ، مقلدا — بفتح اللام — اي انه اصبح صاحب مائدة « شهية » تغري الكثيرين بالاقبال عليها . . .

وفي ديوانه « اغاني الحياة والامل » الذي اذاعه في الناس وقد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره ، فهو لم يعد « الشاعر الطفل » الذي خفق قلبه بعنف لصيحات الاعجاب ، بل غدا الشاعر الناضج الذي اشرف به موكب الايام على خريف الحياة ، يعصف به الحنين الى ربيعها الذاهب الذي لن يعود ، فيهتف :

أيها الشباب ، ايها الكنز الالهي
ها انت ذا ذاهب كي لا تعود
عندما اريد ان ابكي ، لا ابكي
واحيانا ، ابكي دون ان اريد . . . الخ .

في هذا الديوان يرن وترجديد في قيثارته : السلالة، فهو « اذا كان من قبل قد صرح بانه « Cosmopolita » — اي انسان يعتبر العالم كله وطنا له — فانه الان يعترف باعراقه الاسبانية، ففي قصيدته «الى روزفلت»

يعني المثل الاسبانية ، وفي قصيدته « البط » يغني مصير اسبانيا وامريكا الاسبانية » (1) .

وانا لنستطيع ان نذكر الى جانب ذلك قصائد اخرى له ، جميلة ، رائعة ، تصور تعلق روبن باسبانيا وتحكي اعتزازه بها ، فمنها ، على سبيل المثال لا الحصر ، «تحية الى المتفائل» Salutacion al optimista و «اسباني» و «الى اسبانيا» و «سونيت الى سرفانتس» El soneto a Cervantes و «الى كوبا» (2) و « اشياء السيد (3) Cosas del Cid وهذه القصائد ، وغيرها مما لم نذكر ، بما يترقرق في ثناياها من حب روبن لاسبانيا وتعلقه بامجادها وافتخاره بها ، لعلها بكل ما تضمنته ، تأتي من الشاعر شهادة ، خير شهادة ، على « تأسبنه » ، ولست احسب الا ان الذين لا يقرون بذلك ليسوا بباقين على رايهم بعد امعان منهم طويل في تلك القصائد التي تنبض بما كان في حنايا روبن نحو اسبانيا من حب صادق وعاطفة مشبوبة .

*

اثرى روبن داريو المكتبة الاسبانية بدواوينه واعماله النثرية ، وفيما يلي ثبت باسمائها :

1 — التنبيهات الاولى (رسائل وقصائد) Primeras notas (epistolas y poemas) ماناكوا 1885

2 — آلام — Abrojos — سنتياكو 1887 .

3 — املينا Emelina — بالاشتراك مع ادواردو بيير — فالبريو 1887 .

4 — الورود الانديئية Las rosas andinas فالبريو 1888

5 — أزرق Azul — فالبريو 1888

6 — نثر غير مقدس وقصائد اخرى Prosas profanas y otros poemas بوينس ايريس 1896

7 — الغرباء Los raros — بوينس ايريس 1896 .

8 — كاسطلار Castelar — مدريد 1899 .

9 — اسبانيا المعاصرة Espana contemporanea — باريس 1901 .

10 — حجات — Peregrinaciones — باريس 1901

11 — القافلة تمر La caravana pasa — باريس 1903

12 — أراضي مشمسة Tierras solares — مدريد 1904

13 — اغاني الحياة والامل Cantos de vida y esperanza

14 — البط » وقصائد اخرى « Los cisnes y otros poemas » — مدريد 1905 .

15 — قصيدة الى ميطري Oda a Mitre باريس 1906

16 — آراء — Opiniones — مدريد 1909 .

17 — الاغنية التائهة El canto errante مدريد 1907

18 — الباريسية — Parisiana — مدريد 1908 .

19 — السفر الى نيكاراكوا El viaje a Nicaragua مدريد 1909 .

20 — قصيدة الخريف — Poema del otono مدريد 1910 .

21 — آداب — Letras — باريس 1911

22 — الكل للطيران Todo al vuelo — مدريد 1912

23 — اغنية للارجنتين Canto a la Argentina مدريد 1914 .

24 — حياة روبن داريو (مكتوبة بقلمه) La vida de Ruben Dario — برشلونة 1915 .

25 — رؤوس Cabezas — بوينس ايريس 1916 .

26 — اغنية ملحمية لامجاد الشيلي Canto épico a las glorias del Chile — سنتياكو 1918

يضاف الى هذا الثبت ما نهض بنشره بعض الاساتذة والمشتغلين بالادب من اعمال روبن التي لم يسبق لها ان نشرت ومن ذلك :

1 — روبن داريو في الساحل الغني Ruben Dario en Costa Rica وهو عبارة عن اقاصيص واشعار ورسائل ومقالات بقلم روبن ، نشرها الاستاذ طودورو بيكادو — 1919

2 — اشعار غريبة Poesias raras نشرها الدكتور رخينو ابوطوعي — هافانا 1920

3 — شجرة الملك دافيد El arbol del rey David وهو عبارة عن نثر ثمين ونادر ، جمعه ونشره الدكتور رخينو 1921 .

4 — صفحات منسية Paginas olvidadas نشره الاستاذ صمويل كلوسبرج — بوينس ايريس 1920

5 — اعمال شباب روبن داريو Obras de juventud de Ruben Dario نشرها الاستاذ ارمدو دو نسو — سنتياكو 1927

تطوان — **حسن الوراكلي**

(1) انظر V. Mateo Velasco : Literatura espanola contemporanea

(2) رسام اسباني عاش بين سنتي 1828 — 1846 .

(3) المقصود به القمبيطور المشهور رودريكو دياث اي بيبار



- 3 -

13) لقد ترجم الحموي لمؤرخ اندلسي سماه احمد ابن محمد التاريخي الرعيني وقال عنه ناقلا ذلك عن الحميدي : « أنه عالم بالاخبار الف في مآثر المغرب كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وامهات مدنها واجنادها الستة وخواص كل لد منها » .

ولما رجعت الى كتاب الجذوة وجدت ان الترجمة هاته انما هي لاحمد بن محمد التاريخي دون زيادة الرعيني .

أما الرعيني فهو شخص آخر خصه الحميدي بترجمة مستقلة وهو من رجال الفقه والحديث وقال عنه: « حدث عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن مالك » .

فالحموي اذن مزج بين شخصين وجعل لهما ترجمة واحدة ظنا منه أن أحدهما ليس الا الآخر .

ووقع لمصحح المعجم خطأ شبيه بهذا او اشد ذلك أنه أشار في حاشية الكتاب الى مصادر اخرى اعتبرها ترجمت لهذا العالم الاديب مع ان التراجم التي اتى بها ليست للرعيني الذي ذكره الحميدي وانما لاحمد ابن محمد التاريخي أو لاحمد بن محمد الرعيني الذي كان يعيش في القرن الثامن الهجري .

فمما قاله المصحح في حاشية الكتاب : « وترجم له في بغية الوعاة صفحة 157 بما ياتي « احمد بن محمد بن احمد الرعيني يعرف بنسبه . أبو جعفر قال في تاريخ غرناطة كان من اهل الفضل والظرف عارفا بالعربية مشاركا في الفقه متدربا في الاحكام قرا على ابي الحسن الفيجاطي وابن الفخار وولي قضاء ارجبة ولد سنة احدى وسبعمائة ومات سنة اربع واربعين وسبعمائة » .

واني لاعجب كيف اطمأن المصحح الى هذا النص مع وجود الفرق الزمني الشاسع بين الرعيني المذكور في الجذوة والرعيني المذكور في البغية .

انها لغفلة لا تخفى على القراء الذين يدركونها ببداهتهم ويصلون اليها دون أدنى تعب أو امعان نظر (1).

14) لقد اصبحت الدراسات الادبية عنصرا اساسيا في الاطلاع على احوال التاريخ العام للامة العربية الاسلامية بحيث يعسر على المهتمين بتاريخ المجتمع العربي في حقبة من الحقب ان ينفصلوا عن الآثار الادبية الخالدة التي كانت صورة ناطقة لما يقع من احداث وما يجري من وقائع لان الادب كان متصلا تمام الاتصال بالبيئة الثقافية والسياسية والطبيعية فلا يمكن الانفصال مطلقا عن الجانب الادبي اذا اردنا استيعاب الجوانب الاخرى .

لذا كان الاهتمام بالدراسات الادبية عنصرا فعالا في تتبع الحضارة العربية والانتقال معها حسب الاعصر سواء من الناحية العمرانية او الناحية الاخلاقية او الناحية الفنية .

ومن المعلوم ان الثقافة العربية كادت تكون وحدة بين جميع الاصقاع الاسلامية رغم وجود التنافس بين مختلف الطبقات والاقاليم لذا نجد تشابها بينا في شكل

1) ينظر في هذا التصويت معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 234 وكتاب الجذوة صفحة 96 وكتاب بغية الوعاة صفحة 157 ولا بأس ان انبه القراء بأن النص الموجود في حاشية المعجم الماخوذ من البغية قد حرف كثيرا عن أصله لذلك اعتمدت على الاصل فيما سجلت .

بعض الكتب المؤلفة وفى موضوعاتها فلا يقع الفرق الا فى الاختيار لطائفة دون اخرى .

وقد وقع ذلك بالفعل فى بلاد الاندلس حينما احسوا باستقلالهم الذاتي وارادوا ان يظهروا وجودهم الادبي واستغناءهم عن بعض الكتب الشرقية او معارضتهم لتلك الكتب ليضيفوا الى الخزانة العربية دراسات جديدة .

ومن بين الموضوعات التي اهتم بها الاندلسيون موضوع الحب فدرسوه من الناحية النفسية والخلقية والادبية والمجونية وانتشر الشعر الغزلي على اختلاف حيثياته بين الادباء وكانت بعض الكتب الشرقية تقرأ بينهم ككتاب الزهرة لابي بكر بن داود الاصبهاني الظاهري فقلده **احمد بن محمد بن فرج الجياني** بكتاب آخر سماه الحدائق ولم يختر فيه لغير الاندلسيين واحسن الاختيار.

وقد ذكر الحموي فى كتابه ترجمة ابن فرج هذا وكناه بأبي عمرو (1) مع ان المعروف فى كنيته ابو عمر بالصيغة المعدولة الموافقة لما فى كتاب الحميدي وكتاب الصلة لابن بشكوال .

وهو شاعر رقيق العاطفة اهتم بالشعر الغزلي العفيف وكان شعره حديث المجالس لا يذكي شهوة ولا يؤجج فسقا بل تطمئن اليه النفس المؤمنة التواقة الى الخير فهو يعبر عن عاطفة الحب من جهة ويصور خلق العفة من جهة اخرى ولا ادري لماذا اهمل الحموي ذكر شعره ولم يختر من الحميدي شيئا .

فمن شعره قوله : (2)

وطائعة الوصال عدوت عنها
وما الشيطان فيها بالمطاع

بدت فى الليل سافرة فباتت
دياجي الليل سافرة القناع

وما من لحظة الا وفيها
الى فتن القلوب لها دواعي

فملكت النهى جمحات شوقي
لاجري فى العفاف على طباعي

وبت بها مبيت السقب يظما
فيمنعه الكعام من الرضاع

كذاك الروض ما فيه لمثلي
سوى نظر وشم من متاع

ولست من السوائم مهملات
فاتخذ الرياض من المراعي

ادخل ابن فرج هذا السجن أيام الحكم المستنصر وظل فيه الى ان توفي الحكم سنة 366 هـ فأعطى الامر باطلاق سراحه فلما بلغه الخبر فزع لذلك فرحا فمات .

ومن طريف ما يقرأ ان ابن فرج هذا رغم انه ادخل السجن لم يمنع الطلبة من الاستفادة منه فكان يسمح لهم بالدخول اليه ليستفيدوا من علومه ويقرؤوا عليه اللغة وغيرها (3) .

15) ذكر الحموي ترجمة لاحد المعتنين بالقراآت وهو احمد بن محمد بن عمار بن مهدي بن ابراهيم المهدوي وكناه **بأبي القاسم المقرىء** (4) ونقل ترجمته عن الحميدي فقال : « أصله من المهدية ودخل الاندلس فى حدود الثلاثين واربعمائة او نحوها وكان عالما بالقراءات والادب متقدما » ولكن كنيته بأبي القاسم لم توجد فى الاصل وانما يكنى **بأبي العباس** .

ولقد أشار الاستاذ ابن تاويت فى تصحيحه لكتاب الجذوة (5) الى ملاحظة تفيد المهتمين بدراسة الاعلام حيث ذكر ان حاشية الاصل جعلت احمد بن محمد هذا احمد بن عمار التميمي ولكنه لم يذكر غير ذلك .

وانا اظن ان محمدا ابا المترجم له كان يلقب بعمار او سقط من نسخ الجذوة وهذا ما يتلاءم مع الترجمة التي ذكرها السيوطي فى كتاب بغية الوعاء لاحمد بن عمار التميمي حيث لقبه بأبي العباس المهدوي المقرىء النحوي المفسر وقال : « انه كان مقدما فى القراءات والعربية وان اصله من المهدية ودخل الاندلس وصنف كتبا مفيدة منها التفسير ومات فى الاربعين واربعمائة»(6)

فأحمد بن عمار هذا هو احمد بن محمد المهدوي الذي ترجم له الحموي ولكن الخلاف فى الكنية قد يكون

---

1) معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 236 .
2) ذكر الثعالبي قسطا من شعره فى كتاب يتيمة الدهر الجزء الثاني صفحة 14
3) الصلة لابن بشكوال الجزء الاول صفحة 11
4) معجم الادباء الجزء الخامس صفحة 39 .
5) كتاب الجذوة صفحة 106 .
6) بغية الوعاة صفحة 152 .

من اخطاء النساخ لذلك يرجح عندنا انه ابو العباس وليس بأبي القاسم .

وفي هذه الحقبة التي عاش فيها هذا المقرىء نجد ازدهارا علميا كبيرا في البلاد التونسية وتجاوبا مطلقا بين مختلف الثقافات والاقاليم بحيث لا يشعر القارىء لهذه الفترة من تاريخ الفكر الاسلامي بغربة الموطن العلمي بين شتى أصقاع البلاد الاسلامية .

وكانت العناية موجهة من قبل بعض العلماء الاسلاميين لكتاب الله العزيز يدرسونه حسب ميولهم واختصاصاتهم فمن دراسات بلاغية الى دراسات احكام الى الربط بأسباب النزول الى رسم الكتاب الى مختلف الروايات واسبابها الى ظواهر الاعجاز اللفظي والمعنوي الى العلاقة بين الكتاب والسنةالى الدراسات الفقهية والاصولية والاستنباطية الى غير ذلك من الابحاث الدينية المتعلقة بكتاب الله .

وكان اغلب المسلمين يتقيدون بكتابة القرآن على الرسم الذي كان معهودا ايام النبي وايام عثمان حين جمع المصحف ونسخ منه نسخا أرسلها الى مختلف الاقاليم لذلك كان يهتم بعض حفاظه بنشر الرسم بين القراء ويعينونهم عليه بشتى الوسائل من ذلك مثلا الاشعار بالكلمات التي تكتب على شكل خاص او صورة معينة وكانوا يستخدمون الشعر التعليمي المعروف بالنظم في تسجيل قواعد الرسم على عادتهم في استعمال النظم في تقريب مختلف العلوم وتيسير معرفتها للطلبة الراغبين في المعرفة فكانت هذه المنظومات تنشر بين القراء ويعمد مؤلفوها الى اختيار أحسن المناهج لترتيب مضمونها .

وحيث ان اهتمام القراء كان يوجه الى كتابة القرآن حسب القواعد الرسمية المعهودة وبما ان بعض المبتدئين في الدراسة قد يعسر عليهم التمييز بين مخارج الحروف وقد يلتبس عليهم الامر فلا يميزون بين كتابة الظاء المعجمة المشالة وبين كتابة الضاد فقد نظم مترجمنا أبياتا حدد فيها ظاءات القرآن فقال :

ظنت عظيمة ظلمنا من حظهـــا
فظللت اوقظها لكاظــم غيظهـــا
وظعنت انظر في الظلام وظلــه
ظمآن انتظر الظهور لوعظـــها
ظهري وظفري ثم عظمي في لظـــي
لأظاهــرن لحظهــا ولحفظهــا
لفظي شواظ او كشمس ظهيـــرة
ظفر لدى غلظ القلوب وفظـــــها

ومن المعلوم أن المنظومات التي تهدف الى تعليم بعض القواعد أو الاشعار ببعض الصور غالبا ما تنعدم فيها الروح الادبية الا اذا كان الامر يتعلق بتحسين تعبير من نفوس صقلها الادب قبل العلم فاحسنت الربط بينهما كما نلاحظ ذلك في تحفة ابن عاصم مثلا .

ولم يقتصر علماء القراءات وحدهم بالاهتمام بالرسم بل اهتم علماء اللغة ايضا بالرسم العربي وكانوا يبينون الاصول التي يتبنى عليها الرسم باعتبار ان الرسم القرآني خاص بالمصحف حتى صاروا يقولون : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروضيين .

ومن الطريف هنا ان نشير الى ان مشكلة الظاء في الرسم العربي واشتباهها بالضاد دفعت بعض المؤلفين الى تحديد الكلمات المشتملة عليها وجعلها في ترتيب ابجدي غير معهود في المعاجم العربية بحيث يعتبر هذا العمل الذي قام به مرتب هذه الكلمات ثورة في تنظيم الكلمات العربية داخل المعاجم لو سار عليها العرب في ترتيب معاجمهم منذ تأسيسها لسهل على كل القارئين البحث عن الكلمة دون الرجوع الى اصلها وانما يكتفون بصورتها اللفظية .

والفضل في هذه الطريقة يرجع الى القلقشندي في كتابه صبح الاعشى (1) حين قال :

« الفصل الخامس من الباب الثاني من المقالة الاولى فيما يكتب بالظاء مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد » ثم بعد ذلك رتب الكلمات على هذا الشكل فقال :

حرف الالف فيه اظله الشيء اذا غشيه ، اما اضله من الضلال اذا ضل دابته اذا ندت فبالضاد .

حرف الباء فيه بهظه الامر اذا اتعبه وفيه البظر.

حرف التاء المثناة فوق فيه التقريظ وهو المدح والتلمظ وهو تحريك الشفتين بعد الاكل لابتلاع ما حصل بين الاسنان

حرف الجيم فيه الجواظ وهو الجافي المتكبر او الاكول . والجحوظ وهو نتو العين وندورها ومنه ابو عثمان الجاحظ وجحظة البرمكي .

---

1) صبح الاعشى الجزء الثالث صفحة 222

ثم استمر في تعداد الكلمات حسب مخرجها لا حسب اصلها فنحن اذن نلاحظ ان هذا الترتيب الذي سار عليه القلقشندي ترتيب يهتم بصورة الكلمة وهو عمل قيم في كتابة المعاجم لاشك ان المعجم العربي الحديث سينهجه تسهيلا لنشر اللغة العربية بين القراء وتقريبا لمدلول الكلمة بين التلاميذ الذين يعسر عليهم البحث في المعاجم اللغوية قبل الاطلاع على قواعد اللغة العربية واصول اشتقاقها .

وان هذه الملاحظات التي قدمناها سواء فيما يتعلق عند علماء القراءات بكتابة الرسم القرآني او عند علماء اللغة بكتابة الفاظها لمما يدل على العناية الكبرى التي كان يوليها اجدادنا للدراسات الدينية واللغوية والتي شارك فيها المترجم له بظاءاته القرآنية ففتح لنا باب الحديث عن تسجيل هاته الخواطر .

16) ذكر الحموي من بين التراجم التي اختارها لادباء الاندلس ترجمة الاديب الشهير احمد بن محمد بن احمد بن برد الاصغر (1) . وقد نشا هذا الاديب في حقبة ادبية كان الاندلسيون يحاولون فيها تكوين شخصيتهم وابراز مميزاتهم الادبية . ولقد اشتهر بمفاخرته الشهيرة بين السيف والقلم محاولا بذلك ابراز الفضل لذوي اللسان والسنان معا حتى لا ينسى بعض الحاكمين فضل الادباء ويقتصروا على ذوي التغلب من القواد والجنود .

والدعوة الى المفاضلة في هاته الحقبة التي كانت تحياها الاندلس سببها ما نشا من الفتن ضد الحكومة المركزية وما اثارته الفتنة البربرية التي تحدثنا عنها في مقال سابق من اضطرابات ادت الى قيام بعض المتمردات في اقاليم مختلفة كان ذووها يعتمدون على السيف في تركيز نفوذهم فخشي هذا الاديب أن تضعف دولة الادب وتزول هيبة الكتاب والشعراء فحاول ابراز فضل القلم دون ان ينكر فضل القوة في تثبيت المجد وابرز في المفاخرة المحاسن والمساوىء لكل من الطرفين ولكنه في الاخير حاول التوفيق بينهما .

ولما نقل ترجمة ابن برد ذكر ان الحميدي قال(2) : « وهو مولى احمد بن عبد الملك بن عمر ابن محمد بن شهيد . أبو حفص الكاتب مليح الشعر بليغ الكتابة من اهل بيت أدب ورياسة » .

واستمر في نقله عن الحميدي دون ان يقطع الاتصال وذكر من المنقول قوله : « وله كتب في علم القرآن منها كتاب التحصيل في تفسير القرآن وكتاب التفصيل في تفسيره ايضا وله غير ذلك وكان جده احمد ابن برد وزيرا في الايام العامرية مات سنة ثمان عشرة واربعمائة اعني الوزير » .

مع ان هاته الفقرة الاخيرة لا توجد في كتاب الجذوة المطبوع فهي اما ساقطة من النسخة التي وجدت واعتمد عليها الناشرون في طبع الكتاب واما نسبة ذلك الى الحميدي وهم من الحموي جره اليه قلمه فلم يشر الى نهاية النص الماخوذ عن الحميدي واضاف اليه ما اخذه عن غيره .

وليس معنى ما اشير اليه التشكيك فيما نسبه الحموي الى ابن برد من تفسير للقرآن واهتمام بمعانيه وانما الاشارة فقط الى ان نسبة هذا الخبر الى كتاب الحميدي مشكوك فيها نظرا لعدم وجوده في النسخة المطبوعة من الجذوة .

17) قال الحموي عند حديثه عن ابن برد هذا ومن شعره :

تامل فقد شق البهار (3) مغلسا
كمامه عن نواره الخضل الندي
مداهن تبر في انامل فضة
على اذرع مخروطة من زبرجد

فالشاعر في وصف البهار اعتمد على تصوير الالوان والمزج بينها واستعمل من المشبهات بها ما يزينه للنفس ويقربه اليها فقد جمع بين الوان النبات الطبيعي وبين الوان المعادن التي يميل الانسان الى اكتسابها ويرغب في الحصول عليها وتتصل بمظاهر الترف والنعيم اكثر مما تتصل بمظاهر البؤس والحرمان وبهذه الوسيلة حاول الشاعر أن يرتشي قراءه ليستلذوا بشعره ويؤمنوا باعجابه بالبهار فهو في هذين البيتين شبيه بما قاله اسماعيل بن بدر في وصف البهار (4) .

اهدي اليك من النوار احسنه
قد ضل في وصفه من قبلي الناس

---

1) قال الحميدي وقد رايته بالمرية بعد الاربعين واربعمائة غير مرة زائرا لابي محمد علي بن احمد .
2) معجم الادباء الجزء الخامس صفحة 41 .
3) البهار هو الزهر المعروف عند الشرقيين بالنرجس اما الاندلسيون فكانوا يستعملون الاسمين معا .
4) البديع في وصف الربيع لابي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية صفحة 97 .

كانه نقر من فضـــة وضعـــت
فيها من الذهب الابريز اكـــواس
على الزمرد قامت عند منبتهـــا
فى كل نوارة مفتوحـــة كــــاس

فاستعمال الذهب والفضة والزمرد وهو الزبرجد مشترك بين الشاعرين فى وصف البهار .

لم اتعرض لبيتي ابن برد لاتحدث عنهما من الجانب الوصفي وانما جاء ذلك عرضا فقط وانما لابين للقراء ان البيت الاول ورد فى كتاب الجذوة على هذا الشكل(1)

تأمل فقد شق البهار مغلســـا
كماميه عن نواره المخضل الندي

ولم يكتف المصحح بزيادة الميم بل وضع السكون على الخاء والفتحة على الضاد وهذا ما لا يتناسق مع النغمة الشعرية والوزن العروضي للقالب الذي اختاره الشاعر .

فالبيتان من بحر الطويل ذي الضرب المقبوض مع العروض المقبوضة طبعا فهو من النوع الثاني علـــى الشكل الآتي :

مفعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـن

ولا يقع تغيير فى الضرب اذا اخذ اتجاها معينا فى مطلع القصيدة كما هو المعروف فى علم العـــروض والقوافي بخلاف الزحافات داخل الحشو فقد تحدث وقد لا تحدث .

والاشارة الى هذا التحريف فى وضع البيت لا تخفى على المهتمين بدراسة الكتاب ولكننا رغم ذلك نجد ان الواجب يدفعنا الى التنبيه عليه للمحافظة على السياق الادبي فى الشعر العربي الاصيل .

كما نرى ان الاشارة الى بيتين آخريـن داخـل ترجمة ابن برد قد ورد شكلهما مختلفا بين الكتابيـن فالشاعر يقول : (2)

قلبي وقلبك لا محالة واحـــد
شهدت بذلك بيننـا الالحـــاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنـــا
ان الحسود بمثل ذاك يغـــاظ

ان كلمة فلنغظ شكلت فى كتاب الحموي بفتـــح النون من غاظه الثلاثي وفى كتاب الجذوة بضم النون من اغاظ الرباعـــي .

ونحن نرى ان الاستاذ ابن تاويت كان من الواجب ان لا يشكل هذا الحرف وذلك لامرين :

الامر الاول — انه يوجد من علماء اللغة من ينفي وجود اغاظ الرباعي ولا يثبت الا الثلاثي ومن هـؤلاء الجوهري فى كتاب الصحاح (3) فقد جاء فى التعريف بهذه المادة قوله : « الغيظ : غضب كامن للعاجـــز . وغاظه من باب باع فهو مغيظ ولا يقال اغاظه .

الامر الثاني — يرجع الى ان طائفة من علماء اللغة اجازت الصيغتين معا فقد جاء فى كتاب المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعي (4) : « الغيظ : الغضب المحيط بالكبد وهو اشد الحنق وفى التنزيل « **قل موتوا بغيظكم** » وهو مصدر من غاظه الامر من باب سار . قال ابن الاعرابي كما حكاه الازهري **غاظه يغيظه واغاظه** بالالف واسم المفعول من الثلاثي مغيظ قال :

ما كان ضرك لو مننت وربمـــا
من الفتى وهو المغيظ المحنـــق

فاذا كان ما حكاه الازهري عن ابن الاعرابـــي صحيحا فان الصيغتين معا صالحتان فليس هناك اذن اي معنى لهذا الشكل الذي يوهم اعتماد هذه الصيغة او صحتها دون سواها مع انها الصيغة المختلف فيها وعليه فلان نترك الحرف مهملا ونترك للقارىء الحريـــة فى النطق به كما شاء خير من ان نقيده بوجه خاص قد يكون مرجوحا .

ولعل القراء ايضا يستحسنون هذه الحريـــة لانها اقـــرب الـــى الصـــواب .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) الجذوة صفحـــــة 107 .
2) نفس المصدر صفحة 108 اما فى كتاب المعجم فقد وردا فى صفحة 43 من الجزء الخامس .
3) مختار الصحاح لابي بكر الرازي الطبعة المنسقة بمجهود محمود خاطر المرتبة على حروف المعجم صفحة 512 .
4) هذا معجم لغوي متداول من تاليف احمد بن محمد ابن علي المقري الفيومي المتوفى سنة 770 هجريـــة

ديوان المجلة



للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

يا هلال السماء ما انت الا … دعوة الكون للسلام المؤمل
فيك يسمو الانسان نحو حياة … من حنان يحيي الشعور المعطل
قل لنا يا هلال ، واحمل الينا … قبسا من ضياء افضل مرسل
منقذ الكون ، دينه خير دين … هو احلى ما في الحياة واجمل !
هو ايمان ثائر ، هو نسر … هو في قبضة المجاهد مشعل
قل لنا يا هلال : كيف توارى … عن عيون الانسان وحي منزل .. ؟ !
لا اعتداء ، لا عنصر ، لا امتهان .. ! … ما لهذا الانسان لا يتأمل .. ؟
قل لنا : اين يجمع الناس حب .. ؟ … اي شيء يهدي الوجود المضلل
فلسفات توهي العقيدة فينا … وتحيل الانسان آلة معمل
نحن من مادة وروح ، ولسنا … كذئاب عطشى من الدم تنهل
نحن ظل الاله في الارض ، تعلي … قيما في الانسان ، والحب اول .. !

* * *

يا اله الوجود عفوك ، انا … في طريق الاشواك ، والليل مسبل
لا تكلنا الى مصير عقول … عندها كل عالم الروح مهمل
قد فرضت الصيام ، وهو نداء … للمساواة في وجود مكبل

* * *

يا هلالا مقوسا ، انت رمز … لحياة من افضل نحو افضل !
كنت تاتي ، والمسلمون قيام … بين هاد ، وناسك يتبتل
امة وحدت ، وللحق تدعو … مبدا مفرد ، ووحدة مأمل
لا تهب ، فالاباة في كل ارض … ثورة لا تلين او تتحول
اقسموها بيمين حر ابي … ان يعيدوا مجد الجدود المؤثل

الرباط — علال بن الهاشمي الفيلالي



للشاعر المدني الحمراوي

مراكش الحمراء فيك مسرتي   ولديك احلام المنى تتحقق

فاذا حللتك فالحياة بهيجة   واذا نزحت فمهجتي تتحرق

ما انت الا بهجة الدنيا التي   يسبي القلوب بهاؤها المتالق

فاذا ذكرت فبالمحاسن والعلى   يثني عليك مغرب ومشرق

الحسن فيك تكاملت آياته   والفضل فيك مخيم ومحلق

والمجد فيك تسلسلت ازمانه   يلقي عليك نخاره ويطوق

وجنانك الفيحاء فيها فتنة   للناظرين ومتعة تتالق

يحيي قلوب المدنفين نسيمها   ويهب بالمسك الذكي ويعبق

والطير فيها بالحياة مرحب   يشدو بسحر جمالها ويشوق

والماء فى جنباتها متسلسل   طورا بلين وتارة يتدفق

والجو صاف والسماء صقيلة   زرقاء تختلس القلوب وتسرق

والدوح دانية الغصون كانها   تحنو على المتنزهين وتشفق

والنخل غيد قد شغفن صبابة   ونحولهن لحالهن مصدق

* * *

فى كل ناحية مروج تختفي   فيها زهور كالعيون تحدق

وشقائق النعمان فيها راية   حمراء فى تلك المرابع تخفق

شغف الفراش بلثمها فكانها   تمتص منه دماءه اذ يعلق

لم انس قط ولست يوما ناسيا   متعا بمنتزه «المنارة» تعشق

ومآثر القصر البديع وما حوى   «اكدال» من جنات حسن تونق

وحدائق « الباب الجديد » ومنظرا   عند الغروب يكاد سحره ينطق

والشمس فوق « جليز » تلفظ روحها ... وتودع البلد البهيج وترمق
والعطر قد غمر الانوف من الربى ... ومن السهول فكل انف ينشق

* * *

مراكش الحمراء صوني عهدنا ... اني بعهدك في النوى اتعلق
اتذكر الزمن القديم وبمنه ... فاغوص في لجج الحنين واغرق
وبعيد منظره 'خيال فاكتوي ... بلهيب اشواقي اليه واحرق
لله ايام عرفنا صفوها ... كانت بالوان المسرة تشرق
والقلب من غير الهوى متفرغ ... والعقل من نزواتنا لا يقلق
والدهر عنا غافل واللهو لا ... ينفك يتبع جمعنا او يسبق
وبكل منتزه لنا متبوأ ... ونهارنا باصيله متروق
نتجول في روض السرور ونرتقي ... جو القريض مع الخيال نحلق
والورد يسكرنا شذا انفاسه ... وعيوننا لروائه تتعشق
وبلابل البستان غنى جوقها ... لحن الجلال وصار فيه يرقق
رفع المناقير اللطاف الى السما ... بصلاته متخشعا يتملق
تلك الصلاة شعارها متخلد ... وجلالها سر غريب مغلق
والدوح يصغي والمهابة ارعشت ... اغصانه حتى غدت تتفرق
وكذا تلك الورود تلونت ... من رهبة ولخوفها تتشقق
والارض تبكي بالسواقي خشية ... واهابها بخشوعها يتمزق
سبحن من جعل الطبيعة مصحفا ... عن مجده وجلاله يستنطق
آياته في سرها مطوية ... تبدو لكل مفكر يتحقق

* * *

وطني اراك لكل حسن منبعا ... ولكل سحر انت لحن شيق
عرف الانام بك الجمال فاقبلوا ... كالنحل يجذبه العبير فيلحق
انت ابتسامات الحياة ، وثغرها ... بالنور يسطع ، بالمنى يترقرق
يا فاتن الدنيا ومخدع شمسها ... يا مغربا هو للحضارة مشرق
يا مطلع الاقمار والاحرار يا ... ارضا بامجاد البطولة تبرق
اني بمجدك قد نسجت قصائدي ... وبحسنك الفتان شعري يورق
انت الذي الهمت مني شاعرا ... غنى بمجدك والحياة تصفق
تاريخك المعطار نبع مشاعري ... وجمال ارضك في قريضي رونق

الرباط : المدني الحمراوي

جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

(3)

... ومن جملة مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد :

34 — ديوان احمد الدغوغي

شاعر الزاوية الدلائية . مبتور الاول الموجود منه 37 ورقة وقد عرفت ناظمها من قوله في قصيدة :

دغوغي آباء . دلائي سادة ❊ موال كرام ماجدين عظام

35 — ومعه رسائل من الدلائيين الى : اهل سوس . والى الشراقة . وشريف سجلماسة . ومحمد الفراقي كبير قبيلة الطالب ابن زيتون .

وقد صورنا شريطا من هذا المجموع للخزانة العامة .

36 — ومنها الجزء الثاني من كتاب « انوار اولى الالباب ، باختصار الاستيعاب » تاليف عمر بن علي .

بخطوط مختلفة ، مبتورة من اوله ذكر في اواخره ان جميع ما فيه 3431 من الصحابة وانه افرد لذكر الشهداء والاموات رسالة وجيزة سماها بـ « رسالة الشهداء المشهود عليهم » .

والمؤلف هو ابو علي عمر بن علي بن يوسف ابن الزهراء العثماني الورياغلي ثم الفاسي مؤلف كتاب « المهد الكبير » في واحد وخمسين مجلدا وغيره وهو من اهل القرن الثامن للهجرة . ويوجد انوار اولي الالباب في الخزانة العامة بالرباط د2324 .

ومن جملة مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع من جملة ما به :

37 — رسالة كتبت من وهران عن اذن الفقيه المدرس المفتي الخطيب عبد الرحمن ابن محمد بن يوسف الصنهاجي عرف بابن مقلاس مؤرخة بثاني عشر جمادى الاخيرة 794 :

الى كل من يقف عليه من الفقهاء والعلماء وجماعات المسلمين من بلاد الثغر وغيرها ، من المسلمين القاطنين بارض الكفرة . المستظلين تحت ظلالهم المتجوسين في معتقداتهم واعمالهم .

حمله على كتابتها ما اخبر به الطالب المهاجر لله ورسوله محمد بن سلامة ابن جميل ، من احوال المسلمين الذين هم في بلاد النصرانية .

وهي تتضمن فضائل الهجرة ومعناها والجواب عن بعض البدع التي سال السائل عنها .

وتقع في ستة اوراق . وبآخرها شهادة احمد ابن عمرو العباس بن محمد بن منذر .

وهذه النسخة بخط محمد بن محمد بن علي المرابطي بتاريخ 799 .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع في مجلد ضخم به :

38 — شرح محمد بن احمد بن جابر الهواري المري الاندلسي — امتع الله ببقائه — بخط موسى ابن علي القرشي المعروف بالجمجمي الشيناني الارغوني، مؤرخ نصفه الاول بثالث عشر ذي الحجة 906 ونصفه الثاني بخامس عشر صفر 907 بجامع بطرنة عمره الله بالاسلام ! اي بعد عشر سنوات من استسلام غرناطة .

39 ـ ويليه تقييد من كلام ابي الحسن علي ابن عبد الكريم على الدرر اللوامع « خاص بالبسملة والتصلية » قيده عنه عبد القوي بن احمد بن عمران المجاصي .

قال الناسخ : والدرر اللوامع لابي الحسن علي ابن محمد بن علي بن محمد بن الحسن المرابطي الشهير بابن بري ـ منسوب الى الارباط « كذا » اعني الاحواز يعني حوز تازة ـ وهو تسولي من فخذ يقال له بني اللنت ، وكانت قراءته على شيخه بتازة ، وتوفي بمدينة فاس ـ حرسها الله تعالى ، دعاه السلطان اليها حين دعاه ابو الحسن فى خلافته فكان يقرا عليه فى الدار البيضاء .

قلت وقد تحرفت على الكاتب الربضي الى الرابطي كما تحرفت عند ابراهيم المازغني التونسي فى شرحه « النجوم الطوالع » الى الرباضي وعند بعض آخر الى الرباطي ! كما ان خارج مدينة تازة ضريح منسوب لابن بري هذا وعليه قبة ! .

40 ـ ويليه شرح ابي عبد الله محمد ابن مروان عبد الملك بن ابي الحسن علي بن عبد الملك القيسي المنتوري على « الدرر اللوامع » قال وقد تفقهت فى الرجز قديما على شيخنا امام الاقراء ومعلم الاداء ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي الكتاني القيجاطي .

ورويته من طرق ثلاثة ، اعلاها ، ما حدثني به الشيخ المسن المقريء الصالح ابوالحجاج يوسف بن علي ابن عبد الواحد السروري المكناسي قراءة من حفظي عليه فى اواخر شعبان 774 عن ناظمه سماعا عليه بجامع القرويين من مدينة فاس فى اواخر المحرم723

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

41 ـ كتاب « التقريب والتبيين فى شرح التلقين » مبني على التصحيح ، من تاليف الفقيه الجليل النبيل ابي بكر بن العربي رحمه الله تعالى كان الفراغ منه يوم الاحد الحادي عشر من يونيه ، موافقا مع العشرة الوسطى من هلال ربيع الاخر من عام 920 من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

على يد كاتبه موسى الجمجمي ، نفعه الله به وجبر مكسوره ومكسور الكتاب وملحونه ، لكوني ناسخه على نسخة ملحونة ما قدرت على جبرها واصلاحها لكثرة الحانها ! ومقصودها ! : فالله وحده يليق ! جبرها واصلاحها ، فهو المجبر ! والمصلح لا الاه الا هو .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

42 ـ كتاب فى المقابلة بين الشهور القمرية والشمسية اسمه « هذا مناخ مبارك بحول الله لمعرفة الشهور الهلالية ومعرفةالناقص منها من الكامل»

وهو يبتدىء بجداول فى ورقتين ثم تفسيرها بقلم محمد بن فتح الصفان . بذكر اول كل شهر عربي وكل شهر عجمي . والسنين والوقوف بعرفة . ويبتدىء من سنة 958 وينتهي 1060 ويقع فى 53 ورقة .

43 ـ ومنها وثيقة باللغة العربية تقع فى خمسة اوراق وتتضمن تسمية الثياب والاملاك التي احضرتها معها عروس مسيحية عند زواجها بمدينة طليطلة فى 7 يوليه 1323 للصفر .

44 ـ ومنها شرح عبد الواحد بن ابي بكر بن يونس الصنهاجي الشنتوفي المخبوفي المسمى بكتاب « التنبيهات والفوائد » على التلقين للقاضي عبد الوهاب . وهو مجلد خاص بالصلاة وفى آخره كمل الكتاب المبارك ! عام 913 . وهو مجلد خاص بالصلاة وفى آخره : كمل الكتاب المبارك عام 913.

45 ـ ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب التصريف لابي القاسم الزهراوي ، فى مجلدين ضخمين مختلفي الارقام ، وفى اوراق الاخير منهما اضطراب وهما مما انتسخ بطليطلة لخزانة الوزير ابي الحجاج يوسف بن اسحاق بن تحميش على يد كاتبه يوسف بن محمد الطنيوجي اللوشي ، استنقذه الله برحماه ! لا رب سواه . كما اولهما فى شهر مايه ، وثانيهما فى شهر غشت 1265 للصفر .

46 ـ ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد، مخطوط حديث لبولس الكاهن المارونى الانطاكي الحلبي وماريانو المادريدي مؤرخ بسنة 1711 .

اعتمدا فيه على مخطوط قديم لعمر بن عبد الله الطليطلي الفه سنة 446هـ بامر ابي عامر بن مزوج ذي الوزارتين عن منافع «امياه» ـ يعنيان مياه ـ تير ماليس « اعني بير السلام او سلام بير » بعد ما نفعت المؤلف من علاج الفالج وحصل على صحته المفقودة ، ثم بشفاء الوزير من الداء الملوكي؛ عند اغتساله منها بعد ما استمر مرضه سبع سنوات .

وفيه تسعة فصول :

الفصل الاول فى تدمية هذه المياه وكيف مارس الاولون علاجها ؟

الفصل الثاني فى مكان ينبوع هذه المياه – وهي بجانب نهر وادبلا – وهذا هو المكان الذي يدعى سلام بير قرب المدينة المدعوة قديما قونتبرية .

الفصل الثالث فى الاصول والمعادن التي تخرج فى هذه المياه .

الشرح الثاني فى كيفية استعمال مياه سلام بير فى كل وجع الخ» ويقع فى 161 ص .

47 – ومن المخطوطات النادرة المهمة بالمكتبة الوطنية بمدريد كتاب « المفتاح فى اختلاف القراءة السبعة المسمون بالمشهورين » املاء الحافظ ابي القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب المقرىء القرطبي صاحب الوجيز وغيره . المتوفى سنة 461 كتب فى نصف رجب 534 فى حضرة غرناطة حماها الله .

لا ذكر له فى كشف الظنون ولا عند بروكلمان ، وذكره ابن الجزري فى « غاية النهاية » والبغدادي فى هداية العارفين » وفى ايضاح المكنون » وقال فى ثانيهما انه فى القراءات العشرة ! وقال كحالة فى «معجم المؤلفين» انه فى علمي الخواص والحروف! .

وهو مذكور فى فهرس المخطوطات العربية بمكتبة مدريد الوطنية لكايان روبلس F. Guillen Robles المطبوع سنة1889م، ص23، وعند هارتويغ ديرانبورغ فى ملاحظاته على المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد المطبوعة بباريس سنة 1904 ص 14 .

48 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب العلل ويسمى كتاب سر الخليقة لبلينوس ليوناني الذي سماه الجامع للاشياء . فيه ست مقالات : «1» فى اثبات التوحيد «2» فى الاثار العلوية «3» فى علل المعادن «4» فى النبات «5» فى الحيوان «6» فى خلق الانسان .

ترجمه التلميذ هارون . قال : ولم ادع حرفا مما كان بلنياس « كذا » وضع فى كتابه الا حروفا لم اعرف معانيها فتركتها على ما كانت عليه « ثم ذكرها » .

كتب سنة 485 وبآخره رسالة ملك الروم الى الحكم امير المومنين يذكر له فيها فضل هذا الكتاب .

49 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب فيه « موسيقى ابي نصر الفارابي رحمة الله عليه . فيه اثنا عشر مقالة . وهو بخط الوزير ابي الحسن ابن ابي كامل نزيل قرطبة حرسها الله ورحمه . صاحبا للحكيم ابي بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجه السرقسطي الفيلسوف رحمه الله .. وقرا عليه .. المنطق وانتسخ من عنده كثيرا من اخبار ابي نصر وتآليفه .

يقع فى مجلد . وقد صورناه للخزانة العامة .

50 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب «الجوامع» لابي الوليد ابن رشد لخص فيه آراء ارسطو فى مؤلفاته : السماع الطبيعي ، السماء والعالم ، الكون والفساد الآثار العلوية .

وكان فراغه من تلخيصها يوم الاثنين 16 ربيع الاول 554

ثم الاقاويل الكلية فى علم النفس . ثم ما بعد الطبيعة .

قال : وسنفرغ لبيان ما يلحقها من الشناعة فى المقالة التي تلي هذه ان شاء الله . ويقع فى 145 ورقة .

51 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجلد ضخم مجموع من اقاويل الاوائل فى طباع الاغذية وقواها ..

تأليف رجل راغب فى الحكمة يقال له اسحاق ابن سليمان الاسرائيلي ، كتب على ظهره انه بخط ابن وافد .

52 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب الخصال لابن زرب رحمه الله على مذهب مالك ابن انس رحمة الله عليه . رواية ابي الوليد يونس ابن عبد اله بن محمد بن مغيث الخطيب بجامع قرطبة ، عن ابي بكر محمد بن يبقى بن زرب القاضي رحمة الله عليه يقع فى 85 ورقة . فى رق الغزال بخط جميل .

53 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد السفر الاول من منتخب الاحكام لابي عبد الله محمد ابن عبد الله بن ابي زمنين الالبيري رضي الله عنه .

بخط احمد بن عبد الملك بن جهور بن فجلون الانصاري في غرة جمادى الاولى من سنة 526 .

ومنها مجموع من جملة ما به :

54 — شرح كتاب الشهاب . تاليف الفقيه المحدث ابي القاسم بن ابراهيم الوراق .

55 — وكتاب الورع رواية عبد الملك ابن حبيب «22 ورقة» .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد ، مجموع في حجم صغير للجيب بخط مغربي جميل ممتاز . فيه ثمانون ورقة اوله :

56 — رسالة لابي بكر بن العربي المعافري في طرق حديث « ليس من ام برام صيام في ام سفر » وفي رواته واسانيد ابن العربي فيها ، 20 ورقة . تنقصها الورقة الاولى .

57 — وتليها رسالة له ايضا في اسانيد حديث عقبة بن عامر : ما منكم احد يتوضأ فيسبغ الوضوء الخ» « 4 اوراق » .

58 — وتليها رسالة له ايضا في احاديث المصافحة «6 اوراق» وقد نقل ابن رشيد في رحلته عن ابي الربيع الكلاعي بيان ما وقع لابن العربي من الوهم في هذه الاحاديث على قلتها !

59 — ويليها « مجلس الروضة » املاء ابي الفوارس طراد بن محمد الزينبي «3 ورقات » .

60 — ويليه كتاب « قدوة الغازي » تأليف ابي عبد الله محمد بن ابي زمنين . رواية المقريء الحافظ ابي عمرو عثمان بن سعيد عنه .

وفيه ثلاثة وعشرون بابا في : الترغيب في الغزو وفضائل اهله ، وفي النية في الغزو ، وما ينبغي للغازي ان يلتزمه من محاسن الاخلاق . وفيما اعطى الغازي بمسالة او بغير مسالة . وفي ارتباط الخيل والغزو عليها ، في الانفاق في سبيل الله — وما يومر به الغزاة وما ينهون عنه . وفي رمي العدو بالنار والمجانيق وقطع الماء والمير عنهم . وفي الغلول ، وفي فضيلة الحارس في سبيل الله وما يستحب من التكبير . وما يستحب من القول عند الخروج وعند النزول وعند دخول القرى والنهي عن القتال على شيء يجعله الامام وما جاء في الفرار من الزحف والانحياز الى الفئة وحمل الواحد على الجماعة وما يجوز فيما اصيب من طعام العدو وما لا يجوز . وما يجوز من ركوب دواب الغنيمة والانتفاع بثيابهم وسلاحهم وما لا يجوز . وما يجوز حمله من ارض العدو ولا يدخل في المقاسم ، وما يجوز للغزاة اكله من ثمر القرى الخالية وما لا يجوز . وما يكره من الوحدة في السفر وما يستحب من هيئة السير . وما جاء في غزو الرجل بغير اذن ابويه والعبد بغير اذن سيده وجهاده في الدين ، وما جاء في الجهاد مع ولاة السوء ، وفي فضل الشهداء وثوابهم وفي فضيلة الرباط .

قال : فعسى ان يتعلم ذلك ويقتدى به من لم يتقدم له عناية بطلب عمله ممن يؤثر الغزو في سبيل الله بنية حسنة وطريقة قويمة .

وكل ما ذكرته في هذا الكتاب من الآثار والمسائل فجميع ذلك من رواياتي ، واستخرجته من كتبي .

وهو يعقب بتفسير المفردات الغريبة الواردة في الآثار ويكثر النقل عن عبد الملك بن حبيب في المسائل الفقهية ، ويقع في 34 ورقة .

وهذه الرسالة اللطيفة تكون حلقة في سلسلة الجهود المتواصلة التي قام بها فقهاؤنا الامجاد رضي الله عنهم في مختلف العصور في سبيل بث روح الكفاح والتوعية بما للمكافح وما عليه .

61 — ويليه جزء من فوائد ابي الحسن محمد ابن علي بن صخر الازدي رواية ابي طاهر السلفي ، عن علي بن الحسن السلمي كتابة من مكة «3 اوراق»

62 — ويليه جزء فيه منتقى من فوائد ابي القاسم سعيد بن محمد بن الحسن الاشقري المروردي المعروف بالادريسي رواية الحافظ ابي طاهر السلفي الاصبهاني عن الشيخ ابي محمد هبة الله بن احمد بن محمد ابن الاكفاني الامني عنه ، بحكم كتابته اليه من صور .

وهي احاديث واشعار وملح مروية باسانيدها ، في سبعة اوراق .

63 — ويليه تخميس لمنفرجة ابن النحوي ، مبتور الاول ، ونقول في خواص المنفرجة وتخميسها « 4 اوراق » .

64 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد المقالات السبع من كتاب دياسقوريدوس وهو هيولي الطب ، في الحشائش والسموم . ترجمة اصطفن بن

سهل واصلاح حنين بن اسحاق ، مجلد ضخم في 150 ورقة .

65 — ومنها عشرة اوراق من تفسير ديسقوريدس لابن جلجل ، يذكر الكلمة المفردة ثم يفسرها بالعربي .

ومنها مجموع ، من جملة ما به :

66 — كتاب البدع ، لابن بكر الطرطوشي .
67 — وكتابه في « النهي عن السماع والغناء »
68 — وكتاب « بر الوالدين » لعله له ايضا.
69 — ونسخة سقيمة من غنية عياض مبتورة الاول .

70 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد نسخة جيدة من الثلث الثاني من الاكتفاء للامام الكلاعي الشهيد رحمه الله ولم يسم مؤلفه في الكتاب، فخبط كثير من المفهرسين الاوربيين في شأنه مثل بروكلمان « ج 1 ص 345» وديرانبورغ «ص 23» فتوهموه جزءا من الاكتفا لابن الكرديوس التوزري .

71 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب الجمل للزجاج بخط سلامة بتاريخ 982 بمدينة شوبري « كتابة طالب » .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع من جملة ما به :

72 — لامية في مصطلح الحديث ، من نظم محمد عبد الهادي بن عبد الله بن علي ابن طاهر بن الحسن الحسني ، تقع في 6 اوراق .

73 — وجوهرة التوحيد للقاني ، بخط محمد ابن قريش وبعدها اجازتها له بخط استاذه محمد ابن يحيى بن عبد الهادي الجزائري المنشا التطواني الدار بتاريخ آخر ذي القعدة 1059 وذكر اسانيده في علم الكلام ، وقال انه قراه ببلده وفي رحلته لبلاد الروم .

راجع ترجمته في الجزء الاول من تاريخ تطوان ص 345 .

74 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد نسخة مغربية حديثة من « الهارونية » في الطب . لمسيح بن حكيم الدمشقي الفها لهرون الرشيد ، وتاريخ نسخها يوم الاربعاء الخامس من ربيع النبوي 1214 هـ.

75 — ومعها ستة اوراق : اربعة في الاول ، وورقتان في الاخير تشتمل على تقاييد مغربية مهمة مثل :

ما اشتراه الرئيس العربي الجزيري لمراكب سيدنا الجهادية من جبل طارق في 8 ذي الحجة متم 1204

وما وجه من ذلك للعرائش صحبة الرايس حمان في 12 ذي الحجة 1204 .

والاقامة التي قدم بها الرايس الفلامنك اواخر شعبان 1204 .

وكيفية تفريق كسوة البحرية والطبجية التي ورد بها الرايس قدور شابب عينه من الكتان .

وبيان تفرقة صلة سيدنا المنصور بالله على جيش طنجة وعدده 1794 . ونحو ذلك .

76 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد الجمل للزجاج .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية مجموع ، من جملة ما به :

77 — مقصورة المكودي ، مقابلة على نسخة بخط ناظمها .

78 — وشرح زروق على نونية الششتري بخط احمد بن احمد بن علي الاغصاوي . كتبه من نسخة بخط المؤلف .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد :

79 — رحلة الغساني الى اسبانيا ، من دون تسمية المؤلف .

80 — وكتاب « الصلة » لابن بشكوال بخط حديث .

81 — والجزء الثاني من كتاب التكملة بخط حديث .

82 — ورحلة ابن بطوطة ، كتبت بمدريد عام 1848 عن نسخة بخط احمد ابن عبد الرحمن المغيلي مؤرخة بعام 1139 .

83 — والسفر الثاني من تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب لابن خلدون مبتور الاخر ، عليه تملك احمد الترجمان بتاريخ 1240 .

84 — وتفسير غريب القران لابي بكر محمد ابن عزيز السجستاني كتب عام 765 في ورق شاطبي جيد .

85 — تاريخ الحكماء للقفطي بخط حديث .

86 — القرطاس لابي محمد بن عبد الحليم الغرناطي ابي عبد الله بن ابي زرع الفاسي ، بخط احمد بن علي بن محمد الفلوس بتاريخ 1214 .

87 — المعجم في اصحاب الصدفي لابن الابار ، نسخة حديثة بخط احد الاوربيين باخرها فهرس بالعربية والاسبانية .

88 — بغية الملتمس للضبي بخط بعض الاوربيين مع فهرس .

89 — تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية القرطبي نسخه من نسخة باريس بشكوال داغينغوس « 33 ورقة » .

90 — نسخة اخرى من تاريخ الحكماء للقفطي بخط احد الاوربيين .

91 — كتاب الفلاحة لابن العوام بخط بعض الاوربيين في جزاين ص 1936 .

92 — الحلة السيراء لابن الابار بخط بعض الاوربيين ، بآخرها فهرس .

93 — المستعيني في الطب . نسخة قديمة في 139 ورقة .

94 — جزء اخير من الاحاطة بخط سقيم لبعض الاوربيين .

95 — اخبار الحكماء للقفطي ، بخط الكاهن بولس بن الياس الهدان الماروني نزيل مدريد سنة 1763 .

96 — ابن خلصون في الطب .

97 — درر السمط ، مبتور الاول . نسخة سقيمة .

98 — كتاب افهام الانجال . احكام الاجال ، مما صنفه محمد بن عبد الكريم بن محمد بن يخلف المغيلي التلمساني .

وهو تعليق على بيوع الاجال من مختصر ابن الحاجب في حجم صغير مبتور الآخر .

99 — ومنها شرح برام علي مختصر خليل .

100 — ومنها تاريخ الحكماء للقفطي بخط حديث .

وفي المقال المقبل نواصل الحديث عن بقية المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد بحول الله .

محمد ابراهيم الكتاني

اذنان ... وفم واحد

قال ابو الدرداء :

انصف اذنيك من فيك ، فانما جعل لك اذنان اثنتان ، وفم واحد ، لتسمع ضعف ما تتكلم .

وثائق تاريخية أدبية حول :

العلاقات السياسية بين غرناطة وفاس في منتصف القرن الرابع الميلادي

من إنشاء الوزير لسان الدين ابن الخطيب

بقلم الدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

كنا قد نشرنا على صفحات مجلتنا الغراء « دعوة الحق » بالعدد التاسع والعاشر (ربيع الاول والثاني 1386 هـ ـ يوليو ـ غشت 1966 م) وثيقة عقد زواج نصري ، جرت رسومه في قصر الحمراء بغرناطة ، بين كل من السلطان ابي الحجاج يوسف الاول بن اسماعيل بن الاحمر ، بصفته وليا ووكيلا عن اخته ، وبين القائد الرئيس ابي الحسن علي بن ابي جعفر بن نصر ، وكانت تلك الوثيقة اول ما خط قلم ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، في كتابه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » والذي اشرنا في العدد المذكور من المجلة الى محتويات هذه المخطوطة ، وهي ـ بعد عقد الزواج هذا ـ مجموعة من الرسائل السياسية التي صدرت عن البلاط الغرناطي في عهد يوسف الاول هذا ، الى البلاط المريني في فاس ، على عصر السلطان ابي عنان فارس بن السلطان ابي الحسن علي بن عثمان بن عبد الحق المريني • وهذه الرسائل ـ كما ذكرنا ـ تمثل في مجموعها العلاقات السياسية التي كانت تسود المملكتين ابان القرن الرابع عشر الميلادي ، وهي ذات مظاهر تتسم بالصفاء والمودة ، وتوالي النجدات والمساعدات الحربية والمادية من المغرب نحو الاندلس ، جريا على سنة ملوك العدوة منذ عرف الاسلام شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا)• ولا عجب فقد كانت القيادة الاولى للفتح العربي معقودة اللواء للقائد البربري طارق بن زياد ، كما كانت الاندلس يوما امتدادا للتراب المغربي وذلك زمن كل من المرابطين ثم الموحدين •••

هذا ، ونقدم اليوم الرسالة الاولى من هذه المجموعة ، تلك التي يغتبط فيها سلطان غرناطة يوسف الاول ، ويشكر معاصره سلطان المغرب ابا عنان فارس على هدية ـ صحبة رسالة خاصة ـ كان قد بعث بها هذا الاخير في مناسبة فتحه لمملكة تلمسان ، واستيلائه عليها من بني عبد الواد (*) «629 هـ ـ 1232 م » وينوه ابو الحجاج في الرسالة هذه بالمعونات المغربية التي تتدفق نحو مسلمي الاندلس • وقد وردت الرسالة ـ موضوع التحقيق مؤرخة كما سيرى القارىء •

اما الاسلوب فيها فطابعه الاطناب كعادة ابن الخطيب في التحرير ، كما يميل فيها الى السجع ذي الفقرات القصار حينا والطوال احيانا • ولن نتعجل الباحث الكريم ، فها هي الرسالة ـ التي تحقق وتنشر لاول مرة ـ نقدمها اليه ليلمس بنفسه الجوانب التي يهمه الوقوف عليها ادبية كانت ام تاريخية••

(*) مؤسس هذه الاسرة في تلمسان هو جابر بن يوسف بن محمد بن زجدان ، من بني عبد الواد • كان مقيما مع عشيرته على مقربة منها ، وأساء اليهم واليها الحسن بن حيان الكومي ، فانتقل رؤساؤهم، وشفع بهم ابراهيم بن اسماعيل الصنهاجي (شيخ مترجلة لتونة) ، فرد الوالي شفاعته ، فجمع ابراهيم قومه وقتل الوالي ، واطلق بني عبد الواد وخلع طاعة الموحدين ، ثم بدا له الخوف من ان يقوى عليه بنو عبد الواد فدعاهم الى وليمة في البلدة (تلمسان) فعرفوا ان نيته الغدر بهم ، فقبضوا عليه ودخل جابر (صاحب الترجمة) المدينة ، فضبط امورها عام 627 هـ ، وجعل الدعاء للموحدين ، وعظم سلطانه، وبايعته حواضر القطر الا مدينة (تدرومة) ، فقصدها وحاصرها ، فرماه يوسف الغفاري بسهم من سورها فقتله • انظر في هذا (بغية الرواد) ص 105 ـ 107 ، والاعلام ، خير الدين الزركلي جـ 2 ط 2 القاهرة سنة 1954 م •

الوثيقـــة

(8 : 1) ـ ومن ذلك كتاب (1) عن السلطان امير المسلمين بالاندلس ابي الحجاج بن نصر، الى السلطان بالمغرب وما اليه، امير المسلمين الملك الكبير الشهير ابى عنان فارس (2)، بن امير المسلمين ابى الحسن علي، بن عثمان، بن عبد الحق. مراجعا عن هدية بين يدي حركته الى تلمسان، فى شهر المحرم من عام اثنين وخمسين وسبعمائة (3)، تشتمل على خيل عتاق ومهندات ومهاميز (محكمة) (4)، كل ذلك من خالص الذهب، وذهب عين. قدس الله ارواحهما، وشكر من المسلمين سعيهما :

« المقام الذي شانه هبات تبث، وعزمات تحث، وهمم يبث اليها الاسلام همومه، فيذهب البث، مقام محل اخينا الذي قضايا مجده منتشرة فى الجهات، ضرورية بحسب الوصف والذات، عرقية فى الازمات، مشروطة فى المواقف العزمات، يزهى بوجودها الزمن الحاضر وباستقبالها الزمن الآت، ويطرز بها فخر الذين اوراق آياته البينات. السلطان (8 : ب) الجليل، الرفيع، الاسنى، الانجد، الاسعد، الاوحد، الاسمى، الاعز، الامنع، الاصعد، الاشهر، المجاهد، الامضى، المؤيد، المعان، المنصور، الاعلى، الاظهر، الاعدل، الافضل، الاحفل، الاصيل، الاطول، الباسل، الهمام، المعظم، الموقر، المجل، المؤمل، المبرور، امير المسلمين ابو عنان، بن محل ابينا الذي نعظمه ونجله، ونوجب له الحق الذي هو اهله، السلطان الجليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، العادل، الباسل، الاوحد، الاشهر، الاخطر، الكامل، المجاهد الامضى، الاسعد، الاكمل، الارضى، الهمام، الاروع، الباسل، الحافل، المعظم، المقدس، صاحب الجهاد المبرور، والسعي المشكور، امير المسلمين ابى الحسن، بن السلطان الجليل، الرفيـع، الشهير، الخطير، الكبير، الاوحد، الاحفل، الاسمى، الاسعد، الارضى، الطاهر، الجواد، الاعلى، المجاهد، الفاضل، الكامل، المؤيد، المعان، صاحب المكارم الشهيرة، والمآثر التي هي اوضح من شمس الظهيرة، امير المسلمين ابى سعيد، بن السلطان الجليل، الشهير، الاسمى، الخطير، الاصيل، الكبير، الحافل، الفاضل، الكامل، الاسعد، الامجد، الاعلى، الاطهر، الاظهر، الاسمى، المجاهد، المؤيد، المعان، الامضى، صاحب (الجهاد) (5) الامضى، والسعي الارضى، امير المسلمين ابى يوسف يعقوب، بن عبد الحق. ابقاه الله وحيد العلما على تعدد فضله واشتراكه، فذلكة حساب اولي الاحساب من خلائف (9 : 1) الاسلام واملاكه، ولا زال بدر هدى صهوة الطرف من افلاكه، وبحر ندى ينسب جيد الوجود الى عنصره العميم الجود درر اسلاكه، فمتى حاول قصدا جنح منه النجح الى ملاكه، ومهما كاد ضدا كانت النجوم الشوابك من شباكه، حتى يرمى سعده عن قوس الافق ويظفر بسماكه. معظم مقامه الذي هو بالتعظيم مخصوص، وموجب حمده الذي محكمه فى كتاب البر منصوص، وموقر ملكه الذي تناؤه على اساس الاصالة

---

1) من الريحانة، تبعا لما ذكر فى الكناشة امام هذه الرسالة .

2) بويع بتلمسان فى حياة ابيه فى 30 ربيع الاول 749 هـ (1348)، ثم حدث ان تنازل الاب لابنه عن العرش، حيث جدد السلطان ابو الحجاج يوسف الاول العلاقات السياسية معه، جريا على عادة غرناطة تجاه المغرب. وولد السلطان ابو عنان فارس فى 12 ربيع الاول 729 هـ، ومات خنقا على يد وزيره الحسن بن عمر الفودي فى 28 ذي الحجة عام 759 هـ، وله ثلاثون عاما، ودفن بشالة الرباط، ولا زال شاهد قبره حتى الآن. استمرت فترة حكمه تسعة اعوام وتسعة اشهر، وفى عهده ملك ـ شمن المغرب ـ مدينة تلمسان بعد قتله لملكها يومئذ عثمان بن عبد الرحمن العبد الوادي، كما ملك مدينة تونس. راجع « روضة النسرين فى ملوك بني مرين » تحقيق ونشر : ط . باريس ـ 1 - Ghaouti Bouali. 2 - Georges Marcais

3) الموافق 28 فبراير ـ 28 مارس 1351 م .

4) هذه الكلمة زيادة بنسخ الريحانة .

5) زيادة فى الريحانة .

مرصوص ، الامير عبد الله يوسف (6) ، بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر ، سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي جعل الشكر مفترضا ، والف بين القلوب بعواطف فضله الموهوب فلم يبق فيها مرضا ، وخلص جواهر الاعتقاد من شبه الانتقاد فلم يترك عرضا ، وسدد الاعمال الودية ، والاقوال الاعتقادية الى مرامي التوفيق فأصابت سهامها غرضا ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي سل من الحق حساما منتضى ، وندب الى التماس الخلال التي تحمد والاخلاق التي ترتضى ، وبين من المآخذ والمسالك ما كان مسلما او معترضا ، والرضا عن آله واصحابه الذين اقتضوا من آدابه الكريمة أسنى مقتضى ، وباعوا نفوسهم (9 : ب) النفيسة من الله في نصر دينه ففازوا بدار الخلد عوضا ، والدعاء لمقامكم الاعلى بالنصر الذي لايبقي في فؤاد الدين مضضا ، والعزم الذي يحرض النفوس على جهاد عدو الدين حتى يعود حرضا ، — فانا كتبناه لكم — كتب الله لكم من العز افسحه جنابا ، ومن السعد اسبغه اثوابا ، وملأ صحائف صفاحكم الماضية فخرا وثوابا ، وجعل الصنع الالهي لنداء دعوتكم جوابا ، واسعد الاسلام بايالتكم التي استأنفت شبابا ، ووصلت باسباب التمهيد اسبابا — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع في سلطانكم العلي سبيل لايلتبس ، والاعتقاد في رفيع جلالكم (7) نور يقتبس منه المقتبس .

والى هذا — ايد الله امركم ورفع قدركم — فقد تقرر جبلة مطبوعة ، وسنة مطبوعة (8) — ان المهاداة تغرس المحبة وتنبتها ، وتزكو المودة وتثبتها ، وتصرح الاضغان وتزعها ، وتسل السخائم وتنزعها ، فكيف اذا وردت على ضمائر اصفى في ذات الله من نطف الغمام ، واصون من درر الازهار في اصداف الكمام ، وقلوب متعاقدة على مرضاة الله والاسلام ؟ فيالها من مودات تزكو حينئذ ثمارها !! واعتقادات تسطع انوارها !! وانا ورد علينا كتابكم الكريم على حال اشتياق لوارده ، وظما الى موارده ، حائزا في ميدان البلاغة مزية التقديم ، واصلا سبب البر الحديث بالقديم ، (10 : أ) الى الفاظ مصقولة الاديم ، ومعان حلت من البيان محل الكاس من كف النديم ، مصحبا بالهدية الجهادية ، والمقاصد الودادية ، والمواعد السنية ، والعزائم المتكفلة بنيل الامنية . فوقفنا من ذلك كله على انواع بر في اصنافها مختارة ، وضروب

---

6) هو السلطان يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري ، يكنى « ابا الحجاج » ، ويعرف بـ : « امير المسلمين » ، كما عرف بـ : « الغالب بالله » ، ودعاه المؤرخون والمستشرقون « الملك العالم » ، و « الشاعر الفنان » . ولد بحمراء غرناطة في 28 ربيع الثاني عام 728 هـ الموافق 28 يونيه عام 1318 م ، من أم نصرانية ، كان والده قد استولدها فانجبت يوسف هذا بعد ولاية ابيه الحكم بنحو خمس سنوات ، ولما توفي الوالد في رجب عام 725 هـ (يونيه 1325م) كفلت الابن جدته ام ابيه ، وكان لها دور وفعالية في تكوين ابي الحجاج تربويا وثقافيا وسياسيا ، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت في كفالته عام 749 هـ (1348م) . اعتلى يوسف الاول عرش غرناطة اثر مقتل اخيه محمد الرابع ، في يوم الاربعاء 13 ذي الحجة عام 733 هـ (25 اغسطس عام 1333م) ،وكان السلطان الجديد لم يبلغ بعد سن الرشد ، فقد كانت سنه اذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية اشهر . بيد ان المواهب التي اختص بها ، وما اهلته له التقاليد الملوكية جعلته يضطلع باعباء المملكة ، ويتمرس شئونها في ظل ادارة حاجب اخيه ابي النعيم رضوان ، حيث وقع الاجماع على اختياره للوزارة ، اوائل المحرم 733 هـ (منتصف سبتمبر عام 1333 م) ، فرضي به الكل ، وفرحت العامة والخاصة للخطة .... توفي السلطان قتيلا بيد مخبول اثناء سنة عيد الفطر عام 755 هـ (19 اكتوبر 1354 م) ، ولم يتجاوز عمره وقتئذ ثمانية وثلاثين عاما ، بعد ان حكم مملكة غرناطة 21 عاما ، حفلت بأحداث جد جسام ، هي في تاريخ الاندلس فترة حقيقة بالبحث والدرس والتحليل راجع : ابن خلدون في (العبر) ج 4 ص 170 ، والمقري في (ازهار الرياض) ج 1 ص 167 ، وابن الخطيب في كل من (الاحاطة) ج 1 ص 148 ، ج 2 ص 59 ، 60 و (اللمحة البدرية) ص 89 ، 99 .

7) في نسخ الريحانة : (في ربيع جلالتكم) .

8) لعلها (متبوعة) .

فضل تختال من الاحتفاء فى اكمل شارة ، وتشير الى ما وراءها من العزم الجهادي اكرم اشارة . من كل طرف ذكي الجنان ، طموح فى العنان ، مسرج بالهلال محتف بالعنان ، منقاد لوحي الطرف واشارة البنان، مهتد فى ظلام النقع بذبال السنان . كانما زاحم النجم بتليله ، فالجم بثرياه وقلد باكليله ، وكان الصباح غمر وجهه بمسيله ، والنسيم اللدن مسح عطفه بمنديله، ونهر المجرة ابقى الليل فى تحجيله ، فلو رآه القس لمثله فى ظهر انجيله . متبختر فى مشيه ، مختال فى عصبه ووشيه ، يلاعب ظله نشاطا وترقيها ، ويطرف عن مقلة ملئت تيها ، واودع سحر هاروت فيها . وكل صارم صقيل الحد ، كامن الفضل فى الخلد ، تميمة من تمائم المجد . ما شئت من ماء فى الجلد مسكوب ، وضرام فى الغمد مشبوب ، ورومي الى الهند منسوب. كلف بالعلا ، وازدان بابهى الحلى ، وهام ببيض الطلا، حتى بان نحوله بالهوى ، ورق جثمانه ، وتضاءل بين الاجفان انسانه . من اللاتي عودتها الايالة الفارسية(9) (10 : ب) خوض الغمار ، وجردتها من مخيطها للحج بين يدي مقامها والاعتمار ، وعلمتها بنثار الجماجم رمي الجمار ، وكل محكمة القدار محلاة ببحت النضار، منظومة الخرز نظم الفقار . ابدعتها ارباب الحروب فى اشكال المحاريب ، وابرزتها فى المراى الانيق والشكل الغريب . تهمز بها حروف الجياد عند سكونها ، وتثار عقبان الصفوف من ركونها . فيالها من هدية ازوى فيها العيان بالسمع ! وتثنية قامت عندنا مقام الجمع! وذكرتنا بازدواجها الحكمة فى ازدواج الجوارح كالعين والسمع ، وعرفتنا بتثنية اشكالها ، وانفراد الكتاب المغرب عن جلالها بركة الوتر والشفع ، فاغرين لسان الشكر بخلال مهديها ، واقبلنا وجوه الود وفادة مؤديها .

وقلنا : لاينكر العذب من منبعه ، ولا النور من مطلعه ، ولا الفضل اذا صدر من موضعه ، وهذه البلاد - ايدكم الله - اسماع اعدائها مصيخة الى مثل هذه الانباء ، وقلوبها من اتصال اليد (بذلك العلا) (10) ، محملة بانقل الاعباء . فاذا عرفت اعتناءكم بامرها ، وعملكم على نصرها ، واهتمامكم بشانها ، ومواعيدكم المتكفلة باتصال امانيها ، قصر شاو عدوانها ، وتضاءل نار طغيانها ، ووازنت الاحوال بميزانها . ونحن ان ذهبنا الى تقرير ما عندنا من التشيع الذي آياته محكمة ، ومقدماته مسلمة ، فلا يعترض منها رسم (11 : أ) ، ولا ينازع فيها - والحمد لله - خصم ، لم يتسع نطاق النطق لاداء معلومها ، ولا وفى المكتوب ببعض مكتومها . فحسبنا ان نكل ذلك الى من يعلم ما خفي من السرائر ، ويبلو مخبآت الضمائر .

وعرفتمونا بعزمكم على الحركة الشرقية التي قد حتم زندها فاورى ، وابرتم ظرفها ، وانكم تمهدون الى الجهاد فى سبيل الله سبيلا ، وترفعون الشواغب جملة وتفصيلا . وتكون نيتكم الصادقة تقصد هذا المرمى ، وتخطب هذا الغرض الاسمى . خصكم الله بالاثرة الاثيرة ، ونصركم فى المواطن الكثيرة (11) ، فانكم تعاملون من لايضيع عمل عامل (12) ، ولا يخيب امل آمل ، والله تعالى يقدم الخيرة بين يديكم ،

---

(9) نسبة الى « فارس » ابي عنان السلطان ، وربما ورى بدولة فارس المعروفة قديما فى الشرق .

(10) زيادة وجدناها بنسخ الريحانة .

(11) اقتباسا من قوله تعالى :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » سورة التوبة : 24 .

(12) اقتباسا من قوله تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا ، لاكفرن عنهم سيئاتهم ، ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » سورة آل عمران : 194 .

ويتمم نعمته عليكم (13) ، ويجزل عـوارف المواهب لديكم بفضله .

وقد حضر بين يدينا خديمكم فلان ، فالقينا اليه من شكر مقامكم ما لزم ووجب ، وجلونا منه بعض ما تستر بالعجز عن ادراكه واحتجب ، فلمجدكم الفضل فى الاصغاء لما يلقيه ، والقبول على مامن ذلك يؤديه ، والله سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم « والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى ، ورحمة الله وبركاته » .

حققه

فى القاهرة : د . محمد كمال شبانة

---

(13) من هنا جاءت نهاية الرسالة فى نسخ «الريحانة» هكـذا :
« ويجزل عوارف المواهب لديكم بمنه وفضله . واعلموا ــ وصل الله لكم سعادة متصلة الاسباب ، ووقاية سابغة الاثواب ، والاذيال ضافية الاثواب ــ انه حضر بين يدينا خديمكم الشيخ الاجل الاعز الموقر ابو فلان ، كتب الله سلامته ، وولى كـرامته ، فالقينا اليه من شكر مقامكم الكريـم ما لـزم ووجب ، وجلونا منه بعض ما تستر بالعجز عن ادراكه واحتجب ، فلمجدكم ــ أبقاكم الله ــ الفضل فى الاصغاء لما يلقيه ، والقبول على مامن ذلك يـؤديـه ، والله سبحانه وتعالى يصل لكم عوارف الابد، ويحملكم من مرضاته على ما يضاعف لديه مواهب نعمائه ، ويحقق الظنون فيكم من الدفاع عن دينـه وجهاد اعدائه ، والقيام بسنن الجلة من خلفائه ، وهو ــ جل وعلا ــ يحفظكم فى كل الاحوال ، ويسدد عصمة الوارفة الظلال ، والسلام الكريـم يخص مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلـى ، ورحمـة الله تعالـى وبركاتـه . وكتبه فى كذا من التاريخ . عرفنـا الله خيـره » .



وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس

نشر وتقديم :
الأستاذ محمد المنوني

مقـــدمـــة :

عندما احتلت فرنسة بلاد الجزائر، نزح عنها كثير من العائلات مهاجرين لبلاد المغرب، واستوطن أكثرهم مدينة فاس، وفي أوائل «اللسان المعرب» (1) تحدث عن بعض بيوت هؤلاء المهاجرين بفاس : من اشراف وعرب وزناتة، واقتصر على أهل الرئاسة منهم، فذكر بعض بيوتات تلمسان، ومعسكر ونواحيها، ومستغانم، ثم ذكر العرب الحشم وبني عامر.

وقد كون هؤلاء ــ مع الاسر المهاجرة من قبل ــ وحدة في مدينة فاس، التي صاروا يعرفون فيها باهل تلمسان على طريق التغليب، وصار لاشرافهم نقيب خاص، ومن نافلة القول الحديث عن الخدمات التي قام بها عدد من هؤلاء المهاجرين بالمغرب، في ميادين التاليف والتدريس والادارة.

وكما يستفاد من الوثيقة المعنية بالامر، فانه في اوائل عام 1312 هـ / 1894 م حاولت فرنسة جعل هؤلاء المهاجرين من رعيتها، وبسط حمايتها عليهم، فرفض معظمهم هذه المحاولة، واعلنوا انهم مغاربة، وحرروا في هذا الصدد الوثيقة (2) التي نقدمها.

وهي مؤرخة في مهل ربيع النبوي، عام 1312 هـ 1894 م، ومذيلة بشكلي عدلين من نفس المهاجرين، وهما : محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ومحمد ابن محمد النسب، وفيها يشهد بمضمنها ــ زيادة على العدلين ــ 546 مهاجرا رقمت اسماء جميعهم بمنة هذه الوثيقة حسب العناوين التالية :

— شرفاء تلمسان.
— عوام المهاجرين من تلمسان.
— شرفاء المهاجرين من بني عامر.
— عوامهم.
— من شرفاء غريس وام عسكر.
— من عوامهم.
— شرفاء مستغانم.
— عوام مستغانم.

والوثيقة محررة بلهجة وطنية اسلاميـــة، في اسلوب يغلب عليه السجع، ومكتوبة في 28 سطرا، عدا اسماء المهاجرين المرقومة بمنة الوثيقة، وخطها مدموج لا باس به، يميل للمغربي، وهو ــ فيما يبدو ــ خط نفس العدل الاول : محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، العالم المعروف، المتوفى عام 1324 هـ / 1906 ــ 1907 م (3)

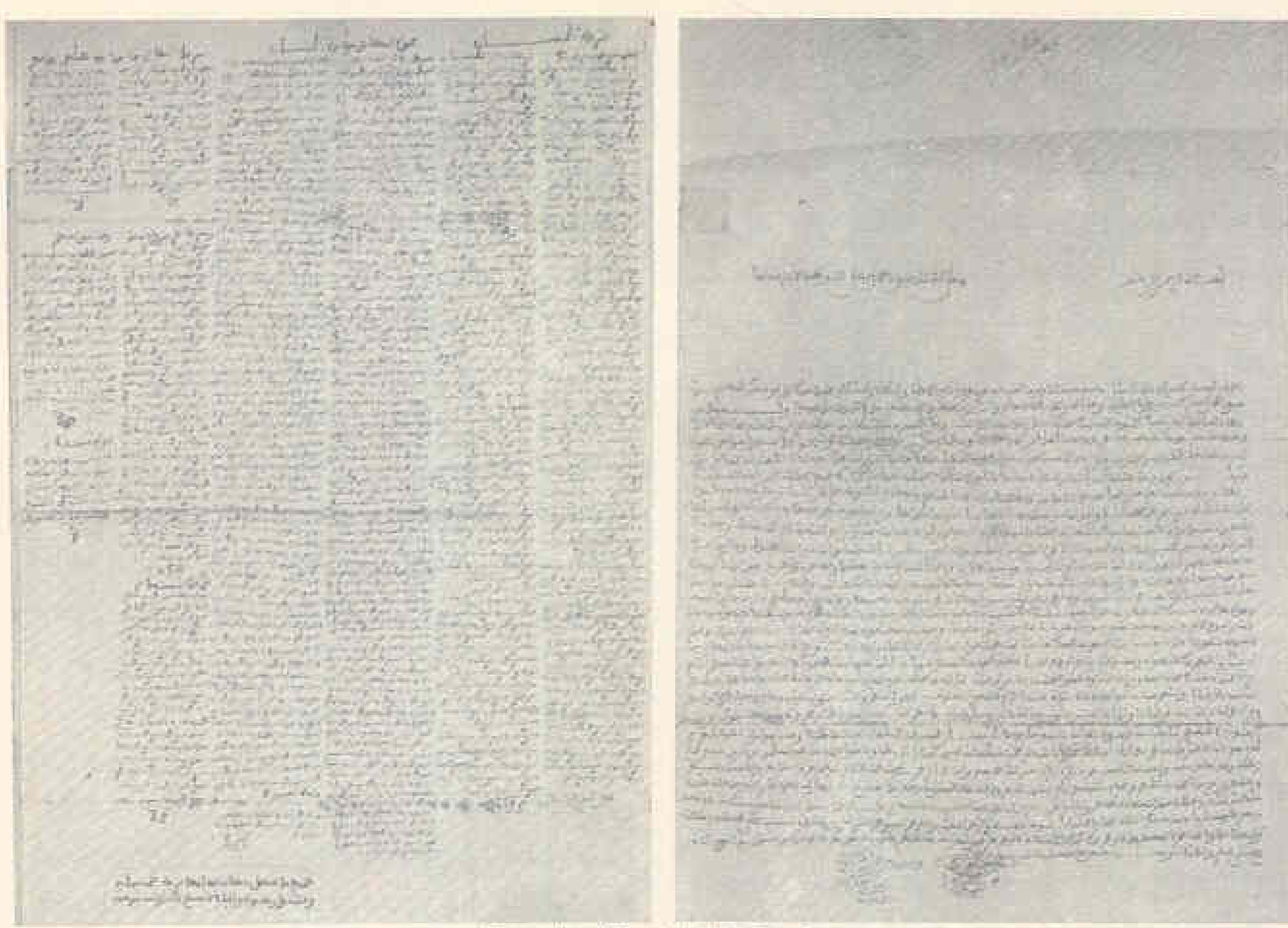
وستقدم هذه الوثيقة مجردة عن لائحة الاسماء التي توجد في صورتها الفوتوغرافية المذيل بها هـذا المقال وهذا نص الوثيقة :

---

1) عند القسم الاول : واسمه الكامل: « اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب » ، تاليـف المؤرخ الجليل محمد بن احمد السليماني الحسني، يوجد الجزء الاول منه بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 297

2) هـذه الوثيقـــة يوجد اصلها في حوزة الاستاذ، السيد عبد الوهاب بنمنصور، وعن هـذا الاصـل اخـذت الصـورة المذيـل بهـا هـذا المقـال.

3) له ترجمة في « رياض الجنة » للمؤرخ الشهير عبد الحفيظ الفاسي الفهري، ج 2 ص 6 ــ 8.



مصورة وثيقة المهاجرين التلمسانيين بفاس

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله رافع منار الاسلام على كل ملة ، خافض درجة الكفر ومن انتمى اليه ببراهين قواطع الادلة ، والصلاة والسلام على من سن الهجرة وفضل المهاجرين، سيدنا محمد خاتم النبيئين وامام المتقين ، وعلى آله واصحابه الذين هاجروا لنصرته فصاروا ائمة يقتدى بهم في كل وقت وحين .

وبعد : فلما قدم لهذه الحاضرة الادريسية ، المحفوفة السنية ، بعض النصارى من ايالة الفرانسيس وصار يلتمس دخول المهاجرين بها من الجزائر وتلمسان وعمالتهما في حمايته ، ونفوذ حكمه فيهم بمقتضى سيرته ، فزع من ذلك أهل المروءة والعقلاء ، والعلماء ، وذو الراي والدين والفضلاء ، واحتجوا على انفسهم واخوانهم بنصوص الشريعة المطهرة ، انه لا يسوغ لمومن رفض بيعة الاسلام والدخول في ولاية الكفرة ، فيعد من الناكثين او المارقين ، بعد أن كان في سواد المهاجرين .

وكيف يسوغ الخروج عن هذه الدولة الفائزة على من عداها بمكارم الاخلاق ، المتحلية بصفات الكمال في جميع الآفاق ، التي زادها الله شرفا وجاها ، ورفع منصبها على سائر المناصب واعلاها على من عالاها ، ومدها بالنصر والعدل فزكت وقد افلح من زكاها ، واختار منها اقوم قوم ملاوا بالثناء على سيرتهم الحميدة مسامع وافواها ، وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها باقواها ، ونزهوا انفسهم عن نقائص كالليل اذا يغشاها ، فظفروا بمناقب فاخرة فاذا هي لطالبها كالنهار اذا جلاها ، وقد هجروا اليها وتركوا من عداها، فاووا برايهم السديد، الى ركن شديد ، وزهدوا في اموالهم واهاليهم في سبيل الله ، وقطعوا النظر عما الفوه بارضهم من نفاذ الامر وعظيم الجاه، فابدلهم الله خيرا مما الفوه، وما امروا — قط — من جانب هذه الدولة الفخيمة — ادام

الله نصرها ـ بأمر تكلفوه ، ووجدوا فى الارض مراغما كثيرا وسعة ، حسبما وعدهم مولاهم مع نعيم الجنة ، ومن مات منهم فقد وقع اجره على الله ، ولا زالوا على ذلك حامدين ، منتظرين مصداق قوله تعالى : لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين ، ممتثلين قوله صلى الله عليه وسلم : من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، وقوله تعالى : ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا ، مجتنبين وعيد قوله تعالى : ومن يتولهم منكم فانه منهم، وقوله تعالى : لاتجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، الى غير ذلك مما يصح ان يكون دليلا .

وحيث صفا لقوله بعض الافراد ممن لا اعتناء له بامر الدين ، وممن لا خبرة له بنصوص العلماء العاملين ، وكان مولعا بحب العاجلة ، مصغي « كذا » للاقوال الفاجرة ، اراد الاعيان والاشراف واهل الفضل من خلاصة المهاجرين ، ان يمتازوا عنهم بما اختصوا به وسنوه لذريتهم الى يوم الدين ، فاقبلوا افواجا يتسارعون ، وبكلمة الحق يتشافهون ، واشهدوا على انفسهم انهم برآء ممن دخل فى حماية العدو براءة تامة، وقطعوا عنه الوصال والوفاق ، لما راوه من مخالفتهم وعدم استقامتهم فضلا عن ان يوافقوا على رايهم الفاسد بالاتفاق ، وانهم منذ قدموا لهذه الحضرة بقصد الهجرة قطعوا التشوف عن وطنهم وعمن استولى عليه ، وهاجروا ديارهم واموالهم وقرابتهم كما امر الله ابتغاء لمرضاته ، واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق لهم تعلق بالعدو المتولى على الوطن ، وتقلدوا بيعة ملوك الدولة العلوية فى عنقهم كما يجب عليهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من مات وليست فى رقبته بيعة ، لاحد مات ميتة جاهلية ، وقد بايعوا مولانا عبد العزيز كما بايعوا ءاباءه قبل من لدن هجرتهم ايام السلطان مولانا عبد الرحمن ، اسكنه الله فسيح الجنان ، الى وقته ، ودخلوا فيما دخل فيه المسلمون وصاروا رعية من جملة رعيته ، وقد عمهم فضله واحسانه كما فعل بهم ءاباؤه الكرام رحم الله جميعهم ، واقتفى اثرهم ـ نصره الله ـ فى الامر بتوقيرهم واحترامهم والاحسان اليهم وصلتهم ، وزجر من اعتدى عليهم ، وعدم تكليفهم بامر يشق عليهم ولا التفات لبعض ما يصدر من بعض ولاتهم لتدارك الامراء بما يرضيهم من ذلك ، خلد خلد «كذا» الله ملكهم واعلا فى سماء السعادة مجدهم ، وادام عزهم ونصرهم، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

فكان ممن حضر لدى شاهديه ـ شاهدا على نفسه ، ومعترفا ومستلزما بمضمن ما سطر اعلاه ـ اشخاص الاسماء المرقومة بمنته ، الذي اولهم النقيب وآخرهم السيد محمد الشرقاوي وولده محمد ، المشتملين على خمسمائة وستة واربعين اسما ، وما عداهم لا يسعهم هذا ، وهم بحال كمال الاشهاد عليهم، عارفين قدره ، شهد عليهم بما فيه ، وعرفهم معرفة عين واسم ، فى مهل ربيع النبوي الانور ، عام اثنى عشر وثلاثمائة والف .

وبه يشهد على نفسه ايضا : عبيد ربه محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي لطف الله به ، بشكله ودعائه، وعبد ربه محمد بن محمد المشرفي وفقه الله » .

الرباط ـ **محمد المنوني**



دكـان القشـاش

كان لسان الدين بن الخطيب يقول عن قصة فتح العرب للاندلس :

« مملول قصاص واوراق ، وعظم امتشاش ، وآلة معلقة في دكان قشاش »

وكان لسان الدين يعني بذلك ، ان هذه القصة قد اصبحت مملولة من كثرة ما تداولها الكتاب والقصاصون والمؤرخون ، وانها اصبحت من كثرة ما تهالكوا عليها واستهلكوها ، كالعظم الذي لم يعد يكسوه لحم ، فهو يمتص لاستخراج ما عسى ان يكون بداخله من الدهن ، بل انها اصبحت كالآلة القديمة في دكان قشاش ، يبيع الخردوات والاشياء البالية المستعملة

هذا ما قاله لسان الدين بن الخطيب عن قصة فتح المسلمين للاندلس ، ومع ذلك فان الذي روى عنه هذه الكلمة ، وهو المقري ، في كتابه « نفح الطيب » لم يمنعه ذلك من ان يطيل القول في نفس القصة الى حد الاملال الحقيقي ، وذلك عند ما حرص على ان ياتي في موسوعته الاندلسية ، بكل ما قاله في موضوع الفتح جميع المؤرخين السابقين عليه ، حتى ولو كان ما قاله بعضهم لا يختلف عما قاله الآخر الا في الصياغة ، وقد لا يكون هنالك اختلاف حتى في الصياغة نفسها

* * *

وجاء بعد لسان الدين بن الخطيب ، وبعد صاحبه المقري ، اناس كثيرون ، استهوتهم نفس القصة ، فجربوا فيها حظوظهم المختلفة،

كتبها بعضهم تاريخا بالاسلوب التقليدي المعروف ، اسلوب الاستطراد واستعراض الروايات ،

وكتبها بعضهم تاريخا بالاسلوب المنهجي الجامعي ، الجاد الصارم ،

وكتبها بعضهم مسرحيات تقوم على الحوار ، وتخضع لكل مقتضيات الفن المسرحي ،

وكتبها بعضهم الاخر قصصا للقراءة والتسلية ، يلعب الغرام فيها الدور الأساسي ،

ولم يمنع اي واحد منهم من الاقدام على التجربة ، ان القصة نفسها قديمة بالية ، وانها مملول قصاص واوراق ، وعظم امتشاش ، وآلة معلقة في دكان قشاش ، كما كان يقول عنها لسان الدين بن الخطيب

* * *

فهل يضيق هذا الموضوع القديم البالي ببضع صفحات اخرى تكتب على « هامشه » وتضم الى مئات والآف الصفحات التي كتبت فيه !

لا اظن ذلك ، خصوصا اذا كان بامكاننا ان ننهج في هذا « التهميش » اسلوبا خاصا ، لا هو بالاسلوب التقليدي الذي لم يعد يستهوي جمهرة القراء ، ولا الاسلوب المنهجي الجاد الصارم الذي لا يطيقه الا المتخصصون ومن في حكمهم ، ولا هو بالاسلوب الذي يعتمد على الخيال الى حد قد تتعرض معه الحقيقة التاريخية للضياع ، وانما هو اسلوب يهتم بالاحاطة ببعض جوانب الموضوع ، وتنسيقها تنسيقا منطقيا ما امكن ، مع التبسط

في عرضها عرضا امينا، وتسليط اكثر ما يمكن من الاضواء على بعض المواقف والادوار التي ساهمت في تكييف قصة الفتح، وعلى الدوافع الحقيقية للشخصيات التي لعب هذه الادوار، عند اتخاذها هذه المواقف بالذات

* * *

اوربــا المسلمــة

ان فتح المسلمين لاسبانيا – ولا نقول للاندلس الا من باب التجوز ومسايرة التعبير الشائع – يستمد اهميته من كونه كان اول اتصال للعـرب والمسلمين كدولــة، بقارة اخرى كانت جديدة عليهم حتى ذلك الحين، هي القارة الاوربية بعد ان كانوا قد توغلوا في اسيا وفتحوا الشمال الافريقي كله

ولربما كانت اهمية هذا الفتح ستكـون اكبـر من ذلك بكثير جدا لو قدر له ان يسير الى نهايته التي كانت قد رسمت له، ولولا ان ارادة الخليفة نفسه، واوامره الصارمة المتشددة، وقفت في طريقه وهو يجتاز مدينـة (ليون) الفرنسية، ليشمل فرنسا كلها، وليتجاوزها الى المانيا وايطاليا وغيرها من البلاد الاوربية

وقد كان الخليفة في اتخاذه لهذا الموقف، مدفوعا بدوافع، بعضها عام، وبعضها شخصـي، كما سنشـرح ذلك من بعــد

واذن لكان العرب والمسلمـون قـد اصبحوا هم المتحكمين في مصير اوربا منذ ذلك الوقـت المبكـر من التاريخ، ولكانوا قد ساروا بتاريخ الدنيا كله في وجهة اخرى غير التي سار فيها حتى اليوم

وليس هذا مجرد كلام يلقى على عواهنه، وانما هي النصوص والاحداث التاريخيـة الواقعة، وتفسيـر المؤرخين لها من قدامى ومحدثين، من مسلمين وغير مسلمين على السواء

* * *

الوليـد بـن عبد الملـك

لم يكن قد مضـى على الهجـرة النبوية الا ست وثمانون سنة، عندما توفي بدمشق «سنة 705 م» الخليفة الاموي الكبير عبد الملك بن مروان

وقد ترك عبد الملك ولاية العهد من بعده لاثنين من ابنائه، يتوليان الخلافة بعده على التوالي:

الوليــد اولا

ثم سليمان بعد وفاة اخيه الوليد

وهو اسلوب في ولاية العهد قد يبدو غريبا بعض الشيء، ومع ذلك فقد وقع اللجوء اليه في احوال كثيرة في دولة الخلافة الاسلامية، وكان يراد به منع تنافس الاخوة على كرسي الخلافـة، اذ ان كل واحد منهم سيليها بدوره، عندما يصله الدور

لكن هذا الاسلوب كان في الواقـع، مدعـاة الى عكس ذلك في كثير من الاحيان

فالابن الاول الذي يلي الخلافة بعد ابيه، ربما سولت له نفسه – بعد ان يتمكن – ان يحول ولاية العهد عن اخيه او اخوته الى ابنائه، متوسلا لذلك بوسيلــة او باخــرى

وبالمقابل، فان الابن الثاني مثلا، في ترتيب ولاية العهد، ربما يستبطيء موت اخيه، لينال هو ايضا حقه في الخلافة، او ربما يشعر بما يدبـره اخـوه في السر او في العلانية لتحويل ولاية العهد عنه، فلا يجد امامه الا ان يدخل في مؤامرة ضده، او يعلنها عليـه حربا صريحة واضحة

* * *

مهما يكن، فقد توفي عبد الملك بن مروان

واصبح الخليفة من بعده هو الوليد بن عبد الملك

واصبح على سليمان ان ينتظر وفاة اخيه – ربمـا بفارغ الصبر – ليقتعد بدوره كرسي الخلافة

وانما احتجنا الى شرح هذه النقطة بالذات، لانها كانت ذات تأثير في سير عمليات الفتـح الاسلامـي في اوربا، اذ كانت من العوامل التي حالت دونـه ودون الاستمرار الى غايته، كما كانت ذات تأثيـر فعال في المصير المحزن الذي آل اليه الرجل الذي كان على رأس الحملة الاسلامية في هذا الفتح، وهو موسى بن نصيــــر

* * *

موســى بن نصيــر

كان عهد الخليفة السابق الذكر ، عبد الملك بن مروان ، من ازهى عصور الدولة الاسلاميــة ، واحفلها بالنشاط والتوسع في الفتوحات ، والاتصال بعوالم اخرى جديـــدة

وكان الفضل في ذلك يرجع الى عوامل متعددة ، من اهمها توفره على عدد من الحكام الحازمين ، والقادة العسكريين الكبار

ولسنا بحاجة ان نذكر هنا من هؤلاء الا واحدا ، هو موسى بن نصير ، الذي ولي امر افريقية والمغرب على عهد عبد الملك بن مروان .

وكلمة افريقيا والمغرب ، كانت تعني في ذلــك الوقت ما يشمل الآن ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، اي الشمال الافريقي كله ، باستثناء مصر ، او ما يعرف الآن بالمغرب العربي ، او المغرب الكبير

ولي موسى بن نصير امر المغرب ، تابعا في ولايته في بداية الامر للوالي على مصر من قبل الخليفة ، فقد كان الوالي على مصر هو الذي يرجع اليه تعيين ولاة في افريقيا والمغرب

ولكن موسى ما لبث ان استقل بولايته ، وان اصبح غير تابع فيها الا للخليفة نفسه ، مباشرة ، في دمشق .

* * *

قد لا يعنينا الدخول في تفاصيل الاعمال العسكرية التي قام بها موسى بن نصير في المغرب ، وانما يكفي ان نقول على وجه الاجمــال ، انها كانــت تتويجا لكــل الاعمال التي قــام بها الفاتحون والقــادة العسكريون المسلمون الذين سبقوه الى هذه البلاد .

فقد قضى موسى على كل مقاومة او وقوف في وجه الفتح الاسلامي ، سواء كانت هــذه المقاومة من طــرف السكان ، او من طرف الدولة البيزنطية التي لم تدخر جهدا في الدفــاع عن مستعمراتهــا على طــول الضفــة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط .

ان الشمال الافريقي قد اصبح على يد موســى بن نصير ، جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الاسلامية

كما اصبح على يده ايضا ــ وبصفة نهائية دائمة ــ يمثل الجناح الغربي للامــة العربيــة ، بعد ان اصبــح مرتبطا معها برابطة اللغة العربية ، التــي ما لبــث ان اتخذها لغته ، يمارس بها شعائر دينه ، ويتخاطب بها ويتدارسها ، ويسهم في ازدهارها واثرائهــا على مــر العصـــــور

* * *

وتحدثنا المصادر التاريخية القديمة ، ان موسى ابن نصير قد وصل بالجيوش الاسلاميــة في زحفــه في المغرب ، الى درعة وتافيلالت ، وانــه ــ كما يقــول صاحب الوفيات ــ سار حتى انتهى الى الســوس الادنى ، لا يدافعه احد ، وانه ــ على حد تعبير نفس المصدر ــ لم يبق في البلاد من ينازعه من البربر ولا من العرب .

طنجــة وسبتـــة

وتحدثنا المصادر التاريخية ايضا ان موسى بن نصير افتتح طنجة ، ولم يكن الجيش الاسلامي قد وصل اليها من قبل ، وانه ولى عليها ضابطا من جيشه كان قد رافقه في كل حملته العسكرية في الشمال الافريقي ، وابــان فيها عن مهارة ومقدرة عظيمتين ، ذلك الضابط الــذي لن يغيب عنا اسمه بعد الآن ، هو طارق بن زياد

* * *

ثم تزيد نفس المصادر انه لم يستعص على المسلمين في حملتهم هذه ، الا مدينــة واحــدة ، تقع في اقصــى شمال المغرب ، غير بعيــد عن طنجــة ، التي اصبحــت عاصمة المسلمين في هذا القطر

هذه المدينة التي استعصى فتحهــا على موســى بن نصير ، هي مدينة سبتـــة

كانت سبتة تابعة في حكمها اذ ذاك للدولة القوطية في اسبانيا

وكان يحكمها حاكم قوطي اسباني يدعى « الكونت جوليان » سيلعب دورا في سير الاحداث التي نتناولها هنا بالعــــرض

لقد حارب المسلمون (الكونت جوليان) كثيرا ، وحاصروه طويلا ، فصمد لهم واستمات في صموده الى حد بعيد ، ولم يجدوا بدا في النهاية من فك الحصار عنه ومصالحته على شروط معلومة

وبقيت سبتة على ما كانت عليه ، يحكمها (الكونت جوليان) باسم الملك القوطي في طليطلة ، بعد ان تحددت العلاقة السياسية بينه وبين المسلمين الفاتحين على اساس معاهدة صلح مشروط

ثلاثة رجال

يمكن تلخيص الوضعية السياسية في هذا الظرف التاريخي ، وفي الحيز الجغرافي الذي يعنينا الان فيما يلي :

اولا : موسى بن نصير ، وال على الشمال الافريقي كله ، ما عدا مصر ، غير تابع في ولايته الا للخليفة نفسه في دمشق ، عبد الملك بن مروان

وقد اتخذ موسى عاصمة لولايته الكبيرة ، مدينة القيروان ، بتونس

ثانيا : يمثل الدولة الاسلامية في غرب هذه الولاية الكبيرة ، طارق بن زياد ، بعد ان عقد له هذه الولاية موسى بن نصير ، وتركه في العاصمة الجديدة ، مدينة طنجة ، وعاد هو الى القيروان

ثالثا : غير بعيد من طنجة، تقع مدينة سبتة ، محتفظة بوضعيتها السابقة ، كقاعدة للدولة الاسبانية القوطية ، على الضفة الجنوبية للبوغاز ، يحكمها الحاكم القوطي الاسباني « الكونت جوليان »

* * *

فماذا يهمنا ان نعرف ، او ماذا نستطيع ان نعرف عن هذه الشخصيات الثلاثة : موسى وطارق وجوليان قبل محاولتنا ان نعبر مع الاحداث التاريخية ، ذلك المضيق الصغير الذي يفصل بين قارتين ، والذي لم يكن حتى ذلك الوقت يدعى مضيق جبل طارق ؟

موسى - مرة اخرى

اما موسى بن نصير ، فينتمي اصلا الى قرية من قرى الحجاز بالجزيرة العربية

ثم انه من عائلة لها سابقة في العمل السياسي

فوالده نصير كان رئيسا لشرطة الخليفة معاوية بن ابي سفيان ، عند ما كان هذا الاخير لا يزال يخوض حروبه الشهيرة ضد علي بن ابي طالب

ويبدو ان نصيرا لم يكن موظفا عاديا ، تصدر اليه الاوامر فينفذها دون مناقشة ، بل كان له رأيه الخاص وشخصيته المستقلة

وكان معاوية بن ابي سفيان بما عرف عنه من مرونة كبيرة ، ومن مهارة في اصطناع الرجال ، يقدر لنصير رأيه الخاص ، ويقره على موقفه المستقل من بعض القضايا الخطيرة

ولا ادل على ذلك من ان نصيرا كان يرفض الخروج مع معاوية في حروبه ضد علي ، محتجا بما يفهم منه انه يراها حربا غير مشروعة ، ومن ان معاوية كان يتفهم موقف رئيس شرطته ، ويغض له عنه ، بالرغم من كونه كان ينظر الى هذه الحروب ونتائجها على انها قضية حياة او موت بالنسبة اليه

وبطبيعة الحال ، فان معاوية ، الرجل الذي كانت دوافعه في الدرجة الاولى سياسية ، ما كان ليتفهم موقف رئيس شرطته بهذا الشكل ، لولا ان هذا الاخير كان يتمتع بمواهب فذة ، كان معاوية يجد نفسه في حاجة ماسة الى استغلالها

* * *

في هذا المحيط السياسي نشأ موسى بن نصير ،

ولكنه فيما يبدو نشأ على خلاف اخلاق والده ، وصفاته المعنوية

فقد كان والده - كما رأينا من المثال السابق - يحكم في تصرفاته الاعتبارات الدينية والاخلاقية

اما موسى فنشأ رجل دولة ، سياسيا محضا ، يتسلح للميدان الذي يعمل فيه بصفات واخلاق الرجل السياسي الذي يعتمد في تصرفاته على حساب الربح والخسارة ، وهو حساب قد يصدق في بعض الاحيان ، وقد يخيب احيانا اخرى كما هو معلوم

وفيما عدا ذلك فقد كان موسى يتمتع بمواهب فذة، كان رجلا سياسيا ، وكان قائدا عسكريا كبيرا ، وكان فصيحا لسنا لا تخطئه الحجة الكلامية .

واهلته هذه المواهب كلها لان يتقلب في مناصب سياسية وعسكرية مختلفة ، قبل ان يصبح واليا على افريقية والمغرب من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان .

لقد قاد قبل ذلك الحملات العسكرية برا وبحرا ، واسندت اليه مهمات سياسية مختلفة ، فقام بها خير قيام

لكن التهمة توجهت اليه وهو يؤدي احدى هذه المهمات السياسية ، وكانت تهمة ثقيلة ، هي تهمة سرقة اموال الدولة والتلاعب فيها ، فالقي عليه القبض وتعرض للمهانة والتعذيب والاحتقار .

بل انها كانت محنة ، لم يفلت منها بجلده ، الا بالوساطات ، والا بتدخل بعض الشخصيات الكبيرة في الدولة ، فقد بلغ من سخط الخليفة عليه ـ الوليد بن عبد الملك نفسه ـ انه كان يريد ان يقتله

نعم ، كان يريد ان يقتله كما روى ذلك ابن عبد الحكم في كتابه « فتوح مصر والمغرب » وهو اقدم وثيقة تاريخية اسلامية وصلت الينا

* * *

وجدت بعد ذلك احداث اخرى ، جعلت الخليفة ينسى غضبه على موسى بن نصير ، وينسى انه كان يريد ان يقتله عقابا له على التلاعب باموال المسلمين .

وهكذا لم نلبث ان وجدنا موسى بن نصير واليا من قبل نفس الخليفة على الشمال الافريقي ، يتمم به عمليات الفتح الاسلامي ، ويصل الى درعة وتافيلالت والسوس الادنى ، ويقضي على كل مقاومة للفتح ، وينصب طارق بن زياد واليا تابعا له على مدينة طنجة ، قبل ان يعود هو الى القيروان ، قاعدة ولايته الكبرى التي تمتد من حدود مصر الغربية الى البحر المحيط

طـــارق بن زيـــاد

طارق بن زياد الضابط العسكري الخطير ، والذي اقترن اسمه على مدى الاحقاب التالية بقصة الفتح الاسلامي للاندلس . والذي قدر للجيش الاسلامي ان يصل الى اوربا تحت قيادته ، والذي اعطى اسمه للمضيق فاصبح يعرف حتى اليوم بمضيق جبل طارق ، هذا الرجل ، ظلمه التاريخ ظلما كبيرا ، كما ظلم كثيرا غيره من الرجال ،

ظلمه التاريخ عند ما لم يهتم بان يدون من حياته الا ما اتصل بعمليات فتح الاندلس ، من اجتياز البوغاز واحراق السفن ، والدخول في معارك مع القوط . وما يلابس ذلك مما قد ياتي تفصيل القول فيه

* * *

اما من هو طارق نفسه ؟ وما ذا كان قبل الفتح ؟ وما ذا كان مصيره بعد الفتح ؟ فان المصادر التاريخية على تعددها وتنوعها تسكت عن ذلك سكوتا مطلقا .

وعند ما تتكلم هذه المصادر ، او تحاول ان تتكلم عن شيء مما يتصل بطارق وبشخصيته ، فانها لا تروي الا ما يزيد في كثافة الغموض المحيط به ، اذ تذكره مرة على انه من اصل عربي ، ومرة على انه من اصل بربري من السكان الاصليين للشمال الافريقي ، ويذهب بعضهم الى ابعد من هذا وذاك ، فيذكر انه من اصل فارسي ، ومن همذان بالذات ! !

* * *

وقد لا يعنينا كثيرا ان نعرف نسب طارق واصله ، ولكننا عند ما نصحبه في عمليات الفتح الاسلامي في اسبانيا ، سنجده يلقي في جنوده خطبة تعتبر الى الآن من غرر البيان العربي ، وفي الذروة من خطب الميدان التي حفظتها لنا كتب الادب والتاريخ العربية ، وسنجد الشك الذي يحوم عند المؤرخين حول اصله ونسبه ، يتجاوز ذلك الى الشك في صدور هذه الخطبة البليغة عنه ، لانها في بلاغتها المتناهية ، لا يمكن ان تصدر الا عن عربي اصيل ، ذي موهبة ادبية رائعة ، او عن مستعرب عريق في الاستعراب ، مع العلم بان البربر كانوا حتى ذلك الوقت حديثي عهد بالاسلام وباللغة العربية

ودون ان نحاول الدخول في استعراض روايات مختلف المؤرخين عن نسب طارق ، نقول : انهم يكادون مع ذلك يجمعون على انه من اصل بربري من

شمال افريقية ، وانه مستعرب بالميلاد ، كما يدل على ذلك اسمه واسم ابيه واسم جده !

فهو طارق بن زياد بن عبد الله

اما بعد جده عبد الله ، فان الاسماء الواردة في بقية نسبه . كما سجله صاحب البيان المغرب ، اسماء غير عربية ، من قبل « ولغو » و « رفحوم » وما الى ذلك ، مما لا نستطيع ان نجزم ما اذا كان نسبا حقيقيا ، ام مجرد اختراع من اختراعات الرواة والنسابين

* * *

وما ذا بعد ذلك عن الرجل ؟

لا شيء على الاطلاق ، الا بضعة ابيات ركيكة من الشعر يرويها له المقري في (نفح الطيب) ، كما ينقل تعقيب بعض الادباء المؤرخين على هذه الابيات ، وهو قوله : « وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته ، لا لعلو طبقتها »

ان معرفتنا بطارق قبل الفتح ، لا تستطيع ان تتعدى انه كان ضابطا في جيش موسى بن نصير ، وانه اصبح واليا على ولاية طنجة ، ولكننا نستطيع في ظل اخباره منذ بداية الفتح ان نستنتج اشياء اخرى

نستطيع ان نستنتج انه كان ضابطا ممتازا وانه كان على حظ وافر من الذكاء والمقدرة ، وانه كان اهلا لان تسند اليه اعظم المهمات ، وان يهتم به الخليفة نفسه ، وان يقف الى جانبه في النزاع الذي سينشب من بعد ، بينه وبين رئيسه موسى بن نصير

بل ان هذه الصفات نفسها هي التي جعلت موسى ، من غير شك يعقد له على ولاية طنجة .

وقد سار طارق في ولايته بمنتهى الحكمة والتوفيق ، ودخل بعد ذلك في مفاوضات سياسية كبيرة ، مهدت السبيل امام المسلمين لفتح الاندلس ، وكان في هذه المفاوضات رجلا سياسيا حذرا ، كما كان في الميدان الحربي قائدا عسكريا جريئا

ولعله قد كان لجمعه بين الاصل البربري وبين التمكن في الاستعراب ، كما رأينا من قبل . سند في تنصيبه حاكما باسم الدولة العربية الاسلامية على ولاية طنجة ، وتسليمه قيادة جيش كان يتكون في معظمه ، ان لم نقل من مجموعه ، من البربر ، السكان الاصليين للشمال الافريقي .

ويجب الا ننسى في هذا المجال ، ان اول اتصال للشمال الافريقي بالاسلام واللغة العربية ، يسبق الفترة التاريخية التي نتحدث عنها بنحو خمسين سنة ، وهي مدة كافية لان يكون اوائل السكان الذين استجابوا لطلائع الفتح الاسلامي في المغرب ، قد تعربوا بالقدر الكافي . ولعل من هؤلاء زيادا ابا طارق ، وجده عبد الله السالف الذكر .

الكونت جوليان وابنته (فلوراندا)

واما الكونت جوليان حاكم سبتة ، القوطي ، الاسباني ، فان الذي يهمنا الان ان نعرفه من شأنه — زيادة على ما سبق — انما هو شيء واحد :

هذا الشيء هو ان الكونت كانت له بنت جميلة تدعى « فلوراندا »

« وفلوراندا » لم تكن تعيش مع ابيها في قصره بسبتة ، تحت رعايته الخاصة ورعاية والدتها ، وانما كانت تعيش بعيدا عنهما معا ، في طليطلة ، في قصر الملك « رودريك »

* * *

كانت العادة جارية بان يرسل الامراء والاشراف والحكام الكبار ، اولادهم وبناتهم ، عند ما يبلغون سن الشباب او يقاربونه ، الى القصر الملكي في طليطلة . ليتأدبوا بالاداب الملوكية ، وليكمل بهم الاطار اللازم في القصر كوصفاء ووصيفات شرف ، ولينالوا في النهاية شرف ان يكون الملك نفسه ، هو الذي اختار لهم الازواج ، وهو الذي تولى بنفسه مباركة زواج من يتزوج منهم

* * *

هكذا كانت « فلوراندا » بنت الكونت جوليان حاكم سبتة ، تعيش في القصر الملكي في طليطلة ، وصيفة شرف

الا ان الذي يبدو انها كانت وصيفة شرف من نوع ممتاز ، اي انها كانت جميلة جمالا غير عادي ، جمالا

لم يستطع مضيفها ، الملك رودريك ، ان يقاوم اغراءه ، فوقع اسيرا في شراك حبها ، ولم يستطع بعد ذلك ان يفلت من هذه الشراك ، الى ان كان ما كان ، مما سياتي ذكره في ابانه

هذه هي « فلوراندا » بنت الكونت جوليان ، وهذه هي بداية قصتها مع الملك رودريك ، وسنرى من بعد ان هذه القصة وتطوراتها ، كان لها تأثير قريب او بعيد في سير الاحداث المتعلقة بالفتح الاسلامي في الاندلس

* * *

ويجب الا ننسى الى جانب كل ذلك ، ان «الكونت جوليان » والد « فلوراندا » لم يكن مجرد حاكم بسيط او عادي في مستعمرة ، فقد كان على صلة قوية جـــدا بسير الاحداث في بلاده ، اسبانيا ، وكان الناقمون على الملك رودريك في طليطلة وعلى سياسته ، ينظرون اليه ـ الى الكونت جوليان ـ على انه واحد منهم ، بل يعلقون عليه كثيرا من الامال ، ويرون انه لبعده عن متناول يد الملك من جهة ، ولسهولة اتصاله له بالقوى الخارجية من جهة اخرى ، يملك من امكانيات العمل اكثر مما يملكون هم

ولعلهم كانوا يرون ايضا ان الكونت يستطيع عند الحاجة ان يجد العون من العرب الذين صالحوه بعد الحرب الضروس التي كانت بينه وبينهم ، والتي لـم يستطيعوا فيها ان يحققوا نصرا ضده ، فاثروا ان يصالحوه وان يتخذوا منه حليفا او ما يشبه الحليف

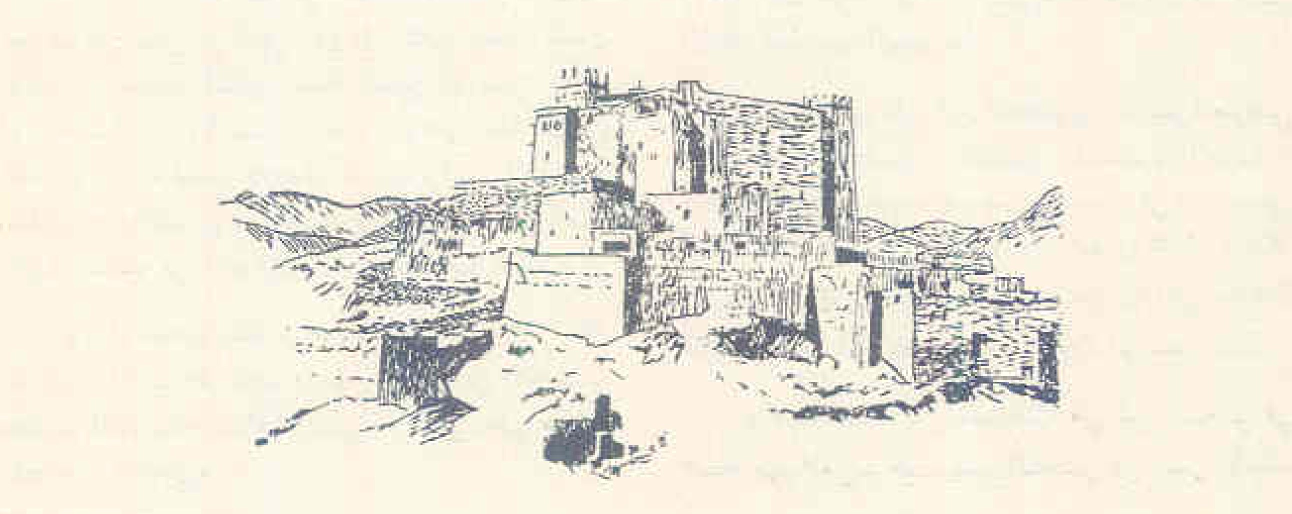
* * *

كذلك باختصار كان الوضع السياسي في الضفـــة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط ، وللمضيق بصورة خاصة ، قبل زحف العرب الى الضفة الشمالية .

فكيف كان الوضع في اسبانيا في هذا الوقت بالذات اواخر القرن الاول للهجرة ، واوائل القرن الثامـن للميـــلاد ؟

يتبـــــع

الرباط ــ عبد القادر الصحراوي





أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي

للأستاذ عبد الله الجراري

ابو الفضل من قلعة بني حماد اصله من توزر ــ دخل سجلماسة وفاسا ــ ثم عاد الى القلعة ، وبها توفي سنة 513 هـ 1119 م عن ثمانين سنة . اخذ صحيح البخاري عن اللخمي ــ وقد سأله ما اتى بك ؟ ــ قال ابو الفضل: لنصر تبصرتك . فقال له : تريد ان تحملني في كفك للغرب . يقصد ان علمه كله فيها ــ كما اخذ عن غيره كالمازري وابي زكرياء الشقراطيسي .

كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين مجاب الدعوة حاضرا مع الله في غالب امره ، له اعتقاد تام باحياء ابي حامد الغزالي . فعند ما افتى الفقهاء بحرقها في صحن مراكش ، ووصل كتاب سلطان لمتون بذلك ، وتحليف الناس بمغلظ اليمين ان ليس عندهم الاحياء ــ انتصر وكتب للسلطان ، وافتى بعدم لزوم تلك الايمان ، فعند ما وصل كتاب رئيس الدولة بالتحريج والتحريم ــ ذهب ابن حرزهم الى ابي الفضل يستفتيه في تلك الايمان ، فافتى بانها لا تلزم .

وتلكم ظاهرة نبيلة تبرهن في جلاء على قوة ايمان الرجل ، وثبات عقيدته ، ورسوخ يقينه في الله غير مكترث للصولة والسلطة التي لا تجرى على موجب للحدود والمبادىء .

وان جرى نوعها بالشرق ، وصدع بها عدة علماء ــ كالنووى ، والعز بن عبد السلام ــ فمترجمنا ابو الفضل المغربي له فضيلة السبق في الميدان ــ فضيلة قل من يتوفر عليها من علماء الشعوب ومثقفيها . وقد نسخ ابو الفضل الاحياء ثلاثين جزءا وكان كل يوم من رمضان يقرأ جزء قائلا : وددت اني لم انظر في عمري سواه . (1)

وما جرأة فقهاء الدولة الذين كانت لهم الصولة في الحكومة المرابطية الا نتيجة قصور وتزمت وجمود في اطار ضيق عن الفهم لمدلولات التشريع الصحيح ، ووقوف عند اقوال فقهاء لم تتسع صدورهم لادراك تعاليم الاسلام ومراميها المنشرحة .

كان الغالب على ابن النحوي العالم الصوفي الصادق ــ الحضور والتعلق بالحضرة الالهية ، ويقال انه بات عنده ضيف ، فدخل في بيت يصلي فيه ، فكثر اللغط ، وارتفعت الاصوات في الدار ، فقال الضيف لابنه : اما تشغلون خاطر الشيخ بهذا في صلاته ؟ فقال له ابنه : انه اذا دخل في الصلاة لم يشعر بذلك .

والغيبة هذه لدى الصوفية هي غير السكر في اصطلاحهم الفني ــ حيث يغيب الشخص عن تمييز الاشياء

---

1) وهذا الاندفاع الغريب نحو كتاب الاحياء البالغ درجة انه لا ينظر حياته سواه ــ والسوى بالطبع قد يتناول اصول الاحياء وينابيعها من كتاب وسنة ، لكن الظن بابى الفضل لا يتحمل هذا ، رغم ما توحى به العبارة . او التشغف بمضامين الاحياء جعله يبالغ ولا من حرج على مبالغ

ولا يغيب عن الاشياء ـ وهو ان لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين اضدادها في مرافقة الحق فان غلبة وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه

في هذه اللحظة تحجب الضيف من قوله كالمنكر له وعن كتب تناول الابن السراج وادناه من عيني ابي الفضل وهو في صلاته فلم يحس به لحضوره مع الحق ، وغيبته عن الخلق ، غريقا في تأملات محرابه

ومر به شخص وهو يمشي في طرق فاس فقال له : اين الطريق الى سوق البقر ؟ فقال له : هو الذي تمشي فيه وانشد :

ان كنت ادري من اين آتي
واين من حيرة امر

فانت يا مركبي حبيس
ويا غلامي فانت حر

فابو الفضل كما نرى يصارح السائل بان السوق المسؤول عنها هي هذه يعني ما هما سائران فيه الان ، فالمجموع فيها من بني الانسان لا يدرون من اين اتوا واين يمرون ويذهبون ، لما علاهم من ذهول وركبهم من حيرة ، لحد جعل الشيخ ابا الفضل يصورها بصورة بقر ـ خطوب وهموم تفقد الانسان انسانيته فيصبح مسلوب التميز فقيد العقل ، يستطيع رائيه وضعه مكان العجماوات من الحيوانات

« يعمى على المرأ في ايام محنته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن »

هذا يفكر في مصيره ، وذاك في ذريته وامرته ، والاخر في الوسط الموبوء ، ورابع في المجتمع وامراضه وكيف الوصول الى العلاج الناجع ؟ اشياء من شأنها ان تقلب الحقائق ، وتجعل الانسان غير الانسان

يقول ابن الزيات التادلي في كتابه التشوف : حدثني يحيى بن عبد الرحمن ، قال : انشدني ابو العلاء ادريس بن محمد الكتامي عرف بابن الرمامة قال : انشدني ابو الفضل :

اصبحت فيمن له دين بلا ادب
ومن له ادب عار من الدين

اصبحت فيهم فقيد الشكل منفردا
كبيت حسان في ديوان سحنون (1)

يشير الى البيت الذي لحسان في كتاب الجهاد من المدونة ونصه :

فهان على سراة بني لؤي
حريق بالبويرة مستطير

فها نحن نرى الصوفي ابا الفضل يرثي لنفسه ، ويشفق من الحالة التي يعيشها ابناء شعبه ، لدرجة ان المتدين القائم بشعائره عار عن الادب بعيد عن الفضيلة في سلوكه وسيرته بل حسبه الاتيان بما وجب عليه اداؤه من طقوس دينية شخصية لا اقل ولا اكثر ـ ناس او متناس ما يجب ان يتحلى به من محامد ومكارم ، تجعله مرموقا بين ابناء الوسط الذي يعيشه ، منظورا اليه بعين التجلة والاكبار ـ وعلى العكس تراه يتأفف ويتالم من طبقات توفرت على سلوك طيب ، وخلق حميد بيد انها في تبرم وابتعاد عن القيام بما فرض عليها من واجبات ، وما طولبت به في دائرة التعبد والنسك من اعمال وتوجيهات لله بل حسبها التظاهر بمظهر اللين والطيبوبة في التعامل مع البشر ، وليت كلا من الفريقين شرب من الكأسين فتعبد وتأدب ـ وعاش مترجمنا ابو الفضل ومن على شاكلته من رجال التصوف الصادق مستريح البال مطمئن القلب سعيدا برؤية ابناء امته سعداء ظاهرا وباطنا

انه ابو الفضل الذي يقال : اعوذ بالله من دعوة ابن النحوي اذ كان مجاب الدعوة ـ جاء عن الولي ابي الحسن علي ابن حرزهم ـ ان ابا الفضل كان يلبس البياض ـ فدخل عليه شاب من طلبة العلم فبادر يسلم عليه ، فاراق المداد على ثوب ابي الفضل من محبرة ، فخجل من ذلك ، فقال له ابو الفضل ـ رفعا للخجل

1) سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي مصنف المدونة التي عبر عنها ابو الفضل : « بديوان سحنون » وعليها اعتماد اهل القيروان . ت : 240 ـ 854

عنه : كنت اقول : اي لون اصبغ به هذا الثـوب ؟ فالان اصبغه حبريا (1) فجرده وبعثه الى الصباغ .

وحدث ابو الحسن قال : اوصاني ابي ان اقبل يد ابي الفضل بن النحوي متى لقيته ، ولو لقيته في اليوم مائة مرة ، فبعثني يوما اليه ليدعـو لي ، فأتيتـه وقـت غروب الشمس فوجدته يتوضأ ـ فلما فرغ من وضوئه نظرت الى الاناء كانه لم ينقص منه شيء . فلما غربت الشمس ـ اذن واقام وصلى وصليت معه ، فلما اراد ان يكبر نظرت الى ثوبه الذي على كتفه يتحرك حركـة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ثم قرأ قراءة مبينة يسردها حرفا حرفا (2) ، فلما سلم دعا لي فانصرفت الى ابي فحدثته وقلت له : رأيته صلى عند غروب الشمس قبل الوقت الذي يصلي به اهل البلد ، فاهوى الي بيده ولطمني وقال لي : اتتكلم في ولي من اولياء الله تعالى، وهل وقت المغرب الا ذلك الوقت الذي صلى فيه ابـو الفضل ، وانما الناس ابتدعـوا في التاخيـر عن ذلـك الوقت ، ثم امرني ابي ان احكي له فعل ابي الفضل من اوله الى اخره ففعلت ، فقال لامي وكانت حاضرة : هذا صبي ترجو من الله تعالى ان ينفعنا به ، فانه وجد بركة ابي الفضل وقد رأيته حين دخل علي ، وعليه نـور فعلمت ان الله قد اجاب فيه دعوة ابي الفضل .

وحدث ابن ابي القاسم عن ابي علي سالم قال : لما دخل ابو الفضل سجلماسة ـ امر ان ينزل في دار قريبة من الحمام بعيدة من المسجد ، فانكروا عليه ذلك غير منعمين النظر فيما يرمي اليه ، وسالوه عن ذلك فقال : خطاي الى الحمام في حق بدني ، فاريد ان تكون قليلة، وخطاي الى المسجد فيها الاجر فاريد ان تكون كثيرة

(سنكتب ما قدموا واثارهم) كما جاء في القران ـ وفـر بالخطا الى المسجد ، ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ، وسبيل الله اوسع من ان يحصر ، ومن المأثور عنه ـ انه لما عاد الى القلعة ـ اخذ نفسه بالتقشف ، وهجر اللين من الثياب ، وليس الخشن من الصوف ، وكانت جبته الى ركبتيه . (3)

فمر يوما بابي محمد بن عصمة ، وكان فقيه المدينة ومفتيها ، فلم يسلم عليه ابو الفضل ـ وربما كان غائب الفكر ، مشغول البال في الذكر والتعلق حسب مشربه ـ فعظم ذلك على ابن عصمة ، فلما رجع ابو الفضل ناداه ابن عصمة محقرا له : يا يوسف ـ فلباه ابـو الفضـل ، واتاه ، فقال له : يا توزري صفرت وجهـك ، ورققـت ساقيك ، وصرت تمر فلا تسلم .

فاعتذر له ابو الفضل ، فلم يقبل عذره . واغلظ له القول فقال له ابو الفضل : غفر الله لك . وحسبه قدوة في هذه بالرسول الاعظـم وكم لهذا العالـم الناسك من كرامات وايات تسفر في عمقها عن مسلـم ذاق حـلاوة الايمان ، وصفت مشاربه ، واصبح من الذين لا يرون في الوجود سوى الخالق جلت قدرته .

يقول القاضـي ابو عبد الله بن علي بن حمـاد : كان ابو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا، ويقول فيه القاضي عياض ـ : كان من اهل العلم والفضل شديد الخوف من الله ـ غالب حاله الحضور معه تعالى ـ لا يقبل من احد شيئا ، انما يتعيش مما ياتيه من توزر

الربـــاط ـ عبد الله الجراري

---

1) حبريـا ـ يقصـد اسـود اللـون شأن المـداد

2) كأنه يشير الى قراءة الرسول عليه السـلام التـي كانت لو شاء العاد لعدها حرفا حرفا . ولا غرابـة ان يشير ابو الفضل على سننها

3) والرجل في هذا الحال متمسك بسنة سيد المرسلين محمد عليه السـلام الذي يقول : ازرة المومن الى نصف السـاق ولا حرج او قال لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين الحديث :

« تقصيرك الثوب حقا   اتقى وانقى وابقـى »

الشيخ عبد الرحيم المغربي 521/592

للأستاذ : سعيد اعراب

(2)

وقد رحل الى الشرق في هذا العصر ، كثير من شيوخ المغرب ، نذكر منهم : ابا محمد صالح بن حرزهم ، وابا القاسم بن العجوز ، وابا جبل الفاسي ، وابا عثمان بن الحداد ، وعبد الجليل بن ويخلان ، وابا القاسم المعافري ، والشريف الادريسي ، وابا الحسن الصواف ، وابا الصبر الفهري وابا الحسن المراكشي دفين بادس .

واستوطن بلاد الصعيد عدد منهم ، كأبي محمد عبد الرزاق الجزولي ، وابي العباس بن الحطيئة ، وابي عبد الله القرشي ، وابي العباس التميمي ، وهو اندلسي الاصل ، توفي بقوص سنة «551» .

وفي هذه السنة بالذات ، نزل السيد عبد الرحيم بلاد الصعيد ، وهي الارض الخصبة بالروح الدينية ، والمركز الاساسي للتصوف الاسلامي ، وقد استقبله عالم قوص الشيخ مجد الدين القشيري ، وقدمه للجمهور كعالم ديني كبير ، وشيخ مرب مصلح ، هدفه خدمة الاسلام ، وهداية الناس الى ما فيه صلاحهم وسعادتهم ، وهي مهمة بعث من اجلها الرسل ، وجاهد في سبيلها المصلحون . وقد اختار الشيخ المغربي بلدنا ــ بأعلى الصعيد ــ مقاما له ، وسلمت اليه مفاتيح المدرسة التي كان يؤمها القاصي والداني ، ويلجأ اليها الفقير والعاني ، وانتظر الناس خروج الشيخ ، وجلسوا حلقات حول الكرسي الذي اعد له ، ولشد ما كانت دهشتهم عندما رأوه يحزم امتعته ويخرج الى السوق ، فيجلس للبيع والشراء ، وظل يتاجر في الحبوب ، ثم في الاقمشة مدة . وكأنه اراد أن يعطي لتلاميذه درسا عمليا ، تتجلى فيه روح العمل ، والاعتماد على النفس ، ومحاربة الكسل والبطالة ، وقد ثار الشيخ المغربي على عادة كانت مألوفة بين الناس ، وهو ان الشيوخ ينقطعون في زواياهم ، والتلاميذ هم الذين يكفونهم مؤونة العيش ، يجمعون من هنا وهناك ، ويلقون بين ايديهم ، قيل يا رسول الله : ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ، قال ومن يكفله ؟ قالوا نحن ، قال كلكم خير منه . وربما جرت ذيلها ــ هذه الآية على اولئك المتواكلين : « يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله»

والتجارة من افضل وجوه الكسب ــ والتكسب لا ينافي التوكل ــ وقد تاجر ابوبكر وعمروعبد الرحمن ابن عوف ، وهم خيرة الصحابة ، وصفوة هذه الامة ، روي عن سفيان الثوري انه كانت له بضاعة يقلبها ، ويقول : لولا هذه لتمنده بي بنو العباس . اي لامتهنوه .

ثم اختار السيد عبد الرحيم مكانا ، بنى فيه رباطا لحماية البلاد ، والذب عن حوزة الاسلام ، وكان يدرب فيه تلاميذه على البطولة ، والفتوة والخشونة ، « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » وليس الصوفي هو ذلك النحيف الضعيف المتهالك ! وقد قال عمر لرجل اظهر امامه غاية الضعف والمسكنة ــ : مالك يا هذا تتماوت علينا ؟ اماتك الله !

ولعل الشيخ المغربي اراد ان يحيي بهذا العمل حياة الربط التي عاشها في بلاد المغرب ، ورآها لاتقل اهمية عن المدارس والمساجد في التربية والتهذيب ، وهي اشبه ما تكون بمراكز التجنيد ، يتلقى فيها المتدربون دروسا علمية وعملية ، تعدهم الامة ليكونوا عمدتها ، وقوتها التي لا تغلب .

وكانت هذه الربط كرد فعل للحروب الصليبية التي اكتوى المسلمون بنارها ، وعانوا منها الويلات في الشرق والغرب !.

وكان لرجال التصوف دور خطير في هذه النكبات لحماية الاسلام ، وكانوا الدرع الحصين لهذه الامة ، سئل شقيق البلخي ـ وهو في صف القتال ـ كيف تجد نفسك ؟ قال والله اني لارى نفسي مثل ما كنت ليلة زفافي !

تعرغ الشيخ المغربي للمدرسة التي وكل اليه امرها ، فجعل اساسها الكتاب والسنة ، ومن اهدافها تكوين المومن الصالح ، ومن بنود منهجها :

1 ـ ان يكون المريد متزوجا ، ليمنع نفسه من النزوات الشيطانية وربما كان الاغلب على الصوفية ان ينفروا من الزواج ، وقد استشاروا رجل الامام الشعبي في الزواج فقال : ان صبرت على الباه فاتق الله ولا تتزوج ، وان لم تصبر فاتق الله وتزوج . وقد تزوج الشيخ المغربي ، وولد له اولاد ، على ما سنذكره بعد . روى عن بشر الحافي انه قال في احمد بن حنبل : فضل علي بثلاث : يطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وانا طالب الحلال لنفسي ، واتساعه للنكاح وضيقي عنه . .

2 ـ ويشترط لقبول المريد في هذه المدرسة ـ ان يكون له عمل يتعيش منه ، حتى لايكون عالة على غيره ، « اشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ » واسلفنا ان الشيخ كان يخرج الى السوق للتجارة ، وكان له رصيد من المال درته عليه تجارته ومع ذلك فقد كان زاهدا ورعا ، عابدا متبتلا. قال الحافظ المنذري ، صاحب الترغيب والترهيب : كان السيد عبد الرحيم من الزهاد المذكورين ، والعباد المشهورين ، ظهرت بركاته على اصحابه ، وتخرج عليه جماعة من اعيان الصالحين ، لصالح انفاسه » .

وكان شيخنا وقورا ، كثير العبرة ، دائم الفكرة ، ياخذ اصحابه بالجد والحزم ، وكان يقول : لو ولد لي ولد ما تركته ليضحك .

وفي الحديث : لو تعلمون ما اعلم ، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، انا اعلمكم بالله ، واخشاكم منه » .

وكان اذا ذكر اصحابه الدار الآخرة ، يقول : ما رأيت اقرب من الآخرة ، غمض بصرك ، وادخل الآخرة .

ومن اداب هذه المدرسة في الذكر ـ ان يكون بادب وخشوع ، بعيدا عن البهرجة ، وآلات اللهو والسماع ، لا شطح ولا تواجد ، ولا صعق ولا نعيق! وكان التلاميذ اذا جلسوا لذكر الله ، ومدارسة كتاب الله ، فكأنما على رؤوسهم الطير !

« والذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »

وكان الشيخ المغربي يكره للمريدين اسم الدراويش ، ويرى انها تسمية اعجمية ، جاءت من الفرس ، والتصقت بالسالكين ورجال التصوف في الشرق العربي ، كما انتقلت معها كثير من عوائد الفرس ، ظنها بعض الجهلة من آداب التصوف الاسلامي . وربما كان الطرطوشي على حق حين كتب الى سلطان المغرب ـ رسالة يقول فيها : ان اهل المغرب ، هم المشار اليهم في الحديث الشريف : « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق » لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة ، وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين .

وكانت بدعة الاسم الاعظم ، هي الشغل الشاغل لكثير من المريدين ، فشدد الشيخ المغربي النكير عليهم في ذلك ، وكان يقول : اروني الاصفر، اريكم الاكبر ! يا هؤلاء ، اسماء الله كلها عظيمة . وكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا الاه الا الله يقول هو : شهدنا بما شاهدنا ، وويل لمن كذب على الله تعالى .

وكما كانت هذه المدرسة تجمع بين العلم والعمل، فمن حرم المعرفة ، لا يجد للطاعة حلاوة ، ومن علم ولم يعمل فما وعى قلبه خيرا ـ كانت كذلك تجمع بين الكتاب والسنة ، والفقه والتصوف ، فبالكتاب والسنة يستضيء المريد ، وبنورهما يرى الطريق ، وبالفقه يفقه امور دينه ودنياه ، وبالتصوف يعرف اداب الاسلام واخلاقه ، فالشيخ المغربي يصور لنا التصوف بانه اخلاق ترتفع الى الادراك ، حتى يصير الادراك اخلاقا ، والاخلاق ادراكا ، ويقسم الاخلاق الى حسية ومعنوية ، ونفسية وكلامية ، ويرد التصوف الى الخلق النفسي ، فالتصوف ـ عنده ـ وان لم يكن ركنا من اركان الاسلام ، فهو ركن من اركان الاخلاق ، والدين الاسلامي علم وعمل واخلاق ، فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق ، فالاخلاق عنده هي كل شيء ، وكان رغم حبه للعطف والاحسان ، يكره ان يكون عطوفا على امثال هؤلاء الناس ، ممن لا علم لهم

ولا عمل ، ولا اخلاق ، وكان يقول : العطف على الناس فيما ينتقص من دينهم واخلاقهم جريمة ، والنصح لهم هو الاحسان الكامل .

وكان السيد عبد الرحيم المغربي – الى كونه عالما عاملا ، فقيها متبحرا في علوم الشريعة ، وكان على مذهب مالك ، وكان كتاب « المعونة » – للقاضي عبد الوهاب – هو الكتاب المفضل لديه في الفقه المالكي ، وكان ينصح تلاميذه بالرجوع اليه .

ومن انجب تلاميذه – ابو الحسن بن الصباغ ، وربما كان اول تلميذ بها ، بعث به السيد القشيري ، وهو ابن عشر سنين ، واقام في خدمة الشيخ المغربي مدة ، ونال حظا وافرا من علمه ومعرفته ، وكان وارث مقامه وسره ، حتى قال بعض الشيوخ : ولو لم يكن من اصحابه الا الامام الشيخ ابن الصباغ – لكفاه عن سائر الامم ، ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » وهناك عدد عديد ممن تخرجوا على يد السيد عبد الرحيم ، وكانوا اعلاما يهتدى بهم ، كابي الحجاج الاقصري ، وولده نجم الدين ، ويحيى ابن موسى القنائي ، وعلم الدين المنفلوطي ، وابي يحيى بن شافع ، ومفرج بن عبد الله الدماميني ، ورفاعة الجذامي ، في آخرين .

قال الحافظ ابن المنذري : وهو « اي السيد عبد الرحيم » شيخ من مشايخ المسلمين ، وامام العارفين ، وكانت اقامته ببلاد الصعيد رحمة باهله، اغترفوا من بحر علمه وفضله ، وتمتعوا ببركاته واشرقت انوار قلوبهم لما دخلوا في خلواته » . وكان الشيوخ وكبار العلماء يرحلون الى زيارته ، والتبرك به . ومن الذين زاروه في اخريات حياته – الشيخ ابو علي الحسن بن العربي الحسين بن الامام ابي الفضل الهمداني ، وهو من كبار علماء مصر .

توفي السيد عبد الرحيم المغربي – صبيحة يوم الجمعة تاسع صفر عام اثنين وتسعين وخمسمائة هجرية «592» وخلف وراءه ثروة من العلم والمال ، وجيلا من التلاميذ والمريدين ، حملوا لواء المعرفة ، احقابا من السنين ، ولا نعرف من آثاره – الا ما يرويه عنه تلاميذه من مقالات في التوحيد ، وحكم في التصوف ، قال في الطالع السعيد:

وللشيخ عبد الرحيم تصانيف في التوحيد ، ورسائل في علم القوم ، وهي عبارة تدلنا على ان الشيخ خلف مؤلفات ورسائل ، وربما ضاعت فيما ضاع من جراء سيل عرم اصاب قنا ، وجرف كثيرا من دورها ، وذهب بآثارها وذخائرها . وقد جمع تلميذه يحيى بن يحيى المعروف بابن الحلاوي – منتخبا من كلامه . ولعل خلاصة هذه الكتب وتلك الرسائل – هو ما ضمنه ابو الوفاء المدني في كتابه « الاصفياء » وقد ذكر بعض الباحثين انه من استقى من الذين كتبوا عن الشيخ الغربي ، قال وتوجد منه نسخة بمكتبة المدينة المنورة . وقد اورد هذا الكتاب جملة من الاحزاب كان الشيخ يجعلها وردا له ولتلاميذه كالحزب الكبير ، وحزب الحقيقة، وحزب السكون ، وحزب تفريج الكروب ، وحزب التوحيد ، وحزب النور ، وحزب التكوين ، وحزب الوحدانية والتوسل لرب العزة ومناجاته .. وكل هذه الاحزاب تبتدىء بالاستعاذة والبسملة ، وآيات قرآنية ، تستغرق نحو نصفها ، ثم ادعية وصلوات على الرسول – كما اشرنا الى ذلك سابقا . والذي يجب ان نسجله هنا – هو ان الشيخ ابن عطاء الله ربما اقتبس كثيرا من حكم السيد عبد الرحيم المغربي ومناجاته .. وانك لتكاد تجد بعض الحكم بالنص كقول ابن عطاء الله مثلا : ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك » فهو نفس قول السيد عبد الرحيم : « اذا اردت ان تعرف مقامك، فانظر فيما اقامك » – مع تغيير بسيط ، ولا نستطيع ان نقول الكلمة النهائية في الموضوع حتى نطلع على اصول حكم الشيخ المغربي ، والايام كفيلة بذلك .

ومن كلامه في التوحيد – ادركت جميع صفات الله الا صفة السمع . وكان يقول : المتكلمون كلهم يدندنون حول عرش الحق ، ولا يصلون اليه .

ومن حكمه : الحياة ان يحيا القلب بنور الكشف، فيدرك سر الحق الذي برزت به الاكوان في اختلاف اطوارها . ويقول : الهيبة في القلب لعظمة الله تعالى ، هو طمس ابصار البصائر عن مشاهدته لمن سواه حسا ، فلا يرى الا بانوار الجلال ، ولا يسمع الا بسواطع الجمال .

ويقول : الرضا سكون القلب تحت مجاري الاقدار ..»

وقد انجب السيد عبد الرحيم – الكثير من الاولاد ، فكان منهم العلماء العاملون ، والشيوخ المربون، كالسيد الحسن ، وكان من الصوفية الفقهاء ، والعلماء الفضلاء ، وكان مالكي المذهب كوالده ، روى عنه المنذري بعض شعره ، قال وتبرك بدعائه توفي بقنا سنة 655 – وقد قارب الثمانين .

ومنهم السيد محمد وبه كان يكنى الشيخ عبد الرحيم ، ولا نعرف شيئا عن حياته .

ومن حفدائه ــ جعفر بن محمد بن عبدالرحيم، شيخ الدهر وتحفة العصر ، تقلب في عدة وظائف سامية في مصر والشام ، وكان مع ذلك يجلس للتدريس بالمشهد الحسيني ، ويقال انه كان يطمح للخلافة ــ لكماله نبلا وفضلا ، توفي بمصر سنة 696هـ .

ومنهم ابو العباس احمد بن ابراهيم بن الحسن ابن عبد الرحيم ، وكان من اهل الفضل والاصلاح ، من حفاظ العصر ، انتفع الناس به كثيرا ، توفي بقنا سنة «828».

والتحق به من اسرته بالمغرب ــ اخته شمسة مع ثلاثة من اولادها وهم جابر وعبد الشافي ورقية مات والدهم في وباء بالمغرب ، فشملهم بعطفه ، وضمهم الى رعايته ، تعلموا بمدرسته ، ونالوا نصيبهم من العلم والثقافة ، وكان عبد الشافي ضخم الجثة ، طويل القامة ، حتى لقد كان خاله يلقبه بيوشع ، توفي سنة 600 ودفن بشرق مقبرة قنا ، ويعتقد الناس ــ خطأ ــ انه النبي يوشع عليه السلام .

والمهم ان الشيخ المغربي لم تنقطع صلته باسرته ، وبابناء قومه بالمغرب الى أن لقي ربه .

ونورد في خاتمة هذا البحث كلمة الشيخ ابي العباس رضوان البغدادي نوه فيها بمدرسة السيد عبد الرحيم ، وبمقامه في العلم والتصوف ، ومما جاء فيها :

«.. وكان السيد عبد الرحيم مقيما على الكتاب والسنة ، غيورا على الدين ، يتعهد مريديه بالتقوى ، والعمل الصالح ، وكان يامرهم بأخذ الاسباب المباحة التي لا تشغلهم عن الله تعالى ، وكان زاهدا عارفا ، عالما ربانيا ، جامعا بين العلمين : علم الشريعة وعلم الحقيقة ، وصل الى مقام المشاهدة بعد المجاهدة .. وخرق الله له العادات ، حتى صار هواه تبعا لما جاء به النبي «ص» .

وقبر الشيخ عبد الرحيم ــ مزارة مشهورة بقنا الصعيد ، يحتفل بمولده كل سنة ، من اول شعبان الى نصفه ، تخليدا لذكراه ، واكراما لجهاده ،

وبعد : فهذه سطور عن عالم مغربي ، درج من اسرة واغلة في البداوة ، وعاش حياة التقشف والخشونة ، ولكنه كان قمة سامقة في العلم والمعرفة، وطودا شامخا في التصوف والحكمة ، وهو رجل اهمله قومه ، فاضاعوا صفحة مجيدة من تاريخهم الفكري ، وبكل اسف لم يتبرع ولو واحد منهم بكلمة **تشير الى** اسمه او نسبه ، فضلا عن التعريف به او ذكر شيء من آثاره ، وقاتل الله الاهمال ، فكم ضاع بسببه من رجال!

والفضل كل الفضل لاخواننا المشارقة ، الذين عرفونا بكثير من رجالنا ، ولولاهم ما عرف الشاذلي ، بل ولا ذكر اسم ابن مشيش ، ولما عرفنا شيئا عن ابن خلدون والمقري واضرابهم من عباقرة المغرب ، وقد قيل : « من ارخ عالما فكانما احيا امة » .

تطوان ــ سعيد اعراب

اريها السها ، وتريني القمر

شكونا اليهم خراب العراق
تحرم فينا شحوم البقر

فكان كما قيل في بمده
اريها السها ، وتريني القمر

المغرب بين الامتيازات الأجنبية والتسامح الديني

وضرورة توحيد الأحوال الشخصية

للاستاذ عبد النبي ميكو

.. ان المبدأ الاساسي في المغرب هو انه يخضع لمبدأ اقليمية القوانين ، وقد كان هذا منذ الماضي ، وذلك لان الشريعة الاسلامية وهي المهيمنة على المغرب ترى ان احكامها تنطبق على كل من وما يوجد فوق ترابها باستثناء ما يتعلق بالاحوال الشخصية ، فهذه تحكم وفق القانون الديني للشخص ، وعلى هذا فالشريعة الاسلامية كانت تطبق على جميع من وما يوجد في المغرب ، وترتب عن اقليمية القانون هذه اقليمية القضاء ، فلم يكن لنا الا قانون واحد ، بجانب قضاء واحد ، ولكن بعد ان عرفنا عصر الوهن والضعف ، وبعد ان طمع الاجانب فينا لم تبق ولاية شريعتنا عامة ولا ولاية قضائنا شاملة وهكذا عرفنا قوانين اجنبية وقضاء اجنبيا وكان وليد الامتيازات التي عرفها المغرب وقد بدات هذه الامتيازات في نهاية القرن الثامن عشر حيث عقد المغرب معاهدة مع اسبانيا سنة 1797 اعترف فيها بقاعدة ان المدعى يتبع المدعى عليه حيثما حل وارتحل ، وانه يتبعه الى محكمته ، وهذه القاعدة معارضة للشريعة الاسلامية التي تقضي بان المسلم يجب ان يتحاكم في البلاد الاسلامية ولا يمكنه ان يتحاكم في غيرها وذلك لان الاسلام لم يجعل لغير المسلم على المسلم سلطان ، ولم يكن يعترف بقوانين غيره ، ولم يجعل لقوانينه نفاذا في غير بلاده ، وهذا ناتج عن تقسيم العالم عند المسلمين الى عالم اسلام ، وعالم كفر وان هدف الاسلام عالمي وهو ان يشمل الانسانية كلها فتبلغ رسالته الى الكافة ويؤمن بها الجميع .
ومثل هذا فعل المغرب مع انكلترا سنة 1836 واسبانيا سنة 1859 ، ومكنت هذه الدول من ان يحاكم مواطنوها الذين يوجدون فوق ترابها وفق قوانينها وكان هذا ماسا بسلطتنا التشريعية ووحدة التشريعات النافذة في بلادنا كما انه ادى الى المس بقضائنا فاصبح تعدد الجهات القضائية ظاهرة من ظواهر تعدد التشريعات الاجنبية التي تسود بلدنا وهكذا وجدت المحاكم القنصلية منها الفرنسية والاسبانية والامريكية والانجليزية ومكنت هذه المحاكم من كثير من الامتيازات خصوصا وان بعض المغاربة اصبحوا يحصلون على الحمايات الاجنبية فيخضعون لقوانينها ويحاكمون امام محاكمها التي توجد فوق ترابنا والتي كانت شذوذا وتطاولا على حق المغاربة المقدس في ان يحاكم ابناؤهم في بلادهم امام المحاكم الوطنية كما انه كان مرآة تعكس اولئك الذين انهار عندهم الوازع الوطني فدق ناقوس الخطر وعقد مؤتمر مدريد سنة 1880 ومؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 فاكد المؤتمران معا سيادة الدولة المغربية وحقها المقدس في ممارسة استقلالها ولكن القدر كان يحمل في طياته حادثا مفاجئا لم يعرفه المغرب قط في تاريخه هو ابتلاع السيادة المغربية في 30 مارس 1912 وهكذا ازدادت قوة الاجانب في بلادنا فحل محل القضاء القنصلي في الجنوب القضاء الفرنسي باستثناء انكلترا فانها احتفظت لنفسها بامتيازاتها حتى سنة 1936 والولايات المتحدة حتى الاستقلال ؛ اما في الشمال فانه رغم ان اسبانيا انشات محاكم سمتها بمحاكم اسبانية فان الدول ذات الامتيازات ظلت محافظة على امتيازاتها الى الاستقلال والجدير بالذكر ان المحاكم الفرنسية في الجنوب قامت على اساس من جنسية الخصوم واخضعت جميع الاجانب لنفوذها حتى ولو كان هناك عنصر مغربي ، وتناول اختصاصها مسائل اخرى ، وفي ضمنها العقارات متى كانت محفظة مهما كانت جنسية الخصوم لان العقار المحفظ كان عندها يكسب الجنسية الفرنسية وكانت قوانينها اجنبية ولغة المداولات والاحكام هي الفرنسية وقضاتها كانوا فرنسيين

وكانوا يصدرون احكامهم باسم رئيس الجمهورية الفرنسية وجلالة الملك وهكذا لم يبق التطبيق كاملا لمبدا اقليمية القانون ونتج عنه عدم اقليمية القضاء ولم يكن هذا الوضع المزري من الناحية القضائية والتشريعية الا وليد التمزيق السياسي ووضع الحدود المصطنعة ، وما اصبنا به اصيب به غيرنا ممن ابتلوا بالضعف وهيمنة الاجانب عليهم وذلك كمصر وسوريا والعراق وتركيا وهذه البلاد هي نفسها عرف بعضها التجزئة السياسية ولعل التاريخ يعيد نفسه فى هذا فاذا كانت انانية الرومان وارستقراطيتهم قد دفعتهم الى ان يقصروا تطبيق قوانينهم عليهم ولا يطبقونها على الاجانب ولهذا عرف الرومان القانون المدني وقانون الشعوب كان هذا الاخير خاصا بغير الرومانيين فان انانية الدول الاروبية هي التي ابت فى بلادنا ان تخضع لقوانينا وقضائنا فانشات قوانين وقضاء جعلتهما امتدادا لقوانينها وقضائها وكان الاولى بها ان تترك لقضائنا الولاية العامة ولتشريعاتنا التطبيق الشمولي والخدمة التي كان ينبغي ان تقدم هي محاولة الاصلاح وادخال الاساليب الحديثة على قضائنا لا اضعافه وجعله استثنائيا ، ولكن بعد الاستقلال وعودة السيادة والقضاء على التجزئة الوطنية وازالة الحدود المصطنعة التي وضعت لتعبد ولكنها انمحت، ولهذا قضي على المحاكم القنصلية وادمج القضاء الاسباني فى القضاء العادي فى الشمال واصبح القضاء الفرنسي فى الجنوب يسمى بالقضاء العصري وهكذا حصلنا على وحدة التشريع من ناحية السيادة الخارجية حيث اصبحت الدولة المغربية هي وحدها المالكة لشؤون التشريع لا تشارك فى ذلك من لدن غيرها كما ان القضاء اصبح موحدا من حيث السيادة الخارجية حيث اصبح القضاة لا يستمدون سلطتهم الا من الحكومة المغربية ولا يصدرون احكامهم الا باسم جلالة الملك ، ولكن مع ذلك ظلت رواسب الماضي قائمة ، وظلت الثغرات موجودة ، فوحدة التشريع تقضي بان يسود المعاملات التي تكون من نوع واحد تشريع واحد ، ولا ينبغي ان تسودها عدة تشريعات ووحدة القضاء تقضي بان لا تعدد الجهات القضائية وتقوم على اساس جنسية الخصوم وقد ظل الامر كذلك الى ان صدر ظهير 26 يناير 1965 الذي قضى بمغربة القضاء وتوحيده ، وتعريبه ، وهكذا قضي على تعدد الجهات القضائية وما كان يتبعه من فوضى واضطراب ومحاولة كل جهة قضائية ابتلاع اختصاص الجهة القضائية الاخرى خصوصا عند غموض او انعدامها واثره على حقوق المواطنين حيث كان يؤدي ذلك الى صدور احكام متناقضة وبطء البت فى القضايا بصفة نهائية .

الامتيازات الدينية

ان الشريعة الاسلامية تقوم على اساس مبدا اقليمية القوانين ، فالشريعة الاسلامية بوصفها قانونا تنطبق على كل من وما يوجد فوق اقليم الدولة الاسلامية لا يفرق فى ذلك بين مسلم ومسيحي وعبري ، ذلك ان المسلمين تركوا غيرهم من اصحاب العقائد الاخرى هم وما يدينون ولم يلزموهم بالاسلام لانه لا اكراه فى الدين ، وقد اعطوهم الامان على انفسهم واموالهم وعقائدهم ، وكان ذلك وليد امان وبواسطة عقد الامان كان يقيم الذمي فى ارض المسلمين ويحتك بالمسلمين واحتكاكه بهم قد يؤدي به الى الايمان بالاسلام ويتحمل الذمي واجبات منها دفع الجزية وخضوعه لاحكام الشريعة الاسلامية مدة اقامته فى بلاد الاسلام ، وهذا الخضوع دليله قول الرسول « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وكانت لهم حقوق وهي ان يحافظ لهم على عقائدهم ويسمح لهم باقامة شعائرهم ,كما ان لهم الحق فى اعتناق الاسلام وكذا فى انهاء عقد الامان ومغادرة دار الاسلام ، فيطبق عليهم آنذاك ما يطبق على الحربيين ، وكانت الاقامة فى دار الاسلام لا تكسب صاحبها الجنسية اذ ان هذه مرتبطة بالدين وبجانب الذمي يوجد المستامن ذلك ان الحربي كان لا يسمح له بالاقامة فى دار الاسلام الا اذا حصل على الامان ومدة هذا الامان سنة فاذا تجاوزها اصبح المستامن ذميا وهذا الامان كان يحمي صاحبه وماله ودينه فهو عرضة للقتل او يسلم .

والمهم عندنا من الصنفين هو من يقيم بصفة دائمة ومستمرة لا من يقيم فى بلاد الاسلام بصفة مؤقتة ، ولكن القضية التي تطرح وهي على جانب من الاهمية هي هل اهل الذمة يخضعون للقضاء الاسلامي ، والشريعة الاسلامية ام يخضعون لجهة قضائية خاصة بهم تطبق قوانين خاصة بها من حيث الشكل والجوهر وقد تتعدد الجهات القضائية الخاصة بالذميين فيما اذا تعددت دياناتهم وتنوعت طوائفهم وكانت قوانينهم تتأثر بالدين ، والجواب على

هذا المشكل يقتضي منا ان نتعرض للاية الكريمة وهي قوله تعالى :

« فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » ومعنى الاية الشريفة ان الذميين والمستأمنين ان جاءوا الرسول متخاصمين فهو مخير بين ان يحكم بينهم او يتركهم وان تركهم فانه لن يتضرر من ذلك ، ولكن ان قبل الرسول ان يحكم بينهم فعليه ان يحكم بالقسط والعدل . ولكن بعد ذلك وردت الاية الكريمة « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » ومعناه ان الله يأمر نبيه بان يحكم بين اهل الكتاب بما انزل الله في القرآن الكريم لانه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك ان القرآن رقيب وشهيد على الكتب المتقدمة ، وعليه ان يحكم بين اهل الكتاب بما انزل الله دون ما انزله اليهم اذ ان شريعة الرسول ناسخة لشرائعهم ، كما ان القانون الجديد يغير القانون القديم ، فكذلك شريعة الرسول غيرت الشرائع التي تقدمتها ، وعليه فتكون هذه الاية ناسخة للاية التي تقدمتها ، وعليه فاحكام الاسلام تسري على غير المسلمين لا يفرق في ذلك بين الروابط الشخصية والروابط المالية اي فيما يتعلق بالاحوال الشخصية والاحوال العينية ، ولكن الراي الذي ذهب اليه كثير من الفقهاء هو ان احكام الاسلام تنطبق على غير المسلمين وتنطبق بصفة وجوبية لا مجال فيها للتخيير باستثناء ما يتعلق بالاحوال الشخصية او روابط الاسرة ، فهذه تركت لتحكم حسب دين الشخص وعقيدته التي يعتقدها ، وهذا هو الذي ادى الى ان يكون القانون المدني عندنا اقل شمولا من القانون المدني عند الغربيين اذ عند هؤلاء يشمل الروابط العينية والروابط الشخصية وعندنا لا يشمل الا الروابط العينية ، وهذا ما ادى الى نشوء كثير من الامتيازات الدينية فتعددت القوانين التي تحكم منظمة الاسرة بقدر تعدد الديانات : الاسلام ، المسيحية ، اليهودية ، بل تجاوز الامر تعدد الديانات الى تعدد الطوائف ، فبقدر ما تتعدد الطوائف الدينية تتعدد القوانين وتختلف وادى ذلك الى تعدد الجهات القضائية ، فاحدثت جهات قضائية في كثير من بلاد الاسلام خاصة بالطوائف الدينية ، وحصلت تنازعات كثيرة فيما بين القوانين والمحاكم وتنازعها لا يشبه التنازع المعروف في ميدان القانون الدولي الخاص اذ انه تنازع بين قوانين دول اجنبية ومحاكم دول اجنبية ، وقواعده قواعد اسناد مهمتها بيان القانون المختص والمحاكم المختصة من بين القوانين الوطنية والاجنبية وكذا المحاكم ، اما التنازعات التي نتحدث عنها الان فهي تنازعات بين قوانين في اغلبها وطني ومحاكم وطنية كذلك في الغالب والجدير بالذكر ان هذا الوضع كان قائما على اساس التسامح الديني معتمدا في ذلك على ان روابط الاسرة الصق ما تكون بعقيدة الشخص ولذا ينبغي ان تحكم بدينه ومؤازرا بما يروى عن النبي ص من انه امن المسيحيين على انفسهم واموالهم وعقائدهم واوصى بذلك المسلمين وان الخلفاء الراشدين جددوا ذلك العهد فاصدر الخليفة عمر العهدة العمرية التي امن بها رعايا الدولة العربية غير المسلمين ، وهي ليست الا ترديدا لما ورد عن الرسول ثم لما دخل الاتراك العثمانيون القسطنطينية اعلن السلطان محمد الفاتح انه يؤمن الرعايا المسيحيين على عقائدهم واموالهم ، ولكن مبدا تعدد قوانين الاحوال الشخصية ادى الى كثير من الفوضى والاضطراب اذ انها لم تتعدد بتعدد الديانات ولكنها تعددت لتعدد طوائف الديانات وتعددت الجهات القضائية في مصر حيث عرفت اربع عشرة طائفة دينية قبل صدور قانون 1955 وجميع الدول الاسلامية عرفت هذا الوضع بصورة قوية او ضعيفة حسب كثرة او قلة المذاهب فيها ومما كان يزيد الامر فوضى واضطرابا ان بعضها كانت تحكم وتسيطر عليه هيئات اجنبية وكانت لغته اجنبية ايضا ، ولهذا فان اصوات المصلحين ارتفعت في الشرق تطالب بضرورة توحيد الجهات القضائية ، وقد عبرت المذكرة الايضاحية المصرية رقم 462 سنة 1955 عن كثير من مظاهر الفوضى في نظام التعدد حيث قالت « وانه من الشذوذ بمكان ان يظل الوطنيون المنتمين الى الطوائف الملية غير الاسلامية محتفظين باستثناءات قضائية كانت في كثير من الحالات عنوانا على الفوضى وليس يتفق مع السيادة القومية في شيء ان تصدر احكام في الصق المسائل بذات الانسان من جهات قضائية غير مسؤولة ولا مختارة من جانب الحكومة او ان تكون تلك الجهات خاضعة لهيئات اجنبية تباشر اعمالها خارج حدود البلاد »

وقال المسيو «ايبولا كاز» عن نظام تعدد قوانين الاحوال الشخصية : «ان ترك العدالة على هذا الحال الى الطوائف الصغرى تديره وتستقل به هو نقطة سوداء في النظام القضائي » ؛ ومن الذين تحدثوا عن الفوضى وراوا ضرورة الاصلاح الاستاذ احمد عبد الهادي وذلك في مقال نشره في مجلة القانون والاقتصاد تحت عنوان « المحاكم الشرعية وسلطانها على غير المسلمين » العدد الاول والثاني سنة 1935 فهو يقول : « ونظرة واحدة الى ما بدا من تسامح الحكومات الاسلامية المختلفة مع رعاياها من غير المسلمين يتضح منها بسهولة ان كل طائفة من الطوائف كانت تنتهز كل فرصة لتوسع من اختصاصها حتى ولو لم تكن من الطوائف التي ثبتت لها ولاية القضاء في البلاد » ، وقد بلغ من اثر هذه الفوضى ان المحاكم العامة للبلاد لم تتبين وجه الحق في هذه الطوائف وحارت فيمن له منها ولاية القضاء ومن ليست له ؛ وتضاربت الاحكام وآراء الشراح في الموضوع تضاربا زاد في تعقيده ؛ ومن الذين دعوا الى اصلاح مثل هذه الاوضاع في مصر الدكتور السنهوري في كثير مما نشره ؛ ولم ينس بعض رجال القانون في الشرق العربي ان يسجلوا الاحداث التي عرفها جيرانهم وضرورة التاثر بها ؛ ولهذا فان الاستاذ فارس الخوري يعلن في كتابه « اصول المحاكمات الحقوقية » سنة 1936 ص50 : ان الاتراك الغوا المحاكم الشرعية والمذهبية، ونحن محتفظون بها وتخلصوا بذلك من جزئية القضاء وتوزيعه بين محاكم كثيرة ذات اختصاص متنوع يتيه فيه اصحاب المصالح ؛ ونحن نتمنى ان تنتبه الحكومة السورية الى خطورة توحيد القضاء وحصره بمرجع واحد ورفع هذه المحاكم الاستثنائية الكثيرة عن عواتق الناس .

هذا التشتت القضائي في بلادنا مخالف لقاعدة وحدة القضاء ، وقد كانت الفوارق الدينية والعلائق الاجنبية في الادوار الماضية سببا له ؛ ولهذا فان الاجماع يكاد ينعقد على ضرورة ادماج كافة الجهات القضائية في جهة قضائية واحدة يشمل نفوذها جميع المتقاضين لا يفرق فيما بينهم على اساس من دين او طائفة كما انه لا ينبغي الاكتفاء بهذا بل لابد من توحيد التشريع اذ ان توحيد القضاء لا يكفي بل يلزم ايضا توحيد التشريع النافذ ؛ وهذا معناه توحيد قوانين الاحوال الشخصية وتكوين مدونة واحدة يشمل نفوذها سائر المواطنين وتصبح جزءا لا يتجزا من القانون المدني كما هو الشان عند كثير من الامم الغربية اذ ان روابط الاسرة تتوج القانون المدني وقد ازداد دعاة التوحيد قوة عندما تم توحيد الجهات القضائية في بعض البلاد العربية واصبحوا يومنون على انه من اللازم ان تقع الخطوة الاخيرة وهي توحيد قوانين الاسرة وانه ينبغي ان تخضع المعاملات التي تكون من نوع واحد لقانون واحد وانه لا ينبغي ان تختلف القوانين باختلاف ديانات الاشخاص وطوائفهم.

والحقيقة على ان الضرورة القومية الملحة تدعو الى توحيد الجهة القضائية في مادة الاحوال الشخصية وتوحيد التشريعات المطبقة اذ لا يعقل بقاء التعدد الذي يخل بمبدا العدل ومبدا المساواة الذي يقضي بخضوع جميع المواطنين لقانون واحد فيما يخص المعاملات التي تكون من نوع واحد وان القضاء على الفوضى لهو اكبر مبرر لذلك وليس في ذلك اخلال بمبدا التسامح الديني واحترام العقائد فالعهدة النبوية التي تؤمن المسيحيين على اشخاصهم واموالهم وعقائدهم بالاضافة الى انه مشكوك فيها فانها امنت المسيحيين على انفسهم واموالهم وعقائدهم، لكن لا يفهم من ذلك انها خولتهم حق انشاء جهات قضائية خاصة بهم وخضوع هذه الجهات لقوانين شكلية وجوهرية خاصة بها ؛ ومثل هذا يقال عن العهدة العمرية ثم ان القرآن الكريم صريح « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم » بالاضافة الى هذا فان الامام الشافعي ينسب اليه قولان اصحهما وجوب الحكم بين الذميين بما انزل الله الى رسوله محمد «ص» دون تفريق بين الروابط الشخصية والعينية ؛ ولهذا فمن اللازم ان يقع التوحيد ؛ وهو لايقل اهمية عن توحيد الثقافة واثرها في ابراز معالم شخصية الدولة .

ويلاحظ انما تحدثت عنه بالنسبة للامتيازات الدينية واثره السيء في الشرق لا يتفق مع الوضع في بلادنا ،ولكن هذا لا يمنع من المطالبة بالتوحيد فنحن لم نعرف المسيحيين في بلادنا ، لذا وقانا الله شر الطائفية كما اننا في الاسلام لم نعرف تعدد المذاهب وما جرته من خصومات وويلات كما عرفه الشرق ، وانما عرفنا مذهب الامام مالك وعليه اقمنا حياتنا وعرفنا قلة قليلة من اليهود سومحت في ان تلجأ الى المحكمين من اهل دينها ليفصلوا فيما بينها فيما يتعلق بروابط الاسرة ؛ وعليه فكان اليهودي يتحاكم الى الحاخام فان لم يرضه ذلك رجع الى

القضاة المسلمين ليفصلوا في نزاعه ، ولهذا فهم لم يسامحوا قط بانشاء جهة قضائية اذ ان امرهم لا يعدو ان يكون مسموحا لهم بالتحكيم والتحكيم نظام معروف بامكان جميع الناس ان يلجأوا اليه اذ انه اذا كان قضاء الدولة يحتكر وحده فض نزاعات الناس وخصوماتهم لا يشارك في ذلك من لدن قضاء اجنبي لان هذا يعد مساسا بالسيادة القضائية للدولة لكن ليس معنى ذلك ان القضاء في الدولة يحتكر وحده فض النزاعات والخصومات بل يشارك في ذلك من لدن نظام التحكيم ، وهكذا عرف اليهود قضاء خاصا بهم في ميدان الاحوال الشخصية بالاضافة الى الجهات القضائية التي انشأتها واقامتها على اساس من جنسية الخصوم أو جنس المجال ، ولهذا فانه بعد ان تم التوحيد وقضي على تعدد الجهات القضائية ولم تبق الا جهة القضاء العادي وادمجت المحاكم الشرعية والعبرية ابتداء في محاكم السدد واستئنافا في المحاكم الاقليمية ، فانه لم يبق الا ان نخطو الخطوة الاخيرة وهي توحيد القانون المطبق في هذا الميدان وايجاد مدونة واحدة للاحوال الشخصية تنطبق على كافة المغاربة لا يفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي وعبري ، لانه لا معنى لان تظل التفرقة قائمة خصوصا وان المغرب اصبح يعرف مواطنين مسيحيين وهؤلاء تنطبق عليهم مدونة الاحوال الشخصية للمسلمين في المغرب باستثناء مؤسسات معينة مؤسسة الرضاع والطلاق وتعدد الزوجات ، اذ هذه مستثناة ، ولكن ليس من المستبعد ان يطالبوا مستقبلا بان تكون لهم مدونة خاصة بهم للاحوال الشخصية بل مدونات نظرا لان طوائفهم هم انفسهم متعددة وهم اذ يطالبون فانهم يطالبون على اساس انما خول لليهود ينبغي ان يخول لهم ، وقد يستبعد هذا لان تيار الوحدة جارف ولان الاستثناء لا ينبغي القياس عليه ، ولكن من يدري والايام حبالى تلدن كل عجيب . وان التوحيد في هذا الميدان ليس فيه مس بحرية المعتقد اذ حرية المعتقد لا ينبغي ان تتطاول الى اقدس مؤسسة وهي مؤسسة الاسرة وجميع الضرورات تدعو الى توحيدها خصوصا وان متطلبات العدل والمساواة تدعو الى ذلك .

ما هو القانون الواجب التطبيق في حال التوحيد؟

اني عندما ادعو الى توحيد قوانين الاحوال الشخصية وان تصبح جزءا لا يتجزأ من القانون المدني كما هو الوضع عند كثير من الشعوب الغربية فاني لا اقصد بذلك تبني قانونا فرنسيا وسويسريا في مادة الاحوال الشخصية بل ان دعوتي اسلامية هدفها ان تشمل الاحوال الشخصية للمسلمين في المغرب ما عداهم من المواطنين ، وعليه فاني ادعو الى امتداد الاسلام والى شموليته لسائر المغاربة ، ولهذا فاني لا اتفق مع من يريد منا ان نتبنى مدونة اجنبية عنا واطلب ان يكون التوحيد عاما وشاملا فلا تستثنى مؤسسة من المؤسسات كما وقع بالنسبة للمسيحيين عندنا عندما طبقت عليهم مدونة الاحوال الشخصية باستثناء ما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات والرضاع والميراث اذ ان وجود مثل هذه الاستثناءات الكثيرة يخل بمبدأ التوحيد ثم ان الاستثناء قد يصبح طاغيا الغاية وعندما ادعو الى ان يكون التشريع الاسلامي هو المطبق وحده فليس في ذلك اي تعصب ذلك ان الاسلام هو الدين الرسمي للدولة والاغلبية الساحقة تدين به زيادة على انه من المعروف ان الشريعة الاسلامية عرفت نهضة مهمة في السنين المتأخرة وفتح باب الاجتهاد من جديد بعد ان اغلق قرونا طوالا حيث ساد سبات عميق وعاش الفقهاء على تراث من تقدمهم دون ان يعبأوا بتغير الظروف والتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفت انذاك مما سهل تطاول الطائفية ومكنها من ان تفرض نفسها ولكن من اثر النهضة الفكرية الاسلامية والتطور العالمي واللقاء بالتيارات الاجنبية حديثا اذ عرف المسلمون مدونات للاحوال الشخصية ، وان عرفت امتنا بعد الاستقلال مدونة خاصة بالاحوال الشخصية كما انها الان تعرف تحويرا جوهريا وقد اصبحت هذه المدونة لها اهميتها لوضوحها وضبطها وسهولة الرجوع اليها وعدم تركها الباب مفتوحا امام تحكم القاضي بخلاف اليهود في المغرب فانه لا توجد لهم تدوينات خاصة بالاحوال الشخصية وهم طوائف وامرهم مبني على اجتهادات وهي لم تعرف تطويرا في الحقبة الاخيرة ومثل هذا يقال عن الطوائف غير الاسلامية في الشرق .

والخلاصة ان الضرورة القومية الملحة تدعو الى توحيد قوانين الاحوال الشخصية في المغرب وجعل الاسلام مصدرها وادماجها في القانون المدني ، وان هذا المطمح الوطني لا يقل اهمية عن وحدة التراب ووحدة الثقافة وتاميم المرافق الحيوية في البلاد وانها فكرة لابد من ان تتحقق رغم العقبات والعراقيل ، اذ ان التطور التاريخي يسير بالمغرب نحو مستقبل افضل .

الرباط — عبد النبي ميكو



جميع الطرقات الموءدية الى الدار البيضاء مكتظة تسابق فيها سيارات من مختلف الانواع والاشكال ، ذات الوان زاهية براقة . تتكدس على سقوفها حقائب وزكائب من الجلد الفاخر ، وعلب من القماش المتين حفظت فيها بعض آلات الطرب ... ان القادمين معولون على قضاء ليلة عيد الميلاد في ابتهاج وانشراح ومتع لم يسبق لها مثيل فيما مضى من السنوات

ولم يكن ينقص من قيمة هذه السيارات ان طبقات من الوحل تغطي اجزاءها السفلى وعجلاتها ، فذلك في الواقع يزيد في قيمة اناقة الكراسي الداخلية الفخمة الوثيرة، وروعة التجهيزات العصرية التي توفر للراكبين جلسات مريحة ، وتدفئة منعشة ، وانغاما موسيقية .. بل توفر لهم حتى الجمرات لاشعال السجاير ! اما الاوحال العالقة بالخارج فليست الا آثارا من اراضي الشاوية ودكالة المرتوية . التي تكشف امطار الخريف والشتاء عن خيراتها المخبوءة ، فتخضر الاراضي الشاسعة ، وتتفتح براعم الازهار الرائعة ، ويصبح كل شبر من الارض مستعدا للعطاء السخي ، تحت طقس غاية في الاعتدال والجمال !

لقد كان في امكان هوءلاء المسافرين ان يبقوا حيث يسكنون . ويقيموا الليلة الكبرى في ضيعاتهم ، داخل بعض القصور الباذخة ، ويحيوا ما شاءوا هناك من حفلات الرقص ، ويشربوا ما طاب لهم من كوءوس الخمر المعتقة ، في جو منعش ، مشبع بعطر الازهار ، وروائح الاشجار الغابوية ، تلك الروائح التي تعطر الجو برائحة الصنوبر الفواح ، خصوصا اذا ما نزل المطر وارتوت الارض ارتواء ... ولكن الشوق اشتد بهم جميعا الى مدينة الدار البيضاء ، من حيث يرى الكهول والشيوخ جماعات من بني قومهم ، فيتنعش الفوءاد بروءيتهم وسماع احاديثهم واخبارهم واسرارهم كما يجددون النظر في شوارع وعمارات ونماذج من البناء تذكر بارض الوطن البعيد ، ويطلقون الخيال اطلاقا في مجالات احياء (الوازيس ، وفرانس فيل ، وبولو ، وليرمتاج ، وآنفا) بل سيبادر بعضهم بمجرد الوصول ليقف على مساكن الشاطيء ، ومقاهي الشاطيء ، وصخور الشاطيء ، وهناك تسرح العيون وتنتشي الافئدة وتنشرح الصدور

والشبان والشابات من بين هوءلاء لا يهمهم الا ان يروا - مرة اخرى - دور السينما الفخمة والمقاهي العامرة ، وعلب الليل الصاخبة ... ولن يفوت الزوجات الانيقات ان يقفن بانفسهن على آخر المبتكرات الواردة من باريس من ازياء للربيع والصيف المقبلين ، وسيزودن بما هن محتاجات اليه من عطر وادوات زينة ومناديل وملابس حريرية داخلية ... انهن بذلك ينفضن عن كواهلهن غبار البداوة ، ويجددن العهد بحياة الحضارة والرفاهية ... من اجل هذا تواعد القوم ،

هاتفيا ومراسلة ومشافهة ، على ان يتلاقوا في البيضاء ، وتمنى ان تكون ليلة عيد الميلاد بها هذه السنة (1953) ليلة خالدة لم يات الزمان ولا يمكنه ان ياتي بشبيهة لها مطلقا ، فهي ليلة النصر ، وليلة تأكيد النصر ، وليلة شرب نخب النصر … انه ليس هناك احسن من الدار البيضاء بشوارعها وساحاتها الكبرى ، وفنادقها ومقاهيها الرفيعة الانيقة لاقامة حفلات ليلة الليالي … فلا عجب ان تسابقت السيارات المرفهة واطلقت اقصى الجهود لسرعتها ، تلهفا على روءية معالم البيضاء الحبيبة

وعج شارع (فرنسا) بالوافدين والوافدات ، وطاب للبعض منهم ان يقفوا امام المخازن العامرة بأفخم البضائع من اثواب وملابس جاهزة ومجوهرات واحذية وآنات وحلويات ومصبرات وخمور وكتب ولوحات ومقتنيات طريفة … الشيء الذي جعل الوقفات امام الواجهات تطول ، والنقاش يمتد ، والرغبات تتضارب ، والمفاضلة من الامور الصعبة ، وان كان هذا كله ليس من الامور المعقدة ، اذ المال وفير ، والاذواق سليمة ، والبائعون على جانب من اللباقة والحذق

ثم انه من عادة الفرنسي الا يهمل الوقوف امام المكتبات واكشاك الصحف ولو كان مستعجلا ، فهو وان كان يتوصل يوميا واسبوعيا وشهريا بصحفه ومجلاته من المغرب ومن الوطن الام فهو مع ذلك يريد ان يستعرض وان يقف على الجديد ، يدرسه ، ويكون لنفسه فكرة عنه ان هذا امر ضروري ولا مفر منه … ولهذا فـ (بابا موح) بدوره مشغول اليد في هذا اليوم ايضا ، اذ الضغط على معروضاته شديد والاسئلة ملحة متتابعة ، ولكنه مع ذلك حاضر الذهن قوي اليقظة في تتبع اعمال الاختيار التي يقوم بها زبناوءه على طول الطاولة ، كما انه كان يتلقى الاستفسارات بانتباه ويجيب عنها ، ولكنه يعرف كيف يجيب ! فالمتلطف جوابه لطيف ، والمتعالي المتعجرف جوابه يكون بشيء من الابطاء وقلة اهتمام ، ومن مده بالثمن يدا بيد ناوله البقية يدا بيد كذلك مع كلمة شكر ، والذي يرمي اليه بالنقود رميا ، يكتفي بالرد عليه فوق مجلة من المجلات المعروضة ، دون ان يكلف نفسه برفع بصره اليه وبذلك يلذ له ان يرى الهامات المتسامخة تنحني انحناء لتناول بقية النقود ، ولا يهمه ان يسمع همهمة او عبارة سخط

كان هذا حال « بابا موح » في الصباح من ذلك اليوم ، ولكنه فيما بعد الظهر فضل الاستكانة عند طرف الطاولة البعيد ، متكمشا في جلبابه الصوفي المتين لا يكاد يظهر منه الا حاجباه الكثيفان وعيناه الدقيقتان البراقتان ، المشحونتان بفيض من الذكاء وقوة العزيمة ، اما شفتاه الدقيقتان فقد كانت علياهما تختفي تحت شارب اسود متهدل ، وما تركه « بابا موح » متهدلا الا ليعمد الى العبث به في بعض الاحوال التي لا تكون نفسيته فيها على احسن حال !

وطاب « لبابا موح » خلال تتبعه لاعمال البيع التي يقوم بها مساعده (حماد) ان يتعرف على عقليات الزبناء الفرنسيين الواردين على كشكه ، فهذا القادم المتزن في خطواته ، المتناسق في هندامه وشكله يسأل - في رقة - عن جريدة (لوموند) ، وذاك المتعالي الشامخ الانف ، العريض الاكتاف ، الغليظ القفا يقصر طلبه على جرائد من مثل (لورور) و (كومبا) والاخر الذي اتى متباطئا يتلفت حواليه ويصعد نظره في الاخرين يسال في شبه استخفاء عن جريدة (لوماتني) الشيوعية !

وتأبى همة « بابا موح » ان يكون كمثل الحمار يحمل اسفارا ، لذلك فهو يحمل الى بيته كل صحف ومجلات اليوم الواردة من شركة التوزيع ، ويدفعها الى ربيبه ، الذي يطالعها بشغف وتمعن طرفا من الليل ، وفي الصباح يوافيه بملخصات وافية ، عما جاء في تلك الجرائد من اخبار عن المغرب التي يستمع اليها (بابا موح) بانتباه شديد ويناقشها مع (صالح) ربيبه ، ومتى كان هناك مقال قيم او صورة فريدة فان (بابا موح) يحتفظ بالنسخة في صندوق خاص للذكرى والتاريخ !

ووافى المساء معتدل الطقس ، عذب النسمات ، لا يمكن بحال ان يعد من امسيات فصل الشتاء التي اعتاد الناس ان يجدوا فيها الكثير من عصف الريح وتراكم السحب وشدة البرد … ولربما نزول المطر مع البرد او تساقط الثلوج ما يجعل لهذه الليلة طابعها الخاص ، ويزيد في متع الدفء والاكل والشراب ومخاصرات الرقص … ولكن الطقس في المغرب يكاد يكون ربيعا متصلا ! واشتد الازدحام وتزاحمت المناكب

واختلطت جموع المدنيين والعسكريين والشيوخ والكهول وحتى الشبان والشابات الذين يطيب لهم الانحشار في مثل هذا الازدحام من حيث يتعمدون الاصطدام الخفيف والاحتكاك اللطيف الذي تتبعه عادة نظرات عاتبة يرد عليها بغمزات عابثة ... وقد يكون ذلك مفتاح تعارف ممتع يمتد الى طلوع الفجر !

على كل حال ، ان تجار (شارع فرنسا) وتجار (السوق المركزي) على الخصوص اخذوا حيطتهم لهذا اليوم الزاهر ، فتزودوا له بوافر البضائع الممتازة ، التي ينفق سوقها عادة ليلة العيد ، بما في ذلك الفواكه والحلويات وانواع الشيد والزهور ، والكرات المطاطية الملونة والخيوط الفضية وازياء التنكر ... ومع ذلك نفذت البضائع بين ايدي تجار التفصيل ، مما اضطروا معه الى الاتصال هاتفيا مع تجار الجملة لموافتهم بالمزيد ، وسرعان ما اقبل الحمالون يحملون البضائع المطلوبة على اكتافهم العاتية ...

لم يفقد « بابا موح » اتزانه وسط هذا الخضم البشري الكبير ، فهو ما زال يتتبع بنظراته الدقيقة المتفحصة جموع المتهادين والمتهاديات وقد عمهم الاستبشار والاغتباط في انتظار نزول الظلام ، وحلول اوقات الهناء والسرور ... وبادر الكثيرون والكثيرات الى ارتداء ثياب السهرة الكاملة باقمصتها الناصعة والاربطة الحريرية الفاخرة ، كما سمع للاحذية ازيز خافت ، وفاحت عطور باريس الزكية المسكرة ، مما زاد حقا في مرح الشباب واستبشاره واشتداد شوقه ، وحار كل طير في اي عش سيكون مثواه ، لان الاعشاش كلها سخية دافئة ، مليئة بالمحبة والغرام والحنان !

في هذا الوقت بالذات هاجت الذكرى في نفس (بابا موح) ، فتجددت حسراته وهو يستمع الى همسات فؤاده الحزين :

« لقد الف هؤلاء القوم انزال النكبات بنا ، فمنذ سنة وضعوا ايديهم الظالمة على الوطنيين بمناسبة الاحتجاج على اغتيال زعيم نقابي تونسي ورموا بهم الى السجون والمعتقلات ، وفي ليلة عيدنا الكبير وضعوا ايديهم الملوثة على ملكنا واخذوه الى المنفى ... ترى ما ذا بقي في امكانهم ان يفعلوا ، انهم الان يسخرون من رجولتنا وشجاعتنا ، ويعتقدون ان (الخراف بين ايديهم مكتوفة) ، والا لما فرحوا الى هذا الحد المبالغ فيه ، انهم مبتهجون كما لم يبتهجوا من قبل ، ومعولون على تمضية ليلة من اعذب الليالي

ان بابا موح هذا لا يستطيع تكدير ليلتكم كلكم ، ولكنه يستطيع تكدير ليلة افراد منكم ، وسيفعل ! ستقول جرائدكم انه سفاك ارهابي متعصب ... لا يهم ، لا بد ان يكدركم كما كدرتم بني وطنه ليلة العيد ... »

والخطة بسيطة ، فبابا موح يخفي تحت طاولة الجرائد برميلا من البنزين الممتاز ، وفي وقت مناسب من الليل سيعمل على فتحه وصب ما فيه على طول الرصيف ، وسيكون ذلك في اقرب نقطة الى المقهى الفاجرة التي يوجد تحتها وكر من اوكار الفساد والرقص الداعر ، انه بمجرد ان يصب البنزين سيرمي بعود الثقاب ، وما ان يسري اللهيب العظيم حتى يبادر الى بابا موح الى دراجته النارية وينطلق الى مكنه بسلام ، ويا حبذا لو تاتي الاخبار في الغد لتقول ان المقهى والمرقص قد احترقا عن اخرهما وان عدد الضحايا يعد بالعشرات ، سيكون الصباح عند ئذ اسعد صباح ... ان خمسين لترا من البنزين الخالص لا بد وان توقد اللهيب الكافي !

واستمر « بابا موح » يفكر :

« ليلة عيدنا قضيناها في الظلام الدامس وفي حالة منع التجول ، وتحت سيطرة العساكر الاجلاف الذين كانوا يطوقون الدروب والشوارع ، والموت العاجل لمن فتح نافذة او زحزح بابا ، فمحتوى الرشاش المشحون سرعان ما يفرغ في صدره او راسه بدون رحمة ...

« يا عجبا انكم تعملون هذا كله ، وتاتون ما هو افظع منه من الجرائم ، ومع ذلك تكتبون في جرائدكم ومجلاتكم مئات الصفحات ... بالله ما ذا تكتبون ؟ ما اراكم تكتبون الا الكذب ! »

« لا فرانس ، لا فرانس ، ما اتعسها بكم ! لولا انني اعرف اناسا عقلاء منكم لاقسمت انكم كلكم لا خير فيكم ... يا عجبا لهؤلاء ... ! لكم يبالغون اليوم في ضحكهم وعبثهم واظهار سرورهم وغبطتهم ، ولربما من

اجلي انا المغربي الواعي الوحيد الموجود في هذه الساعة بهذا الشارع المنحوس المدنس ، ومن اجل هؤلاء الحمالين الذين اضطرهم الى كسب الخبز ان يحملوا هذه الاثقال من النعيم والخيرات صابرين على التعب والعرق الغزير المنصب من جباههم ...

« مساكين هؤلاء الحمالون ! لو كنت منهم لقمت باي عمل اخر مهما كان صعبا مجهدا ، ولا اقوم بخدمات مثل هذه ، وفي مثل هذا اليوم الذي تعمد الاعداء فيه ان يظهر منهم اكثر مما يضمرون في الواقع ... كان على هؤلاء الاخوان ان يتقاعسوا عن خدمتهم ولكنهم – هداهم الله – اراهم يجهدون انفسهم اكثر من اللازم ولكنه الخبز ، وافواه الصغار ، المفتحة بالليل والنهار! »

« فكرة ! لو كان هناك مائة (بابا موح) مثلا ، ومع كل واحد منهم برميل من البنزين ، وعند ساعة معينة ، وامام مقهى من المقاهي توقد النار ... اذا لاحترقت طائفة من هؤلاء السلاعين ، نصفهم ، ربعهم ، عشرة منهم ... المهم ان يعرفوا ان هناك مغاربة احرارا وان يعرفوا ان

أوه ما هذا ؟ لقد كدت اطير من مقعدي ؟ ما هذا؟! هل المدافع امست تطلق من الشوارع ؟ ما هذا ؟ ما ذا ؟ لقد اصفر لونك ياحماد واحسبك تكاد تموت من الهول والفـــزع !

قام بابا موح عن مقعده وتطلع ...

ان القوم بين قائم وقاعد ، وساقط ومتداع على الجدار ، والنساء والفتيات الانيقات يولولن باكيات ، والاعداء من الشبان والكهول غاضت الدماء من وجوههم، وراحوا يصفعون السجاير بدل ان يدخنوها . اما الشيوخ فقد حسبوه نفير الساعة ، ساعة الفناء الابدي ، ففقدوا اتزانهم وتعقلهم .

واقبل (ابراهيم) بائع الصحف المتجول مهرولا يكاد يطير من الفرح :

– لقد انفجرت قنبلة خطيرة بالسوق المركزي، انفجرت داخل سلة وضعها احد الحمالين ومضى ، لقد سقط عدد من القتلى وعدد من الجرحى ... ان (المارشي) اصبح مجزرة ، وكل التجار هربوا وتركوا حوانيتهم ... قم الى حال سبيلك ... لقد انتقمنا منهم في ليلة عيدهم ، واحزناهم كما احزنونا ، الله يهنيك يا بابا موح !

تضاربت المشاعر في نفس بابا موح ، لقد كان يريد ان يكون هو السابق فسبق ... ولكن الضربة جاءت محكمة ، وادخلت ما يكفي من الفزع والرعب في قلوب الاعداء ، وافسدت عليهم تنظيمات الافراح ، سيبيتون في حداد ... وكل هذا يكفي !

سرعان ما امتلأ الشارع بقوات الشرطة الهائجة ، وفرق من الجيش المدجج بالسلاح ، وصاح صاحب المقهى بخدمه صائحا : ان عجلوا بجمع الكراسي ان الشارع احتل عسكريا .

كان على بابا موح ان يتصرف بدوره وان يتحمل مرارة الانف ، وان يتذوق حلاوة المجد والعزة في نفس الوقت !

الرباط : **محمد اشماعو**

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين مسجد الحسن الثاني بمدينة تازة

في صباح يوم الجمعة ثاني دجنبر 1966 وصل معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش الى مدينة تازة ، فوجد في استقباله عند مدخل المدينة سعادة العامل ورؤساء دوائر تازة وتاهلة وجرسيف وعميد الشرطة ورئيس المجلس البلدي والاقليمي وباشا المدينة وقائدين من العمالة وناظر احباس اقليم تازة وكثيرا من السكان ، وبعد السلام عليهم توجه الموكب لمقر العمالة فاستقبله بها رئيس الغرفة التجارية ورئيس الصناعة التقليدية وبعض اعيان المدينة ، ثم قصد معاليه صحبة العامل ورئيس المجلس البلدي والاقليمي مكتب العامل لراحة قصيرة ثم قصد الموكب مسجد الحسن الثاني حيث المنصة المهيأة من طرف السلطة المحلية ، فالقى رئيس المجلس البلدي والاقليمي كلمة رحب فيها بمعالي الوزير واشاد باعتناء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بالدين الاسلامي الحنيف ونشره واهتمامه بتازة اهتماما جعله يشيد بها مسجدا ويأمر جلالته خديمه خديمه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية باصلاح مسجدها الاعظم التاريخي ، ثم القى معالي الوزير كلمة بين فيها الاعمال المنجزة بتازة من بناء مسجد بها واذن سيدنا المؤيد بالله بتسميته باسمه الشريف ، واصلاح مسجدها الاعظم وبناء وترميم عدة مساجد بالاقليم ، ثم ارتجل رئيس المجلس البلدي والاقليمي كلمة شكر فيها معالي الوزير وكلفه بتبليغ جلالة الملك ولاء واخلاص وتعلق سكان تازة واقليمها له ، ثم توجه موكب معاليه لباب المسجد وقطع الشريط وفتح المسجد ودخل الموكب وجميع السكان اليه ، وبعد صلاة تحية المسجد وقراءة شيء من القرآن صعد الخطيب المنبر والقى خطبة في موضوع تشييد المساجد ثم صليت الجمعة .

ثم قصد معاليه بعد ذلك دار سعادة العامل لتناول طعام الغذاء ودارت محادثة بينه وبين العامل والرئيس المذكور حول بناء دور ودكاكين بالفنادق الحبسية



رئيس المجلس البلدي والاقليمي يرحب بمعالي وزير الاوقاف بمناسبة حفلة تدشين مسجد « الحسن الثاني »

المتهدمة من طرف الاحباس وبلدية المدينة فاعتـذر الرئيس بان البلدية ليس لها امكانيات للبناء ، وامـر معاليه بعرض احد الفنادق للبيع كتجربة لتهيء بقيتها للبيع اذا كان فيه فائدة كما راجت محادثة حول بناء مدرسة ومسجد سيدي يعقوب برشيدة وبناء مدرسة ومسجد سيدي احمد زروق بقبيلة البرانس فامـر معاليه بتقويم مسجد سيدي يعقوب ، ومسجد سيدي احمد زروق بعد ما سال هل لهما احباس واجيب بان لهما احباسا مهمة ، ثم توجه معاليه صحبة الموكب للمسجد الاعظم للوقوف على الاصلاحات المنجزة بـه فطافوا به واخذوا نظرة عامة عنه و تبرع معاليـه



معالي الوزير يلقي كلمة التدشين

تنظيف وتزويق قوسي المحراب كما امر برفع الثريا الاثرية رفعا مناسبا ، ثم توجه الموكب للوقوف على عين مسجد حي الجزرة الذي شيده المحسن السيد الحاج محمد الامراني فصلى به العصر وامر بتبنـي الاحباس له ، ثم قصد الموكب مخرج المدينة حيث ودع معاليه سعادة العامل ورئيس المجلس البلدي والاقليمي ورؤساء دوائر تازة وتاهلة وجرسيف وعميد الشرطة والباشا وقائدان من العمالة والناظر ، ثم عاد سيادته الى الرباط .

ويسرنا ان ندرج الخطاب الذي القاه سيـادة الوزير بمناسبة هذا التدشين :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليمـا

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

اخوانـي المومنيـن : السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه .

وبعـد ،

فانه في اطار السياسة الرشيدة التي يسلكهـا مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، والتي تستهدف النهوض بشعبه الوفي الامين في جميع الميادين والمجالات، والاستجابة لجميع مطالبه وحاجياته ، وعلى راسهـا المطالب والحاجيات التي تتعلق بالميدان الديني الروحي؛ في اطار هذه السياسة الرشيدة اجدني بينكم اليوم، اخواني المومنين ، لتدشين هذا المسجد العظيم الذي اسس على تقوى من الله ورضوان ، نيابة عن جلالتـه حفظه الله وامد في عمره ، وامتثالا لاوامره السامية ، وتعليماته السديدة الموفقة ، بحسن عون الله وعظيم رعايته ، ان الله على كل شيء قديـر .

ان السياسة التي خطها مولانا صاحب الجلالة ، في هذا الميـدان ، لوزارة عموم الاوقـاف والشؤون الاسلامية ، تقوم في احد خطوطهـا الرئيسيـة ، على التوسع في بناء المساجد ما امكـن ، وبذل النفس والنفيس في ذلك ، في جميع نواحي المملكة ، في مدنهـا وقراها ، في سهلها وجبلها وصحرائهـا على السـواء ، وبصورة خاصة في الاحياء العصرية من المدن والقـرى والمراكز ، تلك الاحياء التي كانت على عهد الحمايـة تفتقر افتقارا كليا الى المساجد ، والتي لم يكن يتـردد في اجوائها اطلاقا صوت المؤذن ، على حين كانت كلهـا تتوفـر على الكنائس ، وتتـردد في اجوائهـا رنـات النواقيس ، وهي حالـة مزرية كانت تحز في نفوس المومنين الصادقين ، وتملأ قلوبهم بالاسى والحسرة ،



معالي الوزير بباب مسجد الحسن الثاني يقطع الشريط..

الى ان من الله تبارك وتعالى على بلادنا بحريتها واستقلالها بفضل كفاح الملك والشعب ، فقام الملك المرحوم مولانا محمد الخامس ، قدس الله روحه ، واسكنه جنات النعيم ، وجازاه عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، بتدارك هذا النقص الخطير ، ثم تبعه على اثره ، وسار قدما في تنفيذ خطته وسياسته ، وارث سره ، وخلفه العظيم مولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، واطال عمره في الصالحات ، واقر عينه بسمو ولي عهده ، وحفظه في سائر انجاله الكرام المياميين ، وصانهم الله من كل مكروه ، وحفظهم من كل سوء ، بمنه وكرمه ، اللهم آمين يارب العالمين .

وهكذا اخواني المومنين نقوم اليوم بتدشين هذا المسجد بالحي الجديد من مدينة تازة ، الذي جرت العادة بتسميته تازا السفلى ، وكلكم تعلمون ان هذا الحي كان في امس الحاجة الى مسجد من هذا القبيل، شانه في ذلك شان الاحياء الجديدة في كل مدينة من مدن المغرب ومراكزه وقراه .

وقد جاء هذا المسجد ــ كما ترون ــ والحمد لله ، آية من آيات الروعة والفن والجمال ، سواء بهندسته ، أو بتجهيزه ، او بالزخارف التي تحفل بها سقوفه وابوابه واعمدته ومنبره وما الى ذلك ، او سعة مساحته التي تبلغ 870 مترا مربعا ، دون حساب القاعة المخصصة لصلاة النساء ، ودون حساب المدرسة القرآنية التابعة له ، ودون حساب المرافق اللازمة ، المخصص بعضها للرجال على حدة ، وبعضها للنساء على حدة ، وبعضها لتلاميذ المدرسة القرآنية على حدة ايضا ، ودون حساب الساحة المخصصة للعب التلاميذ ولهوهم اثناء فترات الاستراحة .

ولست أراني بحاجة الى الافاضة في القول في شان هذا المسجد ، فانتم شهود عيان ، وليس من راى كمن سمع ، كما يقول المثل العربي القديم .

وجملة القول ، ان جولة ولو خاطفة في رحاب هذا المسجد العظيم ، كافية لاعطاء فكرة عن المجهودات التي بذلت فيه ، وعن المقادير المالية التي استلزمها تشييده .

وليس ذلك بكثير على مدينتكم التاريخية الجميلة التي تحتل مكانا ساميا من قلب جلالة مولانا الملك المعظم امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، فبالامس القريب قامت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، تنفيذا لتعليمات جلالته في هذا الميدان، وامتثالا لتعليماته وخطته الرشيدة ، بحملة اصلاح واسعة في المساجد القديمة بتازا العليا ، واخص بالذكر من ذلك المسجد الاعظم ، الذي جدد كله تقريبا، وادخلت عليه اصلاحات اساسية جذرية شملت سقوفه وجدرانه وارضيته وابوابه ومنارته ، وكل شيء فيه ، كما اعيدت زخرفته وتزليجه وتجبيصه ، وجدد رخامه ، وهكذا .. وهكذا ، مما لسنا الآن بصدد شرحه او تفصيل القول فيه .

وختاما ، فانه ليسرني عظيم السرور ان ازف اليكم ان مولانا صاحب الجلالة نصره الله ، قد وافق على اطلاق اسمه الكريم على هذا المسجد الذي نقوم اليوم بتدشينه ، فهو على بركة الله ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها : مسجد الحسن الثاني نصره الله .

وبهذه المناسبة ، فانني ادعوكم معاشر المومنين ، ان ترفعوا معي اكف الضراعة الى الله العلي القدير ، داعينه سبحانه وتعالى ان يحفظ جلالة ملكنا المحبوب الهمام ، وأن يعينه فيما هو بصدده من خدمة الدين الاسلامي الحنيف ، واعلاء شانه ، ورفع منارته ، ومن النهوض بأمته الوفية وشعبه الامين في جميع مجالات التقدم والرقي والنهوض ، وان يحقق آماله في سمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد ، وان يحفظ انجاله الكرام جميعا بما حفظ به الذكر الحكيم ، انه سميع مجيب الدعوات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



مسجد الحسن الثاني الذي شيدته الوزارة اخيرا ..

تدشين مسجد السنة بمدينة الدار البيضاء

في يوم الجمعة 1966/12/9 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش الى مدينة الدار البيضاء حيث ترأس بامر من صاحب الجلالة حفلة تدشين المسجد العظيم الذي بناه السادة الحاج محمد الغالي السبتي ، والحاج عمر السبتي والحاج محمد بن العباس بناني من مالهم الخاص .

وقد اطلق على هذا المسجد الجامع ، مسجد السنة ، ويقع بنهج ثاني مارس في حي لوكريت .

وقد اقيم هذا المسجد على ارض واسعة ، وبني بشكل هندسي جميل ، توفرت فيه كل وسائل الراحة والضياء . كما انشئت حوله بعض المرافق المجبسة على المسجد وتقدر مساحته بستة آلاف متر مربع وسع ما يقرب من عشرة الاف مؤمن ، ويتوفر على جناح خاص بالنساء .

وكان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مرفوقا بعامل المدينة الكولونيل السيد عبد السلام الصغروي والسيد الحاج محمد بن جلون النائب الاول لرئيس المجلس البلدي ، وقاضي المدينة وناظر الاحباس وعدد من العلماء .

وقد غصت رحاب المسجد بآلاف المصلين الذين توافدوا من مختلف احياء مدينة البيضاء لاداء صلاة الجمعة .

وأم المصلين في حفلة التدشين الدينية الاستاذ السيد الزرهوني الذي القى خطابا هاما فيما تحدث فيه عن فريضة الصلاة ، واهمية القيام بتشييد المساجد التي تكون قبلة للمسلمين المؤمنين .

وبعد اداء صلاة الجمعة رفعت اكف الضراعة الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ليحفظ جلالة مولانا الملك المعظم الحسن الثاني ويطيل عمره ويحفظ ولي عهده المحبوب الامير سيدي محمد والاسرة الملكية .

كما تليت الدعوات الصالحة ترحما على روح محمد الخامس طيب الله ثراه .

وقد عبر السيد الحاج احمد بركاش بهذه المناسبة عن شكره للاريحية الاسلامية التي دفعت الاخوين الحاج محمد والحاج عمر السبتي والحاج محمد بالعباس بناني الى بناء هذا المسجد .

« تدشين المسجد الادريسي بمدينة وجدة »

اوفد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش يوم الجمعة 1966/12/9 الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة وجدة لافتتاح مسجد الادريسي محمد الواقع بساحة المدينة الجديدة نائبا عن سيادته .

وكان في استقباله رجال السلطة المحلية ومدير العمالة ورئيس ديوانها وباشا المدينة . وتوجه الجميع الى مسجد الادريسي ، الذي كان غاصا بجمهور غفير من وجهاء المدينة .

وخطب جمهور المؤمنين في المسجد الجامع الاستاذ السيد محمد الطنجي خطبة نالت استحسان الجميع حيث تعرض لاثر المسجد في المجتمع الاسلامي ومكانته ؛ وما كان للدولة العلوية فيه .

كما تعرض الى كون دين الاسلام فيه كل العناصر والاصول التي يتوقف عليها المجتمع الصالح .

وقد نوه الاستاذ السيد الطنجي بالمحسن السيد الحاج محمد البركاني الذي شيد هذا المسجد من ماله الخاص ، واثنى على اريحيته وغيرته الدينية .

... مدينة السعيدية

وفي نفس اليوم تالفت هيأة رسمية توجهت الى مدينة السعيدية الساحلية التي قامت وزراة الاوقاف ببناء مسجد بها .

وبعد اداء صلاة المغرب القى مندوب الوزارة الاستاذ محمد الطنجي خطابا استغرق 45 دقيقة تناول فيه فضل الاسلام على المغرب منذ الفتح الاسلامي ودولة الادارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين ثم العلويين كما تناولت موضوع العبادة وبالخصوص الصلاة .

وقد استحسن الحاضرون بمسجد السعيدية هذا ودعوا لمولانا امير المؤمنين بالنصر والتأييد وطول العمر ، وان يحفظه في ولي عهده سمو الامير سيدي محمد .

«تدشين مسجد بوغزالة»

توجه الاستاذ السيد محمد بنعمرو رئيس قسم التحرير بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية نيابة عن معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى قبيلة اولاد عيسى باقليم مدينة فاس لتدشين مسجدبوغزالة الذي بنته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بهذا الاقليم .

وكان فى استقبال مندوب معالي الوزير رجال السلطة المحلية وفى مقدمتهم رئيس المحكمة الاقليمية والقاضي الشرعي للمدينة والقائد الممتاز ، والقائد المحلي .

ولقد اظهر سكان هذا الاقليم بمناسبة تدشين هذا المسجد العظيم الرائع ابتهاجا عظيما ، وفرحة كبرى تجلت مظاهرها فى الافراح التي كانت تبدو على الوجوه .

وام الاستاذ السيد ابن عمرو بالمصلين وخطب فيهم خطبة بليغة تركت صدى كبيرا فى نفوس المومنين حيث تناول بالشرح والتحليل قوله تبارك وتعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

وقد بين فى الخطبة الثانية اهمية المساجد وعناية صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الاه بتشييدها ، لاسيما فى بعض القبائل من مملكته السعيدة التي تفتقر اليها او التي كانت محرومة منها فى عهد الحماية البغيض .

وانتهت هذه الحفلة الدينية الكبرى التي خرجت فيها القبيلة عن بكرة ابيها فرحة مستبشرة مشيدة بمآثر مولانا الامام امير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني ، داعية الى الله العلي القدير ان يحفظه ويقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد .

اجتماع لدراسة وتنظيم موسم الحج المقبل

انعقد اجتماع تحت رآسة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش يوم الاثنين 7 — 11 — 1966 بمقر وزارة الاوقاف لدراسة القضايا المتعلقة بموسم الحج المقبل ، ووضع الترتيبات اللازمة لتيسير اداء هذه الفريضة الدينية .

وحضر هذا الاجتماع ممثلون عن الوزارات الآتية : الداخلية ، الخارجية ، المالية ، الامانة العامة للحكومة ، الصحة ، الاشغال العمومية ، كما حضر ممثل عن شركة الخطوط الملكية الجوية ، وممثل عن شركة الملاحة البحرية المغربية .

وقد بين معالي الوزير ، فى بداية الجلسة ، الغاية من هذا الاجتماع ، والعناية الخاصة التي يوليها امير المومنين لشؤون الدين ، وفى طليعتها فريضة الحج الى البقاع المقدسة ، واهتمامه حفظه الله براحة رعاياه الاوفياء ، وضمان سلامتهم فى الذهاب والاياب

ثم شكر سيادة الوزير ممثلي الوزارة الحاضرين على تلبيتهم الدعوة ، وطلب اليهم ان تمد وزاراتهم يد المساعدة لحجاجنا الميامين كل واحدة فى دائرة اختصاصاتها استجابة لرغبة مولانا الامام نصره الله وايده الذي يولي عناية خاصة لهذا الركن العظيم من اركان الاسلام والذي يسهر حفظه الله على ضمان الراحة لمواطنيه فى حلهم وترحالهم واكد معاليه على مندوب الشركة البحرية فى ان يولي المزيد من العناية للموظفين الدينيين الذين يرافقون الحجاج على ظهر الباخرتين ويخصص لهم مكانا مشرفا فيهما .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد ...

بمناسبة شهر رمضان المعظم قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باعداد برنامج لتنظيم حملة واسعة النطاق للوعظ والارشاد ، والتوعية الدينية بالمدن والقرى والمداشر

وقد عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش فى هذا الصدد بمقروزارته اجتماعايوم الاثنين 5 — 11 — 1966 حضره زيادة على قاضي المدينة جماعة من علماء العاصمة حيث بلغ سيادته فى هذا الاجتماع مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه صاحب الجلالة لهذه الدروس الدينية والآمال التي يعلقها لتوعية المواطنين وتعريفهم بمزايا دينهم الحنيف .

وهكذا فقد قامت وزارة الاوقاف باعداد برنامج واسع فى هذا الصدد يمكن جميع المواطنين من التفقه فى شؤون دينهم والتعرف على فضائله وتعاليمه السامية سواء بواسطة الدروس التي سيلقيها مرشدون مختارون بالمساجد او بواسطة المحاضرات التي ستنتدب الوزارة لالقائها بالتلفزة والراديو ثلة من كبار الاساتذة .

واخرى بالعمالات ...

كما عقدت اجتماعات مماثلة بالعمالات لتنظيم الدروس والمحاضرات الدينية تنظيما محكما حتى تكون عامة وشاملة لجميع انحاء البلاد ، وبهذه المناسبة السعيدة ، تهيب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بكافة المواطنين الكرام ان يقبلوا على هذه الدروس اقبالا كاملا حتى تحصل الفائدة المرجوة منها ، وتتحقق الآمال المعلقة عليها .



* « العلاقات الديبلوماسية بين المغرب والولايات المتحدة » هو موضوع المحاضرة التي القاها الاستاذ عبد الهادي التازي ، سفير المغرب السابق في بغداد مؤخرا في كلية العلوم وقد حضر المحاضرة بعض السفراء ، ورجال السلك الديبلوماسي ، واساتذة الجامعة وبعض المثقفين

* انتخب بالاجماع للمرة الثانية الاستاذ محمد ابن تاويت رئيسا لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية اداب فاس . وذلك في الاجتماع الذي عقده الاساتذة في 9 ـ 11 ـ 1966

* صدر كتاب « جغرافية العالم الاقتصادية والاقليمية » وفق منهاج وزارة التربية ، بخرائط كاملة وباسلوب علمي واحصائيات حديثة : للاستاذ ناجي المعدي ليسانس في علم الاجتماع

* تقرر اعتبار الاجازة العالية للشريعة والقانون التي تمنحها جامعة الازهر ساوية لدرجة الليسانس في الحقوق من الجامعات

* وصل ثلاثة واربعون من العلماء المختصين في الاراضي النباتية الى المغرب ، وتدخل هذه الجولة في نطاق المؤتمر العالمي الذي تنظمه المؤسسة الدولية كخبراء النباتات في روما بمساعدة عدد كبير من مختلف البلدان وقام العلماء في جولتهم الاستطلاعية بانحاء المغرب

* نشر بوليت جالان بيرنيه في العدد الاخير من مجلة « الهلال » القاهرية دراسة عن « شعر البربر في المغرب العربي » اهتم فيه بمراجعة بعض النصوص منذ سنة 1920 الى سنة 1955 وهي فترة الاستعمار الفرنسي في المغرب

* بمناسبة الاحتفال بيوم شجرة الزيتون اصدرت وزارة الفلاحة ورقة بريدية عليها رسم غصن الزيتون

* احتفلت دار الثقافة الامريكية بالرباط في مساء يوم مساء يوم 19 اكتوبر الماضي بتوزيع الجوائز على الفائزين في مسابقة تكملة قصة « غرام في القرون الوسطى » للقاص الامريكي « مارك توين » وقد حضر الحفلة عدد كبير من المثقفين والكتاب وفاز بهذه الجائزة السادة : محمد الشوفاني ، محمد جلزيم ، اسماعيل البوعناني، نزهة العلوي

* نظمت سفارة المملكة المغربية بموسكو معرضا للصور والرسوم من مظاهر الحياة الاجتماعية والفنية بالمغرب زاره جمهور غفير من الادباء والفنانين ، والمعنيين بالفكر ، وذلك بمناسبة زيارة جلالة الملك للاتحاد السوفيتي

* صدر مؤخرا كتاب « مدخل لدراسة الفلسفة » من تاليف الاساتذين محمد مصطفى القباج ومحمد عباس نور الدين

وقد راجعه الدكتور البير نصري نادر ، والكتاب موجه لجمهور خاص ، وهو طلبة الباكالوريا
نشره المركز الثقافي العربي ، ويتضمن احدث المناهج التربوية ، تحليلات ، نصوص ، صور بيانية .

* صدر الكتاب الاول « دروس في الفلسفة لطلاب البكالوريا المغربية »

وقد الف هذا الكتاب جماعة من الاساتذة :

احمد السطاتي استاذ الفلسفة بمعهد المغرب الكبير بالرباط ، ومصطفى الازموري استاذ الفلسفة بمدارس البيضاء ، ومحمد عابد الجابري مدير ثانوية المقاطعة السادسة بالبيضاء

ويتضمن هذا الجزء الاول القسمين الهامين من مواد الفلسفة هما الميتافيزقا والاخلاق .

* صدر عن « دار العلم » كتاب « التعليم الواضح» للاستاذ الجيلاني المزوار مدير المدرسة الاسماعيلية بمدينة مكناس .

وقد حلى هذا الكتاب وقدمه للقاريء الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون .

والمؤلف نحا في كتابه « التعليم الواضح » منحى جديدا يعتمد في تجلية الحقائق على لغة التصميم والتخطيط ، باسلوب يغري بقراءته ودراسته .

وفي تحضير الدروس نجده لم يكتف بتعميم النماذج على مواد البرنامج ، وابى الا ان يكررها في المواد الرئيسية ليقدم لقارئه مجموعة قيمة من التحضيرات ، يتخللها ازيد من 20 لوحة ، تضم ما يقرب من 100 رسم .

* توجهت الى بودابست بعثة من الخبراء في الاحصاء التابعين لوزارة التنمية لتمثل المغرب في المناظر الدولية حول قضية المناهج الرياضية في الاستفتاءات الاحصائية . واستمرت اشغال هذه المناظرة حوالي ثلاثة عشر يوما . وافتتحت البعثة المغربية المناظرة بعرض حول التجارب الاحصائية في المغرب .

* زار المغرب مؤخرا ، مدير كتائب السلام الامريكية السيد جاك هود فون ، ودام فيه ثلاثة ايام ، قام خلالها برحلة عبر المدن المغربية متفقدا فيها متطوعي كتائب السلام .

* افتتحت جمعية « رواد القلم » الثقافية بالبيضاء موسمها الثقافي مؤخرا .

* مثل المغرب في الدورة الرابعة عشرة لمنظمة اليونسكو ، وزير التربية الوطنية الذي قدم الى المنظمة مساعدة مالية باسم حكومة صاحب الجلالة .

* عقد بالرباط مؤتمر رابطة القضاة افتتحه جلالة الملك ، وذلك بتاريخ 9 نوفمبر الماضي .

* قامت المصالح المختصة لمنظمة اليونسكو خلال العشر سنوات الماضية بتصوير عدة ملايين من الصفحات والوثائق النادرة لحمايتها من التلف بفعل العوامل المختلفة كالظروف المناخية والحرائق وغيرها وخلال سنة 1962 ، قامت بعثة مختصة بزيارة المغرب واستغرقت 19 شهرا صورت اثناءها اكثر من 500 صفحة .

* « رحلة في حياة قصيرة » عنوان الكتاب الذي اصدرته جريدة « العلم » للفقيد الاستاذ السيد مصطفى الصباغ ، وهو عبارة عن مقالات في الادب ، والاجتماع ، والفن ، والوطنية ، التي كان ينشرها رحمه الله في الجريدة المذكورة . تتمنى للكتاب الانتشار ، وبعد الصدى .

* صدر عن مطبوعات القصر الملكي كتاب للفقيد المرحوم العلامة السيد محمد المختار السوسي بعنوان : « ايليغ : قديما وحديثا » وقد اهتم بطبعه والتعليق عليه الاستاذ البحاثة السيد محمد بن عبد الله الروداني .

* صدر العدد الثالث من مجلة « اقلام » مشتملا على عدة ابحاث ودراسات وقصائد .

* تصدر « جمعية تاريخ المغرب » التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، كتابا يضم الابحاث التي قيلت في مناظرتها التي نظمت بمدرج كلية الاداب من 20 / 22 ماي من السنة المنفرطة .

* قدم الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله الامين العام للمكتب الدائم للتعريب التابع للجامعة العربية مذكرة الى المجلس التنفيذي للمكتب عن رحلته الاخيرة التي قام بها الى جنوب شرقي اسيا ، تحدث فيها عن المهمة التي قام بها ، قصد توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية في ذلك الجزء من العالم ، والاطلاع على الاساليب الدراسية التي تتبع في الاقطار التي زارها في ميدان البحث اللغوي ، وانجاز المصطلحات الحديثة وقد استغرقت الرحلة زهاء شهر .

* عقد المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته الاخيرة جلسة للمصادقة على ميثاق للتعاون الثقافي الدولي ولتوجيه نداء حار للسلام .

وكان السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس بالرباط ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة اول من تناول الكلام .

هذا وقد اصدر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو بيانه حول مبادىء التعاون الثقافي الدولي بمناسبة ذكرى مرور عشرين عاما على تأسيس هذه المنظمة الدولية

* من المنتظر قريبا صدور رواية « دفنا الماضي » للاستاذ عبد الكريم غلاب ، في بيروت

* بتاريخ 28 اكتوبر الماضي حلت الذكرى المائوية لدخول المطبعة الحجرية الى المغرب . وقد خصص التلفزيون المغربي برنامجا بهذه المناسبة تحدث فيه كل من الاستاذين محمد المنوني ومحمد بن عبد الله

* عاد الاستاذ علال الفاسي من الرحلة التي قام بها الى مكة المكرمة ، لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية للرابطة الاسلامية

* قام الاستاذ علال الفاسي اخيرا بزيارة لايران بدعوة من السيد عباس المسعودي صاحب الصحف التي تصدر عن دار اطلاعات

ويلقي الاستاذ سلسلة من المحاضرات في كلية طهران وغيرها من مختلف الجمعيات والمنظمات الايرانيـــة

* يقيم الان في المغرب في اطار التبادل الثقافي خمسة وعشرون طالبا من غينيا ، التحقوا بكلية الطب بالرباط ، وقد سبق لهؤلاء الطلبة ان امضوا سنة دراسية بكلية الطب بالجزائر

* زار الوفد الاقتصادي المغربي برئاسة السيد المهدي بن بوشتة صوفيا في نطاق الجولة التي يقوم بها في عدد من دول اوربا الشرقية

* اقام اتحاد كتاب المغرب العربي مأدبة غذاء كان ضيف الشرف في هذه الحفلة السيد حسين الحجر سفير لبنان بالمغرب ، كما حضرها الاستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الاميري . وكان موضوع الحديث في القسم الاول من الاجتماع التعاون الثقافي بين كتاب لبنان وكتاب المغرب

وقد اعرب السيد السفير عن استعداده لبذل كل مجهود لتمتين اواصر التعاون الثقافي بين المثقفين المغاربة والمثقفين في لبنان

ثم تنافس الحاضرون في نشاط الاتحاد في الموسم الحالي ووضعوا الخطوط الاولى لمهرجانات ثقافية ادبية وفنية للشهر الحالي

* وافقت اللجنة الادارية للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو استخدام اللغة العربية كلغة عاملة في اليونسكو

ووافقت اللجنة على مشروع قرار بهذا الشأن تبنته الدول العربية باغلبية 50 صوتا مقابل 11 صوتا وامتناع 10 دول عن التصويت . واللغات الرسمية العاملة في الوقت الحاضر هي : الانكليزية ، والفرنسية والاسبانية والروسية .

* قدمت الفرقة البلدية للمسرح بتونس برئاسة ابن عياد مسرحية « فلامينيو » للكاتب الفرنسي روبير ميرل واقتباس حسن الزمرلي ، وذلك بمسرح محمد الخامس بالرباط ، لاقت استحسانا كبيرا

* وقعت في تونس اتفاقية مع المجر حول التعاون العلمي والتقني

* افتتحت في اواخر شهر اكتوبر باثيوبيا الندوة العلمية الخاصة بقضايا الصحة في البلدان الافريقية نظمتها كلية الطب في جامعة هيلاسي لاسي بمساعدة الصندوق الوطني لدراسة شلل الاطفال والامراض الاخرى . ويشارك في هذه الندوة الاطباء والعاملون في الطب في عدد كبير من البلدان الافريقية واخصائيون من منظمة الصحة العالمية

* اصدرت ادارة الشؤون الثقافية بالجزائر كتابا صغيرا من ثلاثين صفحة عن « سكة الامير عبد القادر الجزائري » حول السكة الاسلامية ، ولا سيما منها عملة عبد القادر التي عثر على عدد منها . كما يقدم الكتيب دراسة تاريخية عن العملة النحاسية في مختلف العصور الاسلامية . ويستفيد البحث من 15 مرجعا هاما من اللغتين العربية والفرنسية

* قرر سفراء الدول العربية المعتمدون في ستوكهولم مقاطعة الحفلات الرسمية التي ستقام لتسليم جائزة نوبل في الادب معبرين بذلك عن استنكارهم لقرار لجنة الاكاديمية السويدية للادب لمنحها جائزة نوبل للادب لهذه السنة لكاتبين « اسرائليين »

* « المسرح الطليعي الفرنسي » الكتاب الذي وضعه الكاتب الفرنسي جون بروفوكو ، صدرت ترجمة

له بالعربية في القاهرة ، قام بها يوسف اسكندر في الكتاب دراسة مستفيضة عن الاربعة الكبار الذين يعتبرون روادا للمسرح التجريبي المعاصرين في فرنسا وهم : صمويل بيكيت ، يوجين يونسكو ، جان جينيه ارابال

* في القاهرة وافق المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب على ان يقوم بالتعاون مع جامعة الدول العربية واجهزة الدول الاخرى الوثيقة الصلة بالمسرح بالدعوة الى مؤتمر عام يضم متخصصين من الدول العربية في شؤون المسرح » للعمل على افساح المجال للتقارب بين الدول العربية ، وتمهيدا لعقد هذا المؤتمر تشكلت لجنة تحضيرية لبحث الموضوع واعداد دراسة وافية تعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي في دور انعقادها القادم

* صدر مؤخرا في القاهرة الجزء السابع من كتاب « تاريخ الطبري » من سلسلة ذخائر العرب الكتاب من تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ينتظر ان يصدر الجزء الثامن قريبا جدا

* اعلن في القاهرة انه تم التوقيع على اتفاق بين العربية المتحدة ، وفرنسا حول تعويضات مدارس البعثة التبشيرية التي احتجزت سنة 1956 – وستخصص التعويضات لانشاء مراكز ثقافية وخزانات ، ومدارس فرنسية ، تعمل تحت المراقبة المصرية

* نعت انباء القاهرة الشيخ الوقور الداعية الاسلامي الكبير السيد حسن الهضيبي المرشد العام السابق لجمعية الاخوان المسلمين . وقد توفي رحمه الله في السجن حيث كان معتقلا بالتهمة التي اسندت اليه بمحاولة تأسيس جمعية الاخوان المسلمين من جديد ، وكان قد حكم عليه في قضية سيد قطب بالسجن ثلاثة سنوات كما كان قد حكم عليه من قبل في سنة 1954 بالسجن عدة سنوات اخرى

* الدكتور طه حسين قدم استقالته من رئاسة مجمع اللغة في القاهرة لاسباب صحية ولم يبت في هذه الاستقالة

* تظهر دراسة تحليلية عن المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بقلم حافظ محمود نقيب الصحافة العربيـــة

* امين نخلة صدر له كتاب « ليالي الرقمتين »

* الفيلسوف الالماني عما نوئيل كانت (1724 – 1804) صدرت له مؤخرا في بيروت ترجمتان لكتابيه « نقد العقل المجرد » و « نقد العقل العملي » وقد قام بالترجمة احمد الشيباني

* « سبعون » كتاب الاديب ميخائيل نعيمة . الذي ضمنه مذكراته . تمت ترجمته مؤخرا الى الروسية . وقد قامت بالترجمة الكاتبة الروسية زفتلانا باتسيفنا . وبالمناسبة فان اديبنا الكبير يقوم حاليا بزيارة الاتحاد السوفيتي بدعوة رسمية

* « المعقول واللامعقول في الادب الحديث » لكولن ولسن . صدرت له مؤخرا في بيروت ترجمة عربية قام بها زكي حسن صدر الكتاب عن دار الاداب

* للمرة الاولى في بيروت يصدر كتابان عن القضية الفلسطينية يسلطان ضوءا كاملا على هذه القضية ويمكن تدريسهما للطلاب في المدارس الابتدائية الكتابان هما « جغرافية فلسطين المصورة » و « الموجز في القضية الفلسطينية » المؤلف هو فسطنطين خمار وهو فلسطيني مقيم في لبنان . وقد صدر الكتابان عن المكتب التجاري في بيروت

صدرت مؤخرا عن دار الكاتب العربي ترجمة لكتاب « كيف نفهم التاريخ » في الكتاب محاولة جديدة لفهم التاريخ على ضوء العصر الحديث

* يصدر قريبا عن دار الحياة كتاب « الكهولة والشيخوخة » من وضع الشيخ نسيب وهيب المخازن والكتاب هو الجزء الثالث من سلسلة « الموسوعة الجنسية » التي تصدرها الدار . وقد صدر منها حتى الان جزءان هما : « العلاقات الجنسية عبر التاريخ » و « الطفولة والمراهقـــة »

* صدرت عن دار الطليعة في الاسبوع الماضي كتابان هما : « نصوص الفكر الاسلامي » و « الاشتراكية والتنمية » الكتاب الاول وضعه يوسف الابش وهو استاذ جامعي سوري الثاني من وضع رنيه دومون ، وترجمة نزيه الحكيم

* يصدر للاستاذ الاديب محي الدين اسماعيل كتاب جديد بعنوان « من ملامح العصر » في بيروت

* اصدر الشاعر المهجري زكي قنصل مسرحية تاريخية هي : « تحت سماء الاندلس » .

* يصدر عن دار الاداب كتاب « العنف » او « التعذيب الجديد في الجزائر » مؤلفا الكتاب العفيف الاخضر . وبشير الحاج علي . وهما مناضلان جزائريان خاضا حرب التحرير مع بن بلا ورفاقه . وقد قدم للكتاب خميس زهوان . ومحمد حربي

الجدير بالذكر ان كتابا اخر اسمه « مذكرات ابن بلا » وضعه روبير ميرل ونقله العفيف الاخضر الى العربية ايضا

* روبير غانم . يصدر مجموعته الشعرية « سنوات الحزن »

* « الشعراء الفرسان » الذي وضعه بطرس البستاني سيظهر قريبا .

* في مكتبات بيروت كتاب « محمد رسول الله » الكتاب من تاليف اتين دينة وسليمان بن ابراهيم وقد نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم محمود استاذ في الجامعة الامريكية

* الشاعر المغترب يوسف فاخوري صدرت له في بيروت مجموعة شعرية بعنوان : « نوى » وقد قدم لها الشاعر المهجري شكر الله الجر .

* « حبات زمرد » كتاب جديد للشاعر المهجري شفيق معلوف المقيم في سان بولو بالبرازيل اصدرته وزارة الثقافة في دمشق ضمن منشوراتها . ويقع الكتاب في 168 صفحة من الحجم الكبير . ويضم عدة موضوعات في الادب العربي الحديث .

* اصدرت مجلة « البيدر » في بيروت عددا خاصا برشيد نخلة بمناسبة الاحتفال بنقل رفات الفقيد الشاعر الى الضريح الرسمي الذي اقامه له مجلس النواب اللبناني في الباروك بلد الشاعر . رشيد نخلة هو واضع كلمات النشيد اللبناني . وكان شاعرا فصيحا واميرا للزجل اللبناني

* صدر في بيروت لفقيد الادب والقصة كرم ملحم كرم كتاب بعنوان : « قطاف العناقيد » يتضمن مقالات ادبية واجتماعية وقصصا .

* « اصول الدافع الجنسي » لكولن ولسن احد الكتب التي تعالج موضوع الجنس اكثر المواضيع اثارة في هذه الايام . الكتاب من ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب

* الجزء الثالث من كتاب « ابن الفوطي » الذي الفه الشيخ محمد رضا الشبيبي هو قيد الطبع الان في بغداد

* يعكف مصطفى علي على اعداد بحوثه الاخيرة عن شاعر العراق الرصافي . وكان قد اصدر كتابا عن الرصافي منذ سنوات

* ستعيد مكتبة المثنى طبع كتاب « الزهرة » لابي داود الاصفهاني

* مديرية الاثار العامة ببغداد تقوم بجمع مجموعة من رسائل وقصائد غير معروفة للشاعر معروف الرصافي .

* انتهى الدكتور عبد الجبار الجومرد من اعداد كتاب ضخم عن تاريخ الموصل يقع في ثلاثة اجزاء وسيصدر الجزء الاول قريبا في بغداد .

* « مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث » اختارها الشاعر سيلدن رودمان ونقلها الى العربية نادية الياس وسليمان العيسى ، صدر مؤخرا في دمشق .

* « اللغة والادب وعلاقتهما بالقومية » لمؤرخ القومية العربية ساطع الحصري (ابي خلدون) صدر عن دار الطليعة . ينتقد المؤلف في هذا الكتاب النظرية الاقليمية في الادب العربي

* يصدر قريبا في بيروت كتاب « الفلسفة الهندية لعموم الديانات ودساتيرها » الكتاب من تاليف رئيس جمهورية الهند وترجمة ندوه اليازجي

* الجدير بالذكر ان كتابا اخر اسمه « تاريخ الهند » سيصدر قريبا في بيروت من تاليف الدكتور احسان حقي . وهو اول كتاب من نوعه باللغة العربية

* راندولف تشرشل بدأ بنشر سلسلة مذكرات عن مطلع حياة ابيه ونستون تشرشل . ومما جاء في هذه المذكرات ان ونستون الصغير كان يحب امه ولكن من

بعيد . كما ان اتعس ايام حياته كانت ايام المدرسة حين لم يبد والده اهتماما كبيرا بتقدمه ونجاحه .. وهذا ما دفعه الى الاعتماد على نفسه ، وفي سن باكرة جدا

* « ما تبقى لكم » هي الرواية الجديدة من وضع غسان كنفاني صدرت في الاسبوع الماضي عن دار الطليعة

* تمكن اخيرا علماء الآثار الالمان من اكتشاف مقبرة جرمانية ببرلين ، تضم عددا كبيرا من قدور الخزف ، ويعود تاريخ المقبرة الى حوالي 500 عام قبل المسيح

* مجموعة من المقالات والمحاضرات التي القاها الفيلسوف الانجليزي برتراند رسل في خلال ربع قرن سوف تصدرها دار نشر كبرى في بريطانيا بعنوان : « اقصى درجات الحكمة »

* « الاتباد » رواية الكاتب الايطالي الشهير « مورافيا » التي اعتبرها النقاد اهم رواياته على الاطلاق والتي اثارت حين عرضت ضجة كبرى في الاوساط الادبية العالمية تصدر قريبا عن دار الادب من ترجمة جورج طرابيشي

* خصصت صحيفة « البرافدا » مؤخرا مقالا حول الثورة الثقافية في الصين . فقالت ان الثورة الثقافية في الصين مظهر غريب لا يكتفي باحراق واتلاف الكتب والآثار القيمة بصورة علنية ، بل يتسم بطابع مؤلم للغاية

* افتتحت في 13 اكتوبر الماضي ـ دار الاوبرا الملكية بمدريد بعد اعادة تشييدها ، وقد ظلت مغلقة طيلة 41 عاما . انشئت الدار القديمة بين عامين 1818 و 1850 واستقبلت عددا كبيرا من نوابغ الفنين العالميين ، ولما ظهر تصدع في الدار . اغلق المسؤولون ابوابها ، حتى اعيد بناؤها

* منعت السلطات الاسبانية تداول كتاب « القانون والمجتمع الديمقراطي » لمؤلفه الياس دياس الذي يشتغل استاذا بجامعة مدريد

* الفنان بابلو بيكاسو رفض مبلغا من المال قدره مائة الف دولار قدمتها له مدينة شيكاغو ، مقابل تصميمه لتمثال تجريدي يبلغ ارتفاعه خمسين قدما . وسوف يقام التمثال في وسط المدينة ، وامام مبنى حكومي بلغت تكاليفه خمسة وثمانين مليون دولار

* صدر في باريس المجلد الثالث من كتاب « اصول الادب العربي حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي » للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير . يحاول هذا الكتاب ان يلقي ضوءا على الادب العربي القديم

* تصدر رواية جديدة للكاتبة الفرنسية الكبيرة سيمون دي بوفوار بعنوان : « الصور الجميلة » والرواية تقوم اساسا على ثلاث بطلات ، البنت ، والأم ، والجدة . وموضوعها محاولة الانسان للتطهر من الزيف السياسي الذي يرين على مجتمع بورجوازي عام 1966 في باريس

* « هل نحن وحيدون في العالم ؟ » اسم الكتاب الذي اصدره الكاتب الفرنسي والتربوليفان ـ دار لافون (باريس) يجيب فيه عن السؤال الابدي ، هل الانسان هو ملك الكون في هذا العالم الرحيب ام ان هناك مخلوقات اخرى ؟

* قررت مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع حكومات العربية المتحدة ولبنان وليبيا والكويت بترجمة دائرة المعارف البريطانية الى اللغة العربية وقد تشكلت لجنة من هذه الدول للاشراف على هذه الترجمة على ان تتم خلال خمس سنوات

* وجه الكاتبان الامريكيان دور بيرسوف وجاك اندرسون نقدا لاذعا لجاكلين كندي ، اتهماها فيه بانها تقفل الطرق في وجوه الكتاب الذين يحاولون الكتابة عن اغتيال الرئيس كيندي . واكد الكاتبان ان المؤلفات التي صدرت حتى الآن حول هذه القضية زادت الشك والبلبلة ، ولكن الارملة نفسها تمعن في تشجيع هذه البلبلة حين تحتفظ بمعلومات هامة ، ولا تدلي بها الا لكاتبها المفضل وليم مانشستر

* نقلت زفقلانا الى الروسية كتاب نقولا قربان « نشيد الرخام » الذي سيصدر قريبا

* الكاتب الروسي شولوخوف ـ الحائز على جائزة نوبل للاداب . يحضر الاحتفال القادم الذي سيقام في برشلونة لمنح جائزة « بلانيتا » لاحسن رواية لهذا العام . والجائزة المذكورة من اهم الجوائز السنوية التي خصصتها احدى دور النشر الاسبانية . وقد قدمت لنيل الجائزة 294 رواية من اسبانية وامريكا الجنوبية